رسائل شوق وحنين
(٤)

رسائل إلى القرابة المظلومة

ردود علمية على الظالمين لأهل بيت النبوة

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

هذا الكتاب

هـذا الكتـاب زفـرات ألم على المظـالم الـتي تعـرض لهـا أقـارب رسـول اللـه ﷺ ابتـداء من أمـه وأبيـه، واللـذين رميـا بالشرك، وحكم عليهما بأنهما من أهل النار، بينمـا اعتـبر جميـع المشركين بمنجاة منها، لأنهم من من أهل الفترة.

وهو زفـرات ألم في حـق أبي طـالب عم رسـول اللـه ﷺ ذلك الذي فداه بكل شيء، وضحى في سـبيله بكـل مـا يملـك، لكنهم يذكرون أنه مات على الشرك، مع أنه لم يعرف الشــرك في حياتــه، وآمن برسـول اللـه ﷺ قبـل أن يتـنزل عليـه ملاك الوحي.

وهو زفرات ألم في حق خديجة سيدة نساء العالمين تلــك الطاهرة التي وضعها رسول الله ﷺ مع مـريم وآسـية وفاطمـة في محـل واحـد.. والـتي أخـبر رسـول اللـه ﷺ أنـه لم يعـوض بمثلها، ولا بمن يدانيها، ولكنا لا نكاد نسمع بها.

وهـو زفـرات ألم في حـق الإمـام الحسـين وأصـحابه في الطفوف.. والذي صار ذكـرهم بدعـة، والبكـاء عليهم هرطقـة.. والتغني بأعدائهم سنة.

وهو زفرات ألم في حق أولئـك الأبطـال المنسـيين الـذين كانوا أكبر من نصـر الإسـلام، وفـدوه بأنفسـهم، لكنهم أهملـوا، ونسب الفضل لغيرهم.

وهو زفرات ألم في حق أولئك الثـوار المضـطهدين الـذين قاموا لمواجهة الاستبداد والظلم وتحريف الدين، فقمعوا وقتلوا وعلقوا في الصلبان وامتلأت بهم السجون.

رسائل شوق وحنين

(4)

رسائل إلى القرابة المظلومة

ردود علمية على الظالمين لأهل بيت النبوة

د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الأولى

2017 ـ 1438

دار الأنوار للنشر والتوزيع

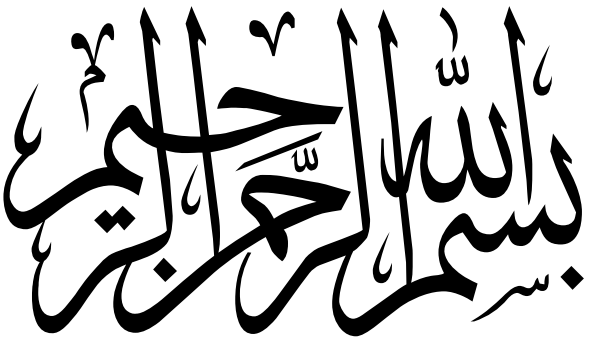
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة	3
إلى خير عم في الدنيا	16
إلى الأم لمظلومة	30
إلى الزوجة الوفية	44
إلى رمال الطفوف	64
إلى الأقارب المبعدين	84
إلى الأبطال المنسيين	104
بطولات أبي طالب:	105
بطولات حمزة:	112
بطولات علي:	115
بطولات جعفر:	125
إلى الثوار المضطهدين	133
زيد الشهيد:	137
ثائرون على الدرب:	154
منتصرون رغم المحن:	163
هذا الكتاب	171

المقدمة

هذا الكتاب محاولة لتعميق المحبة الحقيقية لأهل بيت النبوة، وإخراجها من السطحية والسذاجة والتناقض إلى المعاني الحقيقية المرادة منها، والتي تنسجم مع العقل والفطرة والدين.

ذلك أن كل تلك الأحاديث النبوية الكثيرة المتفق عليها، والتي تعتبر حبهم والولاء لهم ركنا من أركان الدين، وشعبة من شعب الإيمان، في نفس الوقت الذي تعتبر فيه بغضهم نفاقا، لم تكن تقصد ذلك الحب السطحي الذي يتغني فيه المرء بمن يحب من دون أن يكون له أي آثار عملية.

فذلك غير صحيح، لأن محبة أهل البيت تندرج ضمن محبة المسلمين جميعا، ولا يصح لأحد أن يفاضل في ذلك.. لكن المراد منها ما هو أعمق منها.

فقد كان رسول الله ﷺ ـ بما أعطاه الله من علم بما سيحصل لأمته من تحريف وتبديل ـ يعلم جيدا حاجة الأمة إلى البوصلة التي تحدد لها الاتجاه الصحيح، والسفينة التي تحتاج إلى ركوبها، حتى لا تغرق في بحر الفتن..

وكان أولى الناس بذلك ــ لا بسبب نسبهم فقط ــ أهل البيت، لا بذلك المعنى الساذج الذي يتصوره البعض، ويفاخر به، ويطلب من الناس أن يحسنوا إليه، ويقفوا تعظيما له بسبب ذلك النسب الذي يحمله.. فذلك لا يتناسب مع الدين، ولا مع قيم الدين، بل هو يتناقض معها، وقد ورد في الحديث الصحيح: (من أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه)(1)

ولكن أهل البيت الموصى بهم هم أولئك الذين وقفوا في وجه الطغيان، وبذلوا دماءهم في سبيل الحفاظ على الدين الأصيل، وقد كان رسول الله ﷺ بما آتاه الله من نور النبوة يدعو إلى الانضمام إلى صفوفهم، وترك صفوف أعدائهم..

كان ﷺ بتلك الأحاديث يدعو إلى الانضمام إلى الإمام علي عند خلافه مع أهل الجمل أو أهل صفين أو أهل النهراوين.. أو غيرهم.. وليس الوقوف مع أعدائه، أو الوقوف موقف الحياد.. سواء في ذلك الزمن الذي جرت فيه تلك المعارك، أم في

1() رواه مسلم (2699) ، وأبو داود (1455) و (4946) ، وابن ماجه (225)

سائر الأزمنة، لأن الدين أسس في ذلك الوقت، وآثار ما حصل بقيت إلى اليوم.

وكان ﷺ يدعو إلى الانضمام للإمام الحسن حتى لا يضطر إلى عقد ذلك الصلح الذي يتنازل فيه عن ولاية المسلمين، ويتركها للبغاة الذين استطاعوا أن يشتروا الذمم التي لم تفقه جيدا معنى الولاء والمحبة لأهل بيت النبوة.

وكان ﷺ يدعو إلى الانضمام للإمام الحسين، وعدم تركه وحيدا، بين رمال الطفوف، ثم يتهم أهل الكوفة وحدهم بالخيانة، مع أن كل من لم يتحرك لمساعدته كان خائنا، ومخالفا لتلك الوصايا التي تدعو إلى حبه.. فهل يمكن أن يحب شخص شخصا، ثم يتركه أحوج ما يكون إليه؟

وكان ﷺ يدعو إلى الانضمام إلى صف زيد بن علي بن الحسين في مواجهة هشام والأمويين.. وإلى الانضمام إلى صف محمد ذي النفس الزكية وإبراهيم في مواجهة المنصور.. وإلى الانضمام إلى إدريس وغيره في مواجهة هارون..

وإلى الذهاب إلى تلك السجون والزنازن التي امتلأت بالعلويين والحسنيين والحسينيين وكل أهل بيت النبوة، بسبب اعتراضهم على تحريف دين جدهم، لإخراجهم منها، لا الوقوف موقف المتفرج، بل المثني على المستبدين الذين ملأوا بهم السجون، ثم التغني بعد ذلك كذبا وزورا بحب أهل البيت.

هذا هو الولاء الحقيقي لأهل بيت النبوة، وهذه هي المحبة الحقيقية التي مثلها عمار بن ياسر الذي لم يترك سيفه في الوقوف مع الإمام علي، كما لم يتركه في وقوفه مع رسول الله ﷺ.. فكلاهما واحد، والوقوف مع أحدهما، سببه ربط الدين بالبشر لا بالله..

ذلك أن دعوة الإمام علي لم تكن سوى دعوة رسول الله ﷺ.. والرسول ﷺ نبه إلى ذلك في كل تلك الأحاديث التي تذكره.. فهو لم يذكره لأجل قرابته، ولا كونه صهره، وإنما للمسؤولية المناطة به.. فهو تلميذه الأول والأكبر.

ولكن كل هذه المفاهيم عراها ما عرى غيرها من سطحية، حيث صارت المحبة لهم لا تختلف عن ذلك الغزل الرقيق الذي لا أثر له في الواقع.

بل عراها التناقض العجيب الذي تصرخ منه الفطرة والعقول السليمة ألما.. فمن العجيب أن ينادي المتناقضون

يحبهم للإمـام علي، وحبهم لأعدائـه في وقت واحـد.. ولسـت أدري كيف يجتمع هذان المتناقضان في قلب واحد؟

ولـو أننـا حللنـا حقيقـة ذلـك القلب لوجـدنا حبـه الحقيقي لمعاويـة، وليس للإمـام علي، ذلـك أنهم يفرحـون لكـل حـديث مكذوب في حق معاوية، ويحزنون لكل حـديث صـحيح في حـق الإمـام علي، ويحـاولون أن يسـدلوا عليـه كثبانـا من رمـال النسيان..

وهكذا تجدهم يرمون بالبدعة من يحب الإمام علي، ويدعو إليـه وإلى القيم الـتي جـاء بهـا، ويرمونـه بـالرفض والمجوسـية والشرك وكل أنواع الكفر، في نفس الوقت الذي يعتـبرون فيـه محب معاوية والمدافع عنه سنيا وسلفيا وصحيح العقيـدة، حـتى لـو جـاءت كـل الأحـاديث تذمـه، وتـدعو إلى ذمـه، وتـدعو إلى مواجهة التحريفات التي جاء بها.

بل إن النسائي ـ صاحب السنن ـ قُتل بسبب تأليفه لكتـاب في خصائص الإمام علي، وقـد طلب منـه حينهـا أن يكتب مثلـه في فضائل معاوية فقال: ما أعرف له فضيلة إلا: (لا أشـبع اللـه بطنه!)، فضربوه حتى قتلوه(1).

وهكـذا نجـد المعاصـرين لنـا يطلبـون منـا ألا نكتفي بـذكر فضائل أهل البيت، بل علينا إذا أردنا أن ندخل رياض أهل السنة أن نكتب في فضـل أعـدائهم الـذين حـاربوهم وقتلـوهم وشردوهم.. ثم يصخون آذاننا كـل حين بـأنهم يحبـون أهـل بيت النبوة.. ولست أدري كيف تجمع قلوبهم كل هذه التناقضات.

لـذلك كـان هـذا الكتـاب زفـرات ألم على المظـالم الـتي تعرض لها أقارب رسول الله ﷺ ابتداء من أمـه وأبيـه، واللـذين رميا بالشرك، وحكم عليهما بأنهمـا من أهـل النـار، بينمـا اعتـبر جميع المشركين بمنجاة منها، لأنهم من من أهل الفترة.

وهو زفرات ألم في حق عم رسول الله ﷺ ذلك الذي فداه بكل شيء، وضحى في سبيله بكل ما يملك، لكنهم يذكرون أنـه مات على الشرك، مع أنـه لم يعـرف الشـرك في حياتـه، وآمن برسول الله ﷺ قبل أن يتنزل عليه ملاك الوحي.

وهو زفرات ألم في حق خديجة سيدة نساء العـالمين تلـك الطاهرة التي وضعها رسول الله ﷺ مـع مـريم وآسـية وفاطمـة

1() سير أعلام النبلاء 14: 125، وفيات الأعيان 1: 77.

في محل واحد.. والتي أخبر رسول الله ﷺ أنه لم يعوض بمثلها، ولا بمن يدانيها، ولكنا لا نكاد نسمع بها.

وهو زفرات ألم في حق الإمام الحسين وأصحابه في الطفوف.. والذي صار ذكرهم بدعة، والبكاء عليهم هرطقة.. والتغني بأعدائهم سنة.

وهو زفرات ألم في حق أولئك الأبطال المنسيين الذين كانوا أكبر من نصر الإسلام، وفدوه بأنفسهم، لكنهم أهملوا، ونسب الفضل لغيرهم.

وهو زفرات ألم في حق أولئك الثوار المضطهدين الذين قاموا لمواجهة الاستبداد والظلم وتحريف الدين، فقمعوا وقتلوا وعلقوا في الصلبان وامتلأت بهم السجون.

وقد كنا نود أن نذكر زفرات أخرى أكثر ألما وحزنا.. لكنا أمسكنا عن ذلك.. ونستغفر الله تعالى من التقصير..

وقد حاولنا قدر المستطاع ألا نترك للعاطفة وحدها حق الكلام، بل خلطنا كلامنا بالحجاج الذي تقتنع بها العقول السليمة.. فالعاطفة المجردة عن العقل هوى مجرد.. ولذلك كان كمال العاطفة انسجامها مع العقل.

لذلك كانت هذه الخطابات خطابات عقلية مصاغة بصياغة عاطفية، ذلك أنه لا يملك أحد من الناس مهما أوتي من قوة، أن يتكلم عن مظالم قرابة رسول الله ﷺ دون أن تهزه العاطفة، وتتغلب عليه المشاعر الجياشة.

وكيف لا يفعل ذلك، وهو يقرأ بأم عينينه ومن كل المصادر، ذلك التنكيل والتشريد والتقتيل والعزل الذي أصابهم، وكأنهم أبناء أبي جهل، لا أبناء رسول الله ﷺ.. وقرابة أبي سفيان لا قرابة رسول رب العالمين.

مع أن الله تعالى في القرآن الكريم عند حديثه عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعطي أهمية خاصة لذريتهم، ويبين أن لهم مكانة كبيرة، لا من الجانب العاطفي فقط، وإنما من جانب العملي أيضا، باعتبار أن لهم اصطفاء خاصا، ودورا مهما في الرسالة وحفظها والوفاء بمقتضياتها.

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 33، 34]، فمن العجيب أن يطالب عشاق آل بيت النبوة بالدليل بعد

هذه الآية الكريمة، وهي أوضح الواضحات.. فإن كان الله تعالى قد اصطفى آل إبراهيم وآل عمران.. وهما أدنى من رسول الله ﷺ بكثير.. فكيف لا يصطفى آل بيت رسول الله ﷺ؟

ولذلك قرأ الإمام الحسين على ابن الأشعث تلك الآية عندما قال له: (يا حسين بن فاطمة، أيّ حرمة لك من رسول الله ﷺ ليست لغيرك؟)، ثمّ قال له: (والله إنّ محمداً لمن آل إبراهيم، وإنّ العترة الهادية لمن آل محمد)(1)

ولم يكتف القرآن الكريم بتلك الإشارة الصريحة التي تضمنتها تلك الآية الكريمة، بل ورد في ذلك نصوص أخرى كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87)﴾ [الأنعام: 83 - 87]، فهذه الآيات الكريمة توضح الصلات النبسية بين الأنبياء جميعا، وتبين أن الاجتباء الإلهي شملهم بهذا الشكل، ولا راد لاجتباء الله.

ولم يكتف القرآن الكريم بهذا التعميم، بل ذكر تفاصيل كثيرة تدل عليه، حتى يترسخ في الأذهان أن اصطفاء الأنبياء فضل إلهي باعتباره استمرارا للنهج الرسالي وتوحيدا لمسيرته حتى لا تنحرف به الطرق والمناهج، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الله تعالى من اصطفائه لآل إبراهيم عليهم السلام في آيات متعددة، كقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت: 27]

ومنها ما ذكره من أن إبراهيم عليه السلام نفسه دعا الله أن يكون الخط الرسالي ممتدا في ذريته، فقال: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 124]

1() الأمالي، الشيخ الصدوق، ص 222..

بل إن الله تعالى صرح بأن الأمر باق في عقبه، فقال: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: 28]

بل إن الله تعالى ذكر أن إبراهيم عليه السلام – كما سأل ربه أن يجعل ذريته أئمة للناس - سأله أيضا أن يوفق الناس لمودتهم والاقتداء بهم، فقال – على لسان إبراهيم عليه السلام -: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37]

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الله تعالى من اصطفائه لآل موسى وآل هارون عليهم السلام، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في قصة طالوت: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 248]

بل إننا نجد أن الله تعالى اختار هارون أخا موسى عليه السلام ليكون معينا له ووزيرا بناء على طلب موسى، فقال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾ [الفرقان: 35]

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الله تعالى من اصطفائه لآل يعقوب عليهم السلام، وهم وإن كانوا جزءا من آل إبراهيم، لكن القرآن خصهم بالذكر عند الحديث عن يوسف بن يعقوب عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: 6]

وذكرهم عند الحديث عن زكريا عليه السلام حينما دعا الله عز وجل وطلب الذرية الصالحة، فقال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: 5، 6]

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الله تعالى من اصطفائه لآل داود عليهم السلام، والذين ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: 13]، وقد بين القرآن الكريم أن سليمان ورث داود، فقال:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: 16]

لكن كل ذلك لم يلتفت إليه، وكأن الله تعالى بين اصطفاءه الخاص لذريات الأنبياء، وأقاربهم إلا رسول الله ﷺ.. فهو وحده المخالف لهم، مع أن الأصل أن يكون أولى بذلك منهم، إن لم يكن نظيرا لهم فيه، وقد قال تعالى عنه: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف: 9]

لهذا نجد ابن تيمية ــ وهو من أكبر المنظرين للنصب والعداوة لأهل البيت في هذه الأمة ـ يعتبر تقديم آل الرسول ﷺ على غيرهم أثر من آثار الجاهلية في تقديم أهل بيت الرؤساء، كما نص على ذلك في (منهاج السنة) – على طريقته الخاصة في التحايل - بقوله: (وإنما قال من فيه أثر جاهلية عربية أو فارسية: إن بيت الرسول أحق بالولاية. لكون العرب كانت في جاهليتها تقدم أهل بيت الرؤساء، وكذلك الفرس يقدمون أهل بيت الملك، فنقل عمن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا، كما نقل عن أبي سفيان، وصاحب هذا الرأي لم يكن له غرض في علي، بل كان العباس عنده بحكم رأيه أولى من علي، وإن قدر أنه رجح عليا، فلعلمه بأن الإسلام يقدم الإيمان والتقوى على النسب، فأراد أن يجمع بين حكم الجاهلية والإسلام)(1)

وابن تيمية ـ وكل من وافقه على هذا القول وغيره من الأقوال الشنيعة ـ يرمي كما كبير من النصوص التي يوصي فيها رسول الله ﷺ بآل بيته، ويعتبرهم مراجع الأمة من بعده، بل يعتبرهم صمام أمنها، وسفينة نجاتها كما قال ﷺ: (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق)(2)

وفي الحديث المتواتر في كتب السنة، قال ﷺ: (إني تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، الثقلين وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض،

1() منهاج السنة النبوية (6/ 455)

2() رواه الفاكهي في أخبار مكة (3/رقم1904)، وأبو يعلى في مسنده الكبير [كما في تفسير ابن كثير4/115]، والقطيعي في زوائده على فضائل الصحابة (2/785/1402)، والحاكم في المستدرك (2/343) و(3/150) وصحّحه على شرط مسلم.

وعترتي أهل بيتي. ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحـوض)(1)

وفي رواية: (أيها النـاس. إنمـا أنـا بشـر يوشـك أن يـأتيني رسول من ربي فأجيب. وإني تارك فيكم الثقلين. أولهمـا كتـاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسـكوا بـه. فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قـال: وأهـل بيـتي. أذكـركم اللـه في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهـل بيتي)(2)

وللأسف فـإن هـذا الحـديث مـع وروده بلفـظ (كتـاب اللـه وعترتي) ومع كثرة الروايات الواردة فيه بهـذا المعـنى اسـتبدل بحديث آخـر، وصـار هـو المعـروف عنـد النـاس، وهـو اسـتبدال (عـترتي) بلفـظ (سـنتي) مـع أنـه لم يـرد في أي من الصـحاح السـت، وقـد أخـرج الحـديث بهـذا اللفـظ مالـك بن أنس في موطئه ونقلـه مرسـلا غـير مسـند، وأخـذ عنـه بعـد ذلـك البعض كالطبري وابن هشام ونقلوه مرسلا كما ورد عن مالك.

مـع العلم أنـه في قـانون المحـدثين لا يـروى الحـديث إلا بأصـح صـيغه، هـذا في حـال كـون الصـيغة المرويـة عن مالـك صـحيحة باعتبـار المحـدثين لأنهـا مرسـلة، ولكنـه للأسـف صـار الحديث المرسل هو الأصـل، وصـار الحـديث المتـواتر في حكم المكتوم، بل لو أن شخصا حدث به لاتهم في دينه.

بالإضافة إلى هذا، فقد وردت الأدلة الكثيرة التي تدل على وجــوب الرجــوع إلى آل الــبيت لتلقي الــدين، وهي لا تعــد ولا تحصى، فقـد ورد في الحـديث الصـحيح المعـروف: (علي مـني وأنا منه. ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي)(3)

وقال ﷺ: (ومن أحبّ أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنّة التي وعدني بها ربّي، وهي جنّة الخلد، فليتوّلَ عليّاً وذرّيته من بعـدي؛ فـإنّهم لن يخرجـوكم من هـدى، ولن يـدخلوكم بـاب

1() رواه أبو داود (السنن 5/ 5/ 13/ رقم 4607) واللفظ له، والترمذي (العلم 16/ رقم 2676) وابن ماجـه (المقدمـة 6/ 42 و43 و44) والحـاكم (العلم 1/ 175/ 329) وصححه، ووافقه الذهبي والألباني، وقال الترمذي: حسن صحيح..

2() رواه مسـلم ح / 2408، سـنن الترمـذي: ح / 3788، مسـند أحمـد 3/ 17، المستدرك 3/ 148 وغيرها.

3() رواه أحمد 4/164، وفي (4/164 و165، والنسائي في فضـائل الصـحابة (44)، وابن ماجة (119).

ضلالة)(1)

وقال ﷺ: (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا. ولكنه خاصف النعل وكان علي يخصف نعل رسول الله في الحجرة عند فاطمة)(2)

وفي رواية أخرى: قال رسول الله ﷺ: (لتنتهن معشر قريش، أو ليبعثن الله عليكم رجلا مني امتحن الله قلبه للإيمان، يضرب أعناقكم على الدين. قيل يا رسول الله أبو بكر؟ قال: لا. قيل: عمر. قال: لا. ولكن خاصف النعل في الحجرة)(3)

لكن ـ للأسف ـ حصل الإعراض الكبير عن كل هذا، حيث قدم الطلقاء واليهود على آل بيت النبوة، حتى أن مرويات كعب الأحبار في تفسير القرآن الكريم وفي كتب العقيدة أكبر بكثير من المرويات التي رووها عن أهل البيت.. بل إننا نجد الجماهير تعظم السنة التي حصل فيها المأساة الكبرى حين حصل الصلح بين الحسن بن علي مع معاوية، ويسمون تلك السنة سنة الجماعة.. ويعتبرون معاوية بموجبها خليفة للمسلمين مع تلك النصوص الكثيرة التي تعتبر الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة.. وأن له مكانة عظيمة في الدين..

ولكن مع ذلك يعتبرون ذلك الموقف إقرارا منه بحقانية معاوية، وهم ينسون أن يقرؤوا قوله تعالى في وصف وضع قريب من الوضع الذي كان فيه الحسن بن علي: ﴿قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: 92 - 94]

فهذه الآيات توضح سنة من سنن الغواية التي يتلاعب بها الشيطان بأتباع الأنبياء حين يسول لهم أن يأخذوا دينهم من السامري، ويتركوا النبي وآل بيت النبي.

ومثلما حصل للحسن بن علي حصل لأخيه الحسين بن علي الذي ورد في الأحاديث الكثيرة بيان فضله ومرتبته من الدين، وأنه نفس رسول الله ﷺ، ومع ذلك نجد أصحاب السنة

1() رواه الحاكم مستدرك الحاكم ج 3 ص 128.

2() رواه أحمد (1/155) (1335) وأبو داود (2700)، والترمذي (3715).

3() المصادر السابقة.

المذهبية حين يذكرون تلك التضحية العظيمة التي قام بها الحسين للحفاظ على الدين في وجه من يريد تحريفه، يحتقرون ما فعله، بل يعتبرونه من الأخطاء الكبرى التي لا منفعة فيها.. ويقدمون عليه مواقف ابن عمر وغيره من الصحابة، كما قال ابن تيمية: (ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله ﷺ حتى قتلوه مظلوماً شهيداً وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن حصل لو قعد في بلده. فإن ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشر بخروجه وقتله ونقص الخير بذلك وصار ذلك سبباً لشر عظيم)(1)

وهكذا أصبح ابن تيمية وغيره أساتذة وأئمة وناصحين لذلك الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سِبْطٌ من الأسباط)(2)

بل أعلن ﷺ، وهو في حياته الشريفة أنه سلم لمن سالم وحرب لمن حارب، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ نظر إلى ابنته فاطمة وإلى علي ومعهما الحسن والحسين وقال لهم: (أنا حرب لمن حاربكم، وسِلْمٌ لمن سالمكم)(3)، وقال: (من أحب الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم، ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله جهنم وله عذاب مقيم)(4)

هذه دوافعنا من هذه الكتاب، وأغراضنا منه، ونحن نعلم أنه لن يستفيد منه إلا أولئك الذين تحرروا من ربقة التقليد، وخرجوا من السجون التي وضعهم فيها أصحاب الملك العضوض، وسدنة الدين المزيف الممتلئ بالتحريفات..

أولئك فقط من يمكنهم الاستفادة من هذا الكتاب لإقامة علاقة محبة حقيقية بأولئك الذين أمرنا بحبهم ومودتهم والولاء لهم ونصرتهم والعيش في ظلال القيم التي كانوا يمثلون،

1() منهاج السنة ج4 ص530-531.

2() رواه أحمد (4/172) وابن ماجة (144) والترمذي (3775).

3() قال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (9/ 169): رواه أحمد والطبراني.

4() رواه الطبراني في الكبير: 6/296.

وضحوا بأنفسهم في سبيلها.

إلى خير عم في الدنيا

سيدي أبا طالب.. يا عم رسول اللهﷺ وحاميه وناصره..

يا من جعلك الله كفيلا لنبيه وسندا له منذ ولادتـه إلى آخـر يوم من حياتك.. يـا من رأيت المعجـزات البـاهرات.. وتشـرفت برؤية الأنـوار السـاطعات.. وسـمعت من فم الحـبيب الكلمـات النيرات..

ماذا عساي أقـول لـك.. لقـد عـدت خـاوي الوفـاض.. فلم ينفعهم مـا ذكرتـه لهم من فضـلك وجهـدك في خدمـة الإسـلام ونبيه.. ولم ينفعهم ما ذكرته لهم من عقلك وطهارتك وإيمانـك.. ولم ينفعهم ذلــك الجــدل الــذي اســتعملته معهم لأخــاطب عقـولهم.. ولم تنفعهم تلـك الخطب الحزينـة الـتي خـاطبت بهـا عواطفهم..

لقد رفضوا كـل ذلـك.. ولـو كنتُ معهم حين أوردت عليهم ما أوردت لأوسعوني ضربا، أو لرموني بالحجارة، أو لحاصـروني في الشعب كما حاصروك مع ابنك وابن أخيك محمد ﷺ.

وأنا لا أبالي في سبيلك سيدي كل مـا يقولـون.. لأني أعلم أن القلــوب إذا طبعت، والعقــول إذا ختمت، لا تكــاد تبصــر أو تسـمع، ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَـامِ بَـلْ هُمْ أَضَـلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَـافِلُونَ ﴾ [الأعراف: 179]

لقد قلت لهم بكل صدق وإخلاص: يا قوم.. أين عقولكم؟.. هل تتصورون هذا الرجل العظيم الذي قدم كل هـذه الخـدمات، والذي عاش كل هذا العمر مع رسول اللـه ﷺ يبخـل اللـه عليـه بهداية قلبه..

ألم ترووا في كتبكم أن رسول الله ﷺ كان يضـع يـده على صدر المنافق، فيسلم، وكان لا يراه أحد ـ وكان صادقاـ إلا أحبـه وآمن به.. أفيكون كل الناس مرحومين برسول اللـه ﷺ، تتـنزل عليهم بركاته ـ حتى أعداؤه الذين قاتلوه ـ إلا أبا طالب؟

ألم ترووا بأسانيدكم التي تعتبرونها أن رسول اللـه ﷺ دعـا لأم أبي هريرة التي لم تكتف بشركها بالله فقط، وإنما أضـافت إليه سب رسول الله ﷺ، ومع ذلك، بمجـرد أن طلب أبـا هريـرة من رســول اللــه ﷺ أن يــدعو لأمــه، تحــولت من النقيض إلى النقيض.. لقـد رويتم أن أبـا هريـرة قـال: كنت أدعـو أمي إلى

الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما.. فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله، إنى كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم اهد أم أبي هريرة).. ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله)(1)

أنا لا أنكر الحديث، فأنا أعلم أن رسول الله ﷺ مستجاب الدعوة، ولكني أعجب من عقولكم التي قبلت أن يدعو رسول الله ﷺ بالهداية لأم أبي هريرة التي كانت تسبه، فتحولت مباشرة إلى الإيمان، ثم يسكت عن الدعاء لعمه، أو يدعو ولا يستجاب له، مع أنه قضى حياته كلها في مدحه ونصرته، على خلاف أم أبي هريرة التي لم تكن تكتفي بالشرك بل أضافت إليه سب رسول الله ﷺ.

ولم تكتفوا بأم أبي هريرة، بل أدخلتم قوم أبي هريرة جميعا إلى الإسلام بدعوة واحدة من رسول الله ﷺ، فقد حدث أبو هريرة نفسه، قال: (جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ، فقال: إن دوسا قد عصت وأبت، فادع الله عليهم، فقال: (اللهم اهد دوسا، وأت بهم)(2)

بل رويتم أن المنافقين الذين وصفهم الله بما وصفهم به في القرآن الكريم من الخداع والمكر والتذبذب، ومع ذلك استطاعت دعوة رسول الله ﷺ أن تدركهم، فقد حدثتم عن ابن عمر. قال: (كنت عند رسول الله ﷺ إذ جاءه حرملة بن زيد، فجلس بين يديه، فقال: يا رسول الله الإيمان هاهنا، وأشار بيده إلى لسانه، والنفاق هاهنا، وأشار بيده إلى قلبه، فسكت عنه رسول الله ﷺ، فردد عليه مرارا، فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان حرملة، وقال: (اللهم ارزقه لسانا صادقا، وقلبا شاكرا، وارزقه حبي وحب من يحبني وصير أمره إلى الخير، فقال: يارسول الله إن لي إخوانا منافقين كنت رأسا فيهم أفلا أدذلك عليهم؟ فقال: من جاءنا منهم استغفرنا له كما استغفرنا لك، ومن مات منهم على دينه فالله أولى به، ولا تخرق على أحد

1() رواه مسلم (2491)

2() رواه البخاري (2937) ومسلم (2524)

سترا)(1)

هكـذا رويتم أن هـذا المنـافق تحـول إلى الإيمـان بـدعوة واحدة، بل تحـول مباشـرة من منـافق في الـدرك الأسـفل من النـار إلى أحـد الصـحابة الـذين تجلـونهم (2)، وتعتقـدون أنـه لا يمكن لأحد من الناس أن يدرك عملهم حتى لـو قـام فلم يفـتر، وصام ولم يفطر.. بل حتى لـو قضـى حياتـه جميعـا في سـجدة واحدة.

بل رويتم أن رسول الله ﷺ أخبر أن أي منافق يأتيه يمكنـه أن يتحول إلى الإيمان في لحظة واحدة.. فهل كان جدار الهداية التي حجب عنها أبو طالب ــ كمـا تـذكرون ــ أسـمك من جـدار المنافقين، وهو الذي عاش حياته كلها مع رسول الله ﷺ.

لقد قلت لهم كل ذلك.. وقلت لهم: ألم تروا في سـيركم ما يدل على أن أبا طالب آمن بنبوة رسول اللـه ﷺ قبـل مبعثـه الشريف، بل آمن به، وهو غلام صغير..

ألم تـروا فيهـا أن أبـا طـالب أراد المسـير في ركب إلى الشام فقال له رسول الله ﷺ: أي عم إلى من تخلفني ها هنـا؟ وصب به رسول الله ﷺ فرق له أبـو طـالب، فلمـا سـارا أردفـه خلفه، فخرج به فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير: مـا هذا الغلام منك؟ قال: ابـني. قـال: مـا هـو بابنـك ومـا ينبغي أن يكون له أب حي. قال: ولم؟ قـال: لأن وجهـه وجـه نـبي وعينـه عين نبي. قال: وما النبي؟ قـال: الـذي يـوحى إليـه من السـماء فينبئ أهل الأرض(3).. وقـال لـه: (ارجـع بـابن أخيـك إلى بلـدك واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فإنه كائن لابن أخيك شأن. فأسرع بـه إلى بلاده ولا تـذهب به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه)(4)

وقلت لهم: تأملوا في هـذه النصـوص الـتي تروونهـا جيـدا، واقرأوا بعقولكم لا بألسنتكم فقط لتروا فيها الدلائل الواضحات على إيمانك العظيم برسول الله ﷺ.

1() المعجم الكبير للطبراني: 4/5، وقال ابن حجر في الإصابة: إسـناده لا بـأس بـه، وأخرجه ابن منده أيضاً. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح ولم يـذكر من أخـرج الخـبر. مجمع الزوائد: 9/410..

2() انظر: أسد الغابة: 1/475؛ والإصابة: 1/330..

3() سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 140)

4() المرجع السابق (2/ 141)

فمن الدلائل البينات على إيمانك سيدي بنبوة رسـول اللـه ﷺ وهو فتى صغير تصديقك للـراهب، وعودتـك بـابن أخيـك إلى بلده، بعد أن قطعت كل تلك المسافة..

في ذلك الوقت الذي عدت فيـه مصـدقا الـراهب لم يـنزل القرآن بعـد.. ولم ينشـق القمـر بعـد.. ولم تـر تلـك المعجـزات الباهرات بعد.. أفيمكن أن تؤمن به صغيرا، وتجحده كبـيرا؟.. أو تؤمن به وأنت لم تر منه ما يستدعي الإيمان، وتجحـد بـه، وأنت ترى كل شيء يدل عليه؟

لقد قلت لهم: اقرأوا الرواية جيدا.. وانظروا فيها إلى تلـك الرحمة والشفقة التي كان تملأ قلب أبي طـالب على ابن أخيـه محمد ﷺ.. ألم تروا كيف كان يدعوه ابني؟

ولم يكن ذلك إلا تعبيرا عن حقيقة مشـاعره.. والـتي كـان يبادله رسول الله ﷺ مثلها مثلما يبادل زوجـه فاطمـة بنت أسـد التي كانت بمثابة أم رسول الله ﷺ.. فقد رويتم في كتبكم التي تقدسونها أن رسول الله ﷺ قال عندما دفنها: (يرحمـك اللـه يـا أمّي، كنت أمّي بعد أمّي، تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسـيني، وتمنعين نفسك طيبا، وتطعميني، تريدين بذلك وجه اللـه تعـالى والدّار الآخرة)(1)

وقلت لهم: ارجعـوا إلى كتب السـنة والسـيرة، وسـتجدون الأشـعار الرقيقـة الـتي قالهـا أبـو طـالب، والـتي جمعهـا بعض محققيكم.. اقرأوها بتدبر، وسترون روح الإيمان الصـادق تنبعث من كل كلمة من كلماتها.

وقلت لهم: لا بأس.. لعلكم لا تجدون الوقت الذي تبحثـون عنها.. ولهذا سأرتل عليكم بعض آياتها(2) والـتي قالهـا ورسـول الله ﷺ صبي صغير بعد أن رجع به من الشام.. لقـد ذكـرت لهم من قصائدك قولك (3) :

إن ابن آمنـــــة عندي بمثل منـازل
الأ[illegible]
لما تعلق بالزمام والعيس قد قلصـن
[illegible]

وفيها تقول:

1() رواه الطبراني في الكبير والأوسط برجال الصـحيح وفي الأوسـط، انظـر: سـبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (11/ 287)

2() سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 142)

3() دلائل النبوة للبيهقي (2/ 29)

حـتى إذا مـا القـوم لاقـوا على شـرك

حبرا فـأخبرهم حـديثاً عنـه ورد معاشـر

قوما يهودا قد رأوا ما ظـل الغمامـة

سـاروا لفتـك محمـد عنه وأجهـد أحسـن

فثـنى زبـيراء بحـير في القـوم بعـد

ونهى دريسـا فـانتهى عن قـول حـبر

وأنشدتهم بعدها قصائدك الكثيرة في مساندة رسول الله ﷺ والذب عنه، والتي رواها المحققون من المحدثين الذين يعتبرونهم، ويرجعون إليهم، كالحافظ ابن حجر العسقلاني الذي يسمونه خاتمة الحفاظ، والذي قال مخبرا عنك: (وأخباره في حياطته والذب عنه ﷺ معروفة مشهورة، ومما اشتهر من شعره في ذلك قوله: والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا وقوله: كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ولما نقاتل حوله ونناضل)(1)

وأنشدتهم قولك:

والله لن يصلوا إليك حتى أوسد في

فاصدع بأمرك ما عليك وابشر بذاك وقر

ودعوتني وعلمت أنك ولقد صدقت وكنت

ولقد علمت بأن دين دينا(2)

وأنشدتهم قولك:

لعمري لقد كلّفت وإخوته دأب المحبّ

فلا زال في الدّنيا وإخوته دأب المحبّ

فلا زال في الدّنيا وزينا على رغم العدو

1() فتح الباري، (7/194)

2() هذه الأبيات ذكرها القرطبي في (تفسيره) (6/406) ، وأورد الحافظ ابن حجر البيتين الأخيرين في (الإصابة) (7/236)، وانظر: دلائل النبوة للبيهقي (2/ 188)

فمن مثله في النّـاس إذا قاسه الحكّام عنـد
حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غير يوالي إلهـاً ليس عنـه
فأيّـــده ربّ العبـــاد ناصل(1)

وأنشدتهم ذلك البيت المعـروف الـذي لا يزالـون ينشـدونه من غير أن يعرفوا أن قائله هو أنت:

وأبيض يستســـــقي ثمـــال اليتـــامى
يلوذ به الهلاك من آل فهم عنده في نعمة

ثم قصصت لهم ما رواه علماء السيرة عن سبب قولك له، فذكرت لهم أن ابن عساكر حدث عن جلهمة بن عرفطـة قـال: قـدمت مكـة وقـريش في قحـط، فقائـل منهم يقـول: اعتمـدوا واللات والعزى. وقائل منهم يقول: اعتمدوا مناة الثالثة الأخـرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيـد الـرأي: أنى تؤفكـون وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل. قالوا: كأنـك عـنيت أبـا طـالب؟ قال: إيها. فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج إلينا رجل حسن الوجه عليه إزار قد اتشح به فثاروا إليه فقالوا: يا أبا طالب أقحـط الـوادي وأجـدب العيـال فهلم فاستسـق لنـا فخـرج أبـو طـالب ومعـه غلام كأنـه شـمس دجنـة تجلت عليـه سحابة قتماء وحوله أغيلمـة فأخـذه أبـو طـالب فألصـق ظهـره بالكعبــة ولاذ بإصــبعه الغلام ومــا في الســماء قزعــة فأقبــل السحاب من هاهنا وها هنا وأغدق واغدودق وانفجـر لـه الـوادي وأخصب النادي والبادي(2).

وقلت لهم، وأنــا متعجب من عقــولهم وانســدادها: هــل تتصورون أن الذي توسل برسول اللـه ﷺ وهـو صـبي صـغير، لا يتوسل به وهو كهل كبير..

وهل تتصورون أن الـذي توسـل بـه للسـقيا، لا يتوسـل بـه للحياة الأبدية؟

بل رويت لهم ما هو أخطر من ذلك مما يدل على معرفتك به وبنبوته منذ ولد إلى أن توفاك الله.. لقد حكيت لهم مـا رواه ابن سـعد والخطيب وابن عسـاكر: عن عمـرو بن سـعيد أن أبـا

1() سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 381)

2() المرجع السابق (2/ 137)

طـالب قـال: كنت بـذي المجـاز مـع ابن أخي، يعـني النـبي ﷺ، فأدركني العطش فشكوت إليه فقلت: يا ابن أخي قد عطشـت. وما قلت له ذلك وأنا أرى عنده شيئاً إلا الجزع قال: فثنى وركـه ثم قال: يا عم عطشـت؟ قلت: نعم. فـأهوى بعقبـه إلى الأرض فإذا أنا بالماء فقال: اشرب فشربت(1).

وقلت لهم بعـد أن رويت لهم هـذه الروايـة وغيرهـا: هـل ترون أن الذي عاين هذه المعجزة سيكون جاهلا كافرا من أجل حرصه على إرضاء أبي جهل وأبي لهب؟

وهكذا ذكرت لهم سيدي أن رسول الله ﷺ كان متعلقا بـك إلى درجـة لا يمكن تصـورها حـتى أنـه سـمى عامـا كـاملا عـام الحزن حدادا عليك، وعلى السيدة العظيمة المظلومة خديجة..

تصور سيدي أني بعد أن ذكـرت لهم هـذا راحـوا يسـخرون مني، ويقولون: ما دمت قد أثبت لنا أن أبا طـالب مـؤمن، وأنـه من أهل الجنة.. فاذهب وابحث لعلك تجد مـا يـدلك على أن أبـا جهل وأبا لهب مؤمنان وفي الجنة.

تصور سيدي كيف يضـعانك مـع أعـدائك وأعـداء نبيـك في خندق واحد.. لقد أعماهم التعصب عن إدراك الحـق.. فتصـوروا أننا ندافع عنك فقط لكونك عمـا لرسـول اللـه ﷺ.. ونسـوا أننـا ندافع عن الجبل الذي واجـه كـل المعتـدين.. وعن السـيد الـذي حمى ذمامــه من كــل المنحــرفين.. في نفس الــوقت الــذي لا يستحيون فيه عن الدفاع عن كل أعداء رسـول اللـه ﷺ وأعـداء دينه، وأعداء أمته.

لقد راحوا ـ سيدي ـ يواجهونني ببعض الروايات التي رواها البخاري ومسلم.. وهم في نفوسهم ينتقدون الكثير من أحاديث البخــاري ومســلم، بــل لا يقبلــون منهمــا إلا مــا يتناســب مــع أهوائهم.. ولو كانوا يقبلون بهما لكانوا قد وجدوا فيهما ما يدلهم على ضلالة الفئة الباغية التي ينتصرون لها، ويعلنون ولاءهم كل حين لمن يواليها.. ولو بحثوا فيهما لوجدوا من أخبر رسول اللــه ﷺ أنهم سيغيرون السـنن، ويحرفـون الـدين، وينحرفـون بالأمـة نحو الهاوية السحيقة التي وقعت فيها.

سأذكر لك سيدي بعض ما راحوا يستدلون به زورا وبهتانا.. لقد نقلوا ما رواه البخاري ومسلم أن عمك العباس سـأل

1() المرجع السابق، (2/ 137)

النبي ﷺ: هل أغنيت عن عمك شيئا؟، فقال: (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه)(1)

انظر إلى لغة الحقد التي عبروا بها عن العذاب الذي أوهمتهم شياطينهم أنه ينزل بك.. ولو أنهم عرضوا هذا الحديث على القرآن الكريم لوجدوا فيه الدلالة الصريحة القاطعة على عدم جواز الشفاعة في الكفار.. فقد أخبر الله تعالى عن الكفار بأنهم ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: 36]، وأنهم لا ﴿ تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: 48]

ولو أنهم عرضوا هذه الرواية على روايات أخرى أكثر عقلانية وانسجاما مع الواقع والقرآن لحلوا المعضلة بكل سهولة، فقد روى هذا الحديث ابن سعد عن العباس أنه سأل رسول الله ﷺ: ما ترجو لأبي طالب؟ قال: (كل الخير أرجو من ربي)(2)

وهذا اللفظ يعكر على اللفظ السابق، ويجعل الحديث مضطربا على حسب القواعد التي يعتمدون عليها في الحديث.

ولو أنهم راجعوا سند الحديث لوجدوا العجب العجاب.. لو راجعوه لوجدوا في سنده (عبد الله بن الحارث بن نوفل)، وهو أموي المشرب، أمه هند بنت أبي سفيان أخت معاوية، وقد اصطلح عليه أهل البصرة حين مات يزيد بن معاوية.. وقد روى هذا الأموي الكثير من الروايات المنكرة الممتلئة بالتجسيم، وكان من أساتذته في التجسيم كعب الأحبار اليهودي(3).

لكنهم سيدي لا يقرؤون إلا ما يتناسب مع أمزجتهم.. بل إنهم سيدي راحوا يؤولون القرآن الكريم، ويفسرونه بغير ما أنزل الله بغية مواجهتك وإعلان الحرب عليك..

لقد رووا أن رسول الله ﷺ دخل عليك لما حضرتك الوفاة، وعندك أبو جهل، فقال لك: (أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله).. فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية لك: (يا أبا طالب ترغب عن ملة عبدالمطلب)، وأنهما لم يزالا يكلمانك حتى كان آخر شيء كلمتهم به، هو (على ملة عبدالمطلب)،

1() رواه البخاري 7 / 149 ، ومسلم رقم (210)

2() طبقات ابن سعد:1/ 125 .

3() تهذيب الكمال: 14/ 396.

وأن النبي ﷺ قال لك: (لاستغفرن لك ما لم أنه عنه)[1]، وأنه نزل فيك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: 113]، ونزل فيك: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56]

ومن العجب أن يوردوا مثل هذا البهتان العظيم.. ومن العجب أن يذكروا أن أولئك الطغاة الظلمة المشركين ينالون في آخر لحظة من الحظوة عندك ما لا ينالها ابن أخيك الذي عشت حياتك كلها من أجله، وضحيت بكل شيء في سبيله..

وهل يمكن لعاقل أن يصدق خضوع شيخ كبير للذين وحاصروه واستحلوا كل الحرمات في حقه؟.. هل يمكن أن يخضع لهم ويرضيهم؟.. أليست الفطرة السليمة تدعو لمواجهة أمثال هؤلاء بما يكرهونه حتى بما لا نعتقده؟

لكن حديث الفطرة والعقل لم يقنعهم، فرحت أخاطبهم بما تعودوا.. لقد ذكرت لهم أن المحققين من المحدثين ــ كابن حجر ـ رأوا أن في نزولها فيك نظر، وهذا طعن صريح في هذا الحديث المروي في الصحيحين، فقد قال في معلقا على هذا: (هذا فيه إشكال، لأن وفاة أبي طالب كانت بمكة قبل الهجرة اتفاقاً، وقد ثبت أن النبي ﷺ أتى قبر أمه لما اعتمر فاستأذن ربه أن يستغفر لها فنزلت هذه الآية، والأصل عدم تكرر النزول)[2] بل روي في سبب نزول الآية أن رجلاً استغفر لوالديه وهما مشركان فذكر ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله الآية [3].

وهذه الروايات تدل على الاضطراب في سبب نزول الآية، وعدم صحة الاستدلال بها على أنها نزلت فيك أو في والدة النبي آمنة بنت وهب عليها السلام.

ثم إن من العجيب أنهم يروون عن رسول الله ﷺ أنه صلى على أبي بن سلول المنافق مع أن الله تعالى قال في شأنهم: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: 145]، بل يروون أن النبي ﷺ استغفر

1() البخاري (3884) ومسلم (24)

2() فتح الباري (8/508)

3() رواه أحمد (1/99و130)

له، وكفنه بقميصه، وقد رووا ذلك في الصحيحين وغيرهما، فإذا كان الله قد نهى نبيه ﷺ قبل ذلك بسنين عن أن يستغفر للكفار ــ الـذين يعتبرونـك منهم ــ فكيـف يسـتغفر بعـد ذلـك لأبي بن سلول، ويخالف ما أمره الله تعالى به؟!

وفي الأخـير سـيدي بعـد أن خـاطبت عقـولهم وقلـوبهم ودينهم.. لم يجدوا إلا أن يواجهـوني بالحقيقـة الـتي تختفي وراء كل ذلك الحقد الذي يكنونه لك.. وكل ذلك الـولاء الـذي يهدونـه لأعدائك.. إنه حقدهم على الشيعة.. ولأن الشيعة يدافعون عنـك ويحترمونك ويقدرون جهودك العظيمة، ويعتبرونك من الصـحابة الكبـار المنتجـبين، فـإن ذلـك لا يرضـيهم.. لأن مبـدأهم ليس الحقيقة مهمـا كـان القائـل بهـا، وإنمـا الحقيقـة الـتي تـأتي من طرفهم.. وطرف الجماعة التي يعطونها كل ولائهم.

لقـد راح بعضـهم يقـول لي، وكأنـه يهـددني: لقـد ذكـر المحققون كابن كثير وغيره أن القـول بهـذا هـو قـول الشـيعة.. وأنني إن لم أكف عن الدفاع عنك، فسأرمى بالرفض والتشيع..

فقلت لهم: ارمـوني بمـا شـئتم.. ليس بـالرفض والتشـيع فقط.. بل بالزندقـة والكفـر والضـلالة.. وارمـوني في أي جحيم يحلو لكم.. لأني أعلم أن الجنة بيد الله.. والنار بيد اللـه.. وأعلم أن قلبي الذي يحبك سيدي سيشفع لي عند ربي..

ولـو أنهم تخلـوا عن غـرورهم، ودرسـوا العلم عن أهلـه لعرفوا أن الصالحين من هذه الأمة كلهم يحترمونك ويعظمونـك مهما اختلفت مذاهبهم.

فهـل كـان مفـتي الشـافعية في مكـة المكرمـة في وقتـه السيد أحمـد زيـني دحـلان الـذي آلمتـه الأحقـاد الموجهـة لـك. فكتب كتابا في نصرتك سـماه (أسـنى المطـالب في نجـاة أبي طالب) شيعيا.. وهل الشافعية شيعة.. وهل مفتيهم يقول بقـول الشيعة؟

وهل كان العلامة البرزنجي الذي تـألم هـو الآخـر لمـا قيـل فيك، فكتب كتابا في نصرتك سـماه (بغيـة الطـالب لإيمـان أبي طالب وحسن خاتمته) هو الآخر شيعيا؟

وهـل كـان مولانـا محمـد معين الهنـدي السـندي التتـوي الحنفي الذي كتب كتابـا في نصـرتك سـماه (إثبـات إسـلام أبي طالب) شيعيا.. وهل الحنفية شيعة؟

وهـل كـان أبـو الهـدى محمـد أفنـدي بن حسـن الصـيادي

الرفاعي، الذي ألف كتابا في نصرتك سماه (السهم الصائب لكبد من آذى أبا طالب) شيعا.. وهل رجال الطريقة الرفاعية الصوفية شيعة؟

وهل كان السيد علي كبير بن علي جعفر الحسيني الهندي الإله أبادي الذي ألف كتابا في نصرتك سماه (غاية المطالب في بحث إيمان أبي طالب) شيعيا؟

وهل كان الشيخ أحمد فيضي بن علي عارف الجورومي الخالدي الرومي الحنفي الذي ألف في الانتصار لك (فيض الواهب في نجاة أبي طالب) شيعيا؟

وهل كان القاضي الفاضل السيد حيدر ابن العلامة السيد محمد سعيد العرفي الذي ألف في نصرتك كتابا سماه (أبو طالب بطل الإسلام) شيعيا؟

ليس هؤلاء فقط من قالوا هذا، بل المفتون والعلماء من جميع المذاهب الإسلامية ذكروا فضلك وحرمتك، لأن حرمتك من حرمة أعظم إنسان في التاريخ، بل أعظم مخلوق على الإطلاق محمد ﷺ.. لقد قال بهذا: الأجهوري، والتلمساني، والحافظ السيوطي، وأحمد بن الحسين الموصلي الحنفي، ومحمد بن سلامة القضاعي، والقرطبي، والسبكي، والشعراني.. وغيرهم كثير.

بعد هذا سيدي ما عساي أقول لك.. أعلم أني أضعف من أن أؤدي الرسالة التي تطلبها الحقيقة مني.. ولكني مع ذلك موقن أن الحق سيظهر لا محالة، وأن هؤلاء الذين يجادلون عن أبي سفيان وهند ومعاوية وكل الطلقاء الذين حبسوك وحبسوا ابن أخيك في الشعب سيدركون الحقيقة التي يحاولون الهروب منها.

إن الحقائق تحاصرهم من كل ناحية.. وهم يواجهونها بمثل ما كانوا يواجهونك به من الحصار والتضييق والتكفير والرمي بالعذاب الشديد.. وينسون أن نور الله لا تطفئه أفواه البشر، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللـه بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: 8]

إلى الأم لمظلومة

سيدتي الفاضلة الكبيرة.. يا أشرف أم في الدنيا.. ماذا عساي أقول لك.. وكيف أعتذر لك عن نفسي، وعن أولئك الذين لا يزالون يخطئون في حقك..

لقد كنت أذكر جيدا في صباي الباكر ـ قبل أن تتدنس فطرتي، وينتكس عقلي ـ كيف كنا في باديتنا الجميلة نتغنى بك، وبجمالك، وبأخلاقك، وبأنوارك العظيمة..

كنا نحفظ عن ظهر قلب قولك، وأنت على فراش الموت تخاطبين ابنك الصغير محمد ﷺ وأنت تنظرين إلى وجهه الجميل البريء الممتلئ بالقداسة (1):

بارك فيك الله يا ابن الذي من
[illegible]

نجا بعون الملك فودي غداة الضرب
[illegible]

بمائة من إبل إن صح ما أبصرت
[illegible]

فأنت مبعوث إلى من عند ذي الجلال
[illegible]

تبعث في الحل تبعث بالتحقيق
[illegible]

دين أبيك البر تبعث بالتخفيف
[illegible]

أن لا تواليها مع فالله أنهاك عن
[illegible]

ثم قولك بعدها: (كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيرا، وولدت طهرا)

وكنا نردد ما قيل حينها فيك من أشعار لم يعرف أصحابها، فنسبت إلى الجن(2):

نبكي الفتاة البرة ذات الجمال العفة
[illegible]

زوجة عبد الله أم نبي الله ذي
[illegible]

1() رواه أبو نعيم عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها، انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 121)

2() المرجع السابق.

وصـاحب المنـبر صارت لـدى حفرتهـا

لـــو فـــوديت وللمنايا شفرة سنينه

لا تبقي ظعانـا ولا إلا أتت وقطعت

أمـــا هلكت أيهـــا عن الذي ذو العـرش

فكلنا والهة حزينه نبكيـــك للعطلـــة أو

وكنا نردد في الموالد قول البوصيري في همزيته:

فهنيئًا بـــه لآمنـــة الذي شرفت بـه

من لحـــواء أنهـــا أحمد أو أنهـا بـه

يـوم نـالت بوضـعه من فخـارٍ مـالم

وأتت قومها بأفضل حملت قبـــــلُ

وكنـا كلمـا قرأنـا قولـه تعـالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللـه نُـورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (المائـدة: 15)، تـذكرنا قولـك: (مـا شـعرت أني حملت به، ولا وجدت ثقله كما تجد النساء.. وأتاني آت وأنـا بين النائم واليقظان فقال لي: هل شعرت أنـك حملت؟ فـأقول: مـا أدري فقال: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيهـا.. وآيـة ذلـك أنـه يخرج معه نور يملأ قصـور بصـرى من أرض الشـام، فـإذا وضـع فسميه محمدا) (1)

وتذكرنا أنك حين حملت برسول الله ﷺ أتاك آت من ربك، فقال: إنـك قـد حملت بسـيد هـذه الأمـة، فـإذا وقـع إلى الأرض فقولي: (أعيذه بالواحد، من شر كـل حاسـد، من كـل بـر عاهـد وكل عبد رائد، يذود عنى ذائد، فإنه عنـد الحميـد الماجـد، حـتى أراه قد أتى المشاهد)(2)

لقد ذكر رسول الله ﷺ بعض ذلك، فقال مجيبـا لمن سـأله عن نفسه:(أنا دعـوة أبي إبـراهيم، وبشـرى عيسـى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصـرى من

1() رواه ابن سعد، والبيهقي وغيرهما، انظر: سبل الهـدى والرشـاد في سـيرة خـير العباد (1/ 328)

2() السيرة النبوية لابن هشام (1/ 293)

أرض الشام)[1]

وذكـر ذلـك بعض النسـوة اللاتي تشـرفن بالحضـور يـوم مولده ﷺ، فقد ذكرت بعضهن: أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله ﷺ ليلة ولدته، قالت: فما شئ أنظـره في الـبيت إلا نـور، وإنى أنظـر إلى النجـوم تـدنو حـتى إنى لأقـول: لتقعن على[2].

وقد اشتهر هذا النور الذي ظهر وقت ولادته ﷺ في قريش كلهـا، وكـثر ذكـره فيهم، حـتى أن العبـاس عم رسـول اللـه ﷺ قال[3]:

وأنت لمـــا ولـــدت ... ض وضـــــاءت

فنحن في ذلـــــك ... ر وسـبل الرشـاد

وقال آخر[4]:

لمّـــا اســـــتهلّ ... أضـــاء الفضـــا من

وعطّـر الكـون شـذا ... يّب من دانٍ ومن

ونـادت الأكـوان من ... يـا مرحبـاً بـالقمر

لكنا عندما كبرنا، ودخلنا الجامعـات.. وأخـذنا الشـهادات.. بدأت صورتك تبهت وتبهت إلى أن زالت.. وحلت مكانهـا صـورة لامرأة أخرى كانت تبغض ابنك بغضا شديدا..

لاشك أنك تعرفينها.. إنها هند بنت عتبة. تلك الـتي كنـا في صـغرنا نبغضـها لبغضـها لرسـول اللـه ﷺ.. وكنـا لا ننسـى أبـدا موقفها يوم أحد، يوم أخذت الدف هي ونسـوة قـريش، تضـرب عليـه خلـف الرجـال، وتحـرض على القتـال، وهي تقـول بكـل وقاحة[5]:

إن تقبلـــوا ... ونفـــرش

1() رواه الحاكم وصححه والبيهقي، سبل الهدى والرشاد في سـيرة خـير العبـاد (1/ 329)

2() رواه البيهقى، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (1/ 341)

3() سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (1/ 342)

4() المرجع السابق، (1/ 343)

5() السيرة النبوية لابن هشام (4/ 14)

أو تـــدبروا فراق غـير

ولا ننسى صورتها أبدا وهي تبقر بطن حمـزة، وتلوكهـا، ثم تلفظها، وهي تصرخ بأعلى صوتها(1):

نحن جزينـاكم بيـوم والحرب بعـد الحـرب

مـا كان عن عتبة لي ولا أخي وعمـــــــه

شـــفيت نفســـي شفيت وحشي غليـل

فشكر وحشـي علـى حـــتى تـــرم أعظمي

لكنا عندما كبرنا وتعلمنا، ونلنا الشهادات الجوفاء الممتلئـة بالغرور والكبريـاء نسـينا كـل ذلـك.. وملأنـا قلوبنـا بهنـد وبعلهـا وبنيها.. وصرنا نبشر بأن هندا وذويها كلهم في الجنـة.. أمـا أنت يا أطهر أم في الـدنيا.. فصـرنا نعتـبرك من أهـل النـار.. وصـرنا نحذر كل من يخالف هذا المعتقد بعذاب الله الشديد..

صرنا ـ بسـبب ذلـك التعليم المحشـو بالحقـد ــ نرميـك يـا سيدة الموحدين بأنك مشركة، وكـأن اللـه أعمى قلوبنـا عن أن نقرأ قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَـا الْمُشْـرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْـجِدَ الْحَـرَامَ بَعْـدَ عَـامِهِمْ هَـذَا﴾ [التوبـة: 28]، فـإذا كانت نجاسة المشركين تحـول بينهم وبين القـرب من المسـجد الحرام، فكيف تقبل العقول أن يكون الـرحم الـذي آوى رسـول الله ﷺ أشهرا معدودات نجسا..

وكيف تقبل العقول أن يكون أول لبن تغذى به رسول اللـه ﷺ نجسا؟

ليتنا في ذلك الحين جمعنا بين الآية الكريمة وقوله ﷺ: (ما ولـدني من سـفاح الجاهليـة شـيء ومـا ولـدني الا نكـاح كنكـاح الإسلام)(2).. فهذا الحديث لا يكرمك فقط، بل يكرم كـل آبائـك وأجـداك، وكـل آبائـه ﷺ من أبيـه وأجـداده.. فكلهم كـانوا على الطهارة والصفاء والإسلام.

لقد كان في إمكاننـا أن نجـد الأدلـة الكثـيرة الـتي تحافـظ على تلـك المكانـة في قلوبنـا نحـوك.. وكنـا نتقن أن نجمـع بين

1() السيرة النبوية لابن هشام (4/ 40)

2() رواه الطبراني، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 214)

جميع الأدلة حتى لو شئنا أن نحول الذئب خروفا لحولناه إلا عند الحديث عنك.. فقد كانت قلوبنا تعمى أن تبصر الحقائق.

لقد استطعنا بذكائنا، وقدرتنا على التلفيق والجمع أن نجعل من أبي سفيان بطلا من أبطال الإسلام، لا عدوا من أعدائه..

وقد استطعنا أن نحول من الجيش الذي لا يعدو بضعة آلاف يوم فتح مكة، والذي بسبب رؤيته أسلم أبو سفيان كما حفظنا. لقد جعلنا من ذلك الجيش معجزة أعظم من كل تلك المعجزات التي أظهرها رسول الله ﷺ لقومه لكي يؤمنوا.. أعظم من معجزة شق القمر التي ذكر الله موقف المشركين منها، وكان أولهم أبو سفيان، فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: 1،ـ 2] وأعظم من معجزة القرآن نفسه الذي ذكر الله تعالى موقف هند وأبي سفيان منه، فقال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: 30 ـ 32]

بل أعرضنا عن تدبر القرآن الكريم حين يخبر رسول الله ﷺ بأنه لا أمل له في أولئك المشركين الكبار الذين أخرجوه، وظاهروا على إخراجه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)﴾ [البقرة: 6، 7]

لقد استطعنا أن نحول من كل أولئك المشركين أناسا طيبين، بل مسلمين مخلصين، بل صحابة أجلاء لا يجوز تخطئتهم، ولا الكلام فيهم..

بل جعلناهم أولياء وقديسين حتى أنه لو صام أحدنا طول عمره، فلم يفطر، وقام فلم يفتر، فإنه لا يمكنه أبدا أن يصل إلى المكانة التي حلها أبو سفيان أو زوجه هند.

هكذا عُلمنا يا أشرف النساء وأطيبهم وأكرمهم.. فلا تلومينا.. وسامحينا.. واشفعي لنا عند ربك.. فلا شك عندنا أن الذي اختارك لتكوني أما لخير خلقه، قد جعل لك مكانة عالية، وجاها عريضا..

واشفعي لنا . سيدتي ـ عند ابنك رسول الله ﷺ الذي آذيناه بإيذائنا لك.. ولم نراع حرمته.. ولم نراع تحذير الله من إذيته، حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: 57]

لقد تشبهنا ببني إسرائيل في إذيتهم لموسى عليه السلام، ولأنبيائهم، مع أن الله حذرنا من التشبه بهم، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: 69]

سيدتي الطاهرة.. سأذكر لك بعض أعذاري.. فاسمعيها مني، ولا تلوميني.. فقد كنت غضا طريا.. وكان عقلي فارغا.. وكان للذين يلقونني تلك التعاليم، مع أترابي في الجامعة والمسجد، من السلطان ما لا طاقة لنا بمقاومته..

كانوا يقولون لنا: هذه هي السنة شئتم أو أبيتم.. فإن رفضتم فأنتم رافضة، أو أنتم قبورية، أو أنتم ملاحدة.. إن رفضتم فأنتم مشركون في كل الأحوال.

أذكر أن بعض مشايخنا.. كان صعيديا.. كان اسمه.. دعنا من اسمه، فلعله هو الآخر يتوب.. ويكتب رسالة باكية لك، يترجاك فيها أن تسامحيه.

لقد تنكر لحب أهله من الصعايدة لك، فلم يكفه أن يعتقد ما اعتقد المبغضون لك.. بل راح يبشر بذلك، ويكتب رسالة عنك وعن زوجك الطاهر عبد الله سماها (التعبد المرضي بإثبات كفر والدي النبي كما نطقت بذا الآثار، وجاءت به صحيح الأخبار، مخالفين بذا كل غبيٍّ أبيّ)(1)

ليس هو فقط من تكلم عنك.. لقد تفرغ رجال كثيرون لإخراجك من مقعد الصدق الذي أعده الله لك في الجنة بجوار حبيبك وابنك رسول الله ﷺ.. وكأن الجنة التي وسعوها لهند وبعلها وبنيها ضاقت عنك.

لقد راحوا جميعا بكل ما أوتوا من قوة وحيلة يحاولون أن يثبتوا أنك لست من الذين لا نعلم مصيرهم عند الله.. ولست من أهل الفترة الذين نكل أمرهم إلى الله.. وإنما أنت من دونهم جميعا من أهل جهنم.. ومن المعذبين فيها.

ويلهم.. كيف يتجرؤون على قول هذا.. بل على كتابته؟

1() هي لمحمد بن عبدالحميد حسونة.

هل تسمحين لي سيدتي أن أدوس على مشاعر الغيظ في قلبي.. وأذكر لك ما نشروه عنك.. وعن مصيرك..

لقد أوردوا في ذلك أحاديث لست أدري من حدثهم بها يخبر فيها ابنك رسول الله ﷺ بأنك وزوجك عبد الله كلاكما في النار..

فقط أنت وعبد الله أوردوا فيك مثل هذه الأحاديث.. أما أجداد هند وأبي سفيان وأبي جهل والوليد بن المغيرة.. فلم يرووا فيهم حديثا واحدا.. لقد اكتفوا في جواب من يسألهم عنهم أن يقرأوا قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، ثم يعقبوا على الآية الكريمة بأن أولئك جميعا كانوا من أهل الفترة.. ولم يكن هناك نبي..

بل ذهب بعضهم إلى أنهم حتى لو كانوا مشركين.. فقد كان شركم أفضل بكثير من شرك الذين أحبوك أو دافعوا عنك، أو كتبوا القصائد في مديحك.

لقد كانوا يجيبون من يسألهم عن أم أبي سفيان من القرآن بتلك الآية، أما أذا سئلوا عنك أيتها الطاهرة النقية فقد كانوا يقرؤون عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ [البقرة: 119]، ثم يذكرون له أن الآية نزلت فيك وفي زوجك عبد الله.. وأن ابنك رسول الله ﷺ كان يقول كل حين حزنا عليك: (ليت شعري ما فعل أبواي، ليت شعري ما فعل أبواي، ليت شعري ما فعل أبواي؟)، فنزلت الآية لتملأ عليه حياته حزنا، وتنسخ معها قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: 5]، فلا يملك رسول الله ﷺ إلا أن يكف عن ذكرهما حتى توفاه الله، عز وجل (1).

هكذا استبدلوك بهند وبأبي سفيان وبغيرهم ممن تعلمين.. وكأن الله عوض رسوله ﷺ عنك وعن أبيه بأولئك الذين لم يتركوا سبيلا لحربه وعداوته إلا فعلوه.

ويستدلون لذلك بحديث يروونه من أن ابنك محمدا ﷺ لما قدم مكة، أتى رسم قبر، فجلس إليه، فجعل يخاطب، ثم قام مستعبراً، فقيل له: يا رسول الله! إنا رأينا ما صنعت.. فقال: (إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها، فلم يأذن لي).. وأنه ما رؤي باكياً أكثر من يومئذ

1() تفسير عبد الرزاق (2/78) وتفسير الطبري (2/558).

.(1)

وليتهم إذ رووه بكوا.. لا.. لقد كانوا مسرورين جذلين لأنهم وجدوا ما يؤكد لهم اعتقادهم.. أنا لا أكذب هذا الحديث.. فقد يكون صحيحا.. ولكني لا أرى فيه إلا نورا آخر من أنوار جمالك وكمالك.. فالاستغفار يكون للمذنبين، أما أنت فمن المصطفين الأخيار الذين نكتفي بالسلام عليهم، كما قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: 59] ولذلك فأنت يقال لك: آمنة عليها السلام.. لا آمنة غفر الله لها. لكنهم للأسف لم يلاحظوا هذا.. بل راحوا ينقلون عن بعضهم قوله ـ بعد ذكر الحديث: (فيه جواز زيارة المشركين في الحياة وقبورهم بعد الوفاة؛ لأنه إذا جازت زيارتهم بعد الوفاة ففي الحياة أولى.. وفيه النهي عن الاستغفار للكفار)

بل إن بعضهم تجرأ فراح يزعم أن ابنك رسول الله ﷺ لم يزرك قاصدا لزيارتك، وإنما زارك قصد قوة الموعضة والذكرى بمشاهدة قبرك..

لم يكتفوا بهذا ـ سيدتي ـ بل راحوا ينقلون الإجماع.. وكأن الأمة اختصرت فيهم.. فقد ذكروا عن بعضهم (إجماع السلف والخلف على عدم نجاة أبوي النبي ﷺ..) ونقلوا عنه قوله: (اتفق السلف والخلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسائر المجتهدين على ذلك من غير خلاف لما هنالك)(2)

لا تحزني أيتها الطاهرة النبيلة، فليس هناك إجماع ولا هم يحزنون.. كل ما في الأمر أنهم ثلة من الناس رفعت الحياء عن وجهها، فراحت تصحح كل ضعيف، وتحيي كل ميت في سبيل أن تنال منك..

لكن الكثير من محبيك قاموا ليدافعوا عنك وعن زوجك عبد الله، وألفوا في ذلك رسائل وكتبا.. كان منها (الانتصار لوالدي النبي المختار ﷺ) للسيد مرتضى الزبيدي.. ومنها (تحقيق آمال الراجين في أن والدي المصطفى من الناجين) لابن الجزاز.. ومنها (التعظيم والمنة في أن أبوي المصطفى في الجنة)، و(مسالك الحنفا في والدي المصطفى) للسيوطي..

1() رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، ج 7 ص 46..

2() أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول ﷺ لعلي بن سلطان محمد القاري تحقيق: مشهور بن حسن بن سلمان - مكتبة الغرباء الأثرية - الطبعة الأولى 1413هـ، ص(7 - 8)

ومنها (ذخائر العابدين في نجاة والد المكرم سيد المرسلين ﷺ) للأسبيري.. ومنها (مرشد الهدى في نجاة أبوي المصطفى ﷺ)للرومي.. ومنها (مطلع النيرين في إثبات نجاة أبوي سيد الكونين ﷺ) للمنيني.. ومنها (هدايا الكرام في تنزيه آباء النبي ﷺ) للبديعي.. ومنها (أمهات النبي ﷺ) للمدائني.. ومنها (تأديب المتمردين في حق الأبوين) لعبد الأحد بن مصطفى الكتاهي السيواسي.. ومنها (قرة العين في إيمان الوالدين) للدويخي.. وغيرها كثير.

هل أخبرك ـ سيدتي ـ بشيء قد يثير عجبك.. ولكن لا تتعجبي، فأمثال هذه العقول يمكنها أن تجمع المتناقضات، ولا تضيق بها..

إنهم يروون عن بعضهم قوله: (وفُضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين: سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ)(1)

كان في إمكانهم لو طبقوا هذا على أنفسهم.. لا بسؤال اليهود والنصاري.. فقد يكذبون.. وإنما بسؤال القرآن نفسه.. لا عن أصحاب موسى، فقد أخبر الله عما فعلوه به.. ولا عن أصحاب المسيح، فقد أخبر القرآن عن انحرافهم عنه.. وإنما يسألوا القرآن الكريم نفسه عن أم موسى وعيسى.. فإذا سألوه فسيجيبهم بأن أم موسى أوحى لها الله: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7] وأما أم المسيح، فقد أوحى لها الله: ﴿ يَامَرْيَمُ إِنَّ الله يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: 45] ونحسب أن ما رأيته وما سمعته لا يقل عما رأته أم موسى أو أم المسيح.. لأن محمد ﷺ هو سيد موسى والمسيح.

ليتهم يعملون القياس الذي تعودوا أن يعملوه في كل شيء، ليروا أنفسهم أسوأ من اليهود والنصارى في موقفهم من أم نبيهم.. مع العلم أن أم أي شخص في الدنيا أقرب إليه

1() منهاج السنة: ج/1-ص/27.

وأعز من كل أصحابه..

أمر أخير . سيدتي . أريد أن أبثه لك.. ولست أدري هل يحق لي ذلك أم لا.. فاعذريني فأنا عبد بسيط حقير.. معارفه محدودة.. وقد أكون مخطئا فيما سأذكره لك.

لقد كان المدافعون عنك.. وكأنك مذنبة أو ظالمة.. يلتمسون كل السبل، ليثبتوا إيمانك.. حتى أنهم ذكروا حديثا بأن الله أحياك لرسوله ﷺ لتؤمني به.. ولست أدري كيف أني من غير قصد لم أصدق ذلك.. ووقعت عند عدم تصديقي مع الفريق الذي أعلن عليك الحرب.. طبعا أنا لم أصدق ذلك لا لكونه غريبا.. فالله قادر على كل شيء، والذي أحيا الموتى للمسيح عليه السلام، لا يعجز عن إحياء الموتى لرسول الله ﷺ..

ولكني لم أصدقه لأجل الغاية التي وردت في الحديث.. وهي أنك حييت لأجل أن تؤمني به.. لأني أعلم أنك كنت مؤمنة به قبل أن يولد.. وبعد أن ولد.. ومت وأنت من أكثر خلق الله عشقا له.

وحتى بعد موتك.. أنا أعتقد أن الله القادر على كل شيء، والذي جعل الشهداء أحياء عنده.. ويستبشرون بما يروه من أعمال من لم يلحق بهم.. أعتقد جازما ـ ولا يهمني أن أرمى بالخرافة أو الضلالة أو البدعة ـ أنك كنت حية تتابعين كل حركة وسكنة من حركات ابنك وسكناته.. وتستبشرين بذلك.. ولذلك لم تكوني بحاجة إلى إحياء..

لكن ذلك الصعيدي الجافي الغليظ وأصحابه تصوروا أنهم بمجرد الحكم على وضع الحديث وكذبه يكونون قد قضوا على الدليل الوحيد الذي يحميك من نار جهنم..

لقد نقل هذا الصعيدي، وغيره من الذين امتلأت قلوبهم قسوة وغلظة قول ابن الجوزي في ذلك الحديث: (هذا حديث موضوع لا يشك فيه، والذي وضعه قليل الفهم، عديم العلم، إذ لو كان له علم لعلم أن من مات كافرا لا ينفعه أن يؤمن بعد الرجعة، لا بل لو آمن بعد المعاينة، ويكفي في رد هذا الحديث قوله تعالى: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217])[1]

1() الموضوعات، (1: 284).

هل سمعت ما قال؟.. إنه يقـول بأنـك حـتى لـو حـييت من جديـد، فـإن ذلـك لن ينفعـك.. وكـأن اللـه قـدر لـك العـذاب لا محالة..

ولست أدري هل ذلك كان عقوبة لـك لكونـك حملت بخـير خلق الله.. أم لأي شيء آخر.

أما من يسمونه شيخ الإسلام، الذي هو أستاذ كل من تكلم فيك.. فقد علق على ذلك الحديث بقوله، وهو في غاية الغبطــة والسرور: (لا نزاع بين أهل المعرفة أنه من أظهر الموضــوعات كذباً، كما نص عليه أهل العلم، وليس ذلك في الكتب المعتمـدة في الحـديث، لا في الصـحيح ولا في السـنن ولا في المسـانيد، ونحــو ذلــك من كتب الحــديث المعروفــة، ولا ذكــره أهــل كتب المغازي والتفسير، وإن كانوا قد يروون الضـعيف مـع الصـحيح، لأن ظهور كذب ذلك لا يخفى على متدين، فإن مثل هذا لو وقـع لكـان ممـا تتـوافر الهمم والـدواعي في نقلـه، فإنـه من أعظم الأمور خرقاً للعـادة من وجهين: من جهـة إحيـاء المـوتى.. ومن جهة الإيمان بعد الموت.. فكان نقـل مثـل هـذا أولى من غـيره، فلما لم يروه أحد من الثقات علم أنه كذب)[1]

هـل رأيت أيتهـا الطـاهرة كيـف يتكلمـون عنـك.. وكـأنهم قطعوا كل حبال النجدة التي يمدها إليـك محبـوك من البسـطاء والمتواضعين، والذين رضوا أن يصـدقوا بـالمعجزات والخـوارق في سبيل أن يثبتوا نجاتك.

وقد غاب عنهم جميعا أنك لست ناجية فقط.. وأنـك لسـت من أهــل الجنــة فقــط.. بــل أنت محــل نظــر اللــه.. ومحــل اصطفائه.. فهو اختارك من بين نسـاء العـالمين جميعـا لتكـوني أمــا لحبيبــه الــذي اصــطفاه وارتضــاه.. ومن كــان محلا لهــذا الاصطفاء لا يمكن أن يتخيل خيال، أو تدرك نفس ما أعد له من قرة أعين.

هذه رسالتي . سيدتي . مضمخة بدموعي.. وبحرارة الشوق لك، ولابنك.. ولأحفادك الطاهرين.. فتقبليها مـني.. وكـوني أنت وابنك وأحفادك شفعاء لي عند ربك.

1() مجموع الفتاوى (4/ 325)

إلى الزوجة الوفية

سيدتي الطاهرة الوفية المظلومة خديجة..

يـا أم كـل الطـاهرين الشـهداء الـذين تـزينت بهم الأرض، وتضـمخت بعطـرهم السـماء.. يـا أم الزهـراء، وجـدة الحسـن والحسين، وجـدة كـل أولئـك الـذين ملأوا الأرض سـلاما وجمـالا وطهرا.. يا زوجة رسول الله ﷺ.. يا من بشرك جبريل بالجنان.. وألقى إليك تحيات السماء..

يا من ملأت قلوبنا أشواقا ورقة.. فكلمـا نتـذكرك، ونتـذكر تضحياتك، تنهمر الدموع من مآقينا، لا نستطيع كفكفتهـا، وكيـف نستطيع، ومشهدك وأنت تعـانين في رمـال الشـعب، محاصـرة جائعة ظمآنة، مثلما حوصر حفيدك الحسـين، وأهـل بيتـه الـذين هم من نسلك الطاهر.. لا يغادر أبصارنا ولا بصائرنا.

اسمحي لي أيتها الزوجة الوفية.. والأم الغالية.. والشـهيدة الصديقة.. أن أحدث قومي بشأنك، فقـد رأيت فيهم من الغفلـة عنك، ما جعلهم لا يكادون يذكرونك بين زوجات رسـول اللـه ﷺ مع أنك كنت زوجته الوحيدة في أكثر سني عمره، وفي السـنين التي لم يكن فيها إلا معك، قبل أن تزدحم عليه تكاليف الرسالة وأعباءها في المدينة المنورة؛ فلا يكاد يمكث في بيته إلا قليلا.

ومع ذلك، وبعد فراقك الحزين له، بقي يحن إليك، ويذكرك كل حين، لأنك لم تغادري قلبه، ولا حياتـه، بـل كـان يحن للأيـام التي كنت فيها سنده، وكنت فيها المثال الأعلى للمرأة الصديقة الطـاهرة المجاهـدة الـتي لم يكن لأي امـرأة غيرهـا، أن توضـع معها، أو تقارن بها.

ولم يكن ذلك نتيجة عاطفة من عواطـف البشـر العـاديين؛ فرسول الله ﷺ معصوم العاطفة، فلم يكن ينظـر إليـك جسـدا، وإنما كان ينظر إليك روحا شفافة مملوءة بقيم الجمال؛ فلـذلك كان يحدث عنـك أمتـه، لتجعلـك رمـزا من رموزهـا، وقيمـة من قيمها، ومعنى من معانيها النبيلة.

لقد كان يقول عنـك وعن فاطمـة الـتي هي بضـعة رسـول اللـه ﷺ ابنتـك، ومـريم، وامـرأة فرعـون: (حسـبك من نسـاء العالمين: مريم ابنة عمران وخديجـة بنت خويلـد. وفاطمـة بنت

محمد، وآسية امرأة فرعون)(1)

وكان يكرر ذلك لأمته لتملأ قلوبها بمحبتك، ومحبة القيم النبيلة التي تحملينها، والتي أهلتك لذلك الشريف الرفيع في مراتب الإنسانية، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط. فقال: أتدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد ﷺومريم ابنة عمران وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون)(2)

وهذا الفضل ـ أيتها الوفية الصديقة ـ ليس فضلا اعتباطيا ـ كما يتوهم المغلفون ـ ولا عاطفيا، فرسول الله ﷺ أكبر من أن يحكم بعاطفته، وقد قال تعالى عنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3،ـ 4]، وإنما كان ﷺ يعبر عن الحقائق الكبرى للوجود، ومنها وجودك الممتلئ بالطهر والقداسة، فأنت ركن من أركان الجمال الأنثوي في معانيه السامية التي لا تراها العيون المحبوسة في قيود الكثافة.

ولذلك لا نستطيع نحن ولا غيرنا أن نعرفك، أو نعرف معنى كونك أحد أولئك الأربع الذين تأسس عليهم الجمال الملكوتي للمرأة.. وإنما يمكننا أن نعرفك فقط من خلال ما روي عنك، وهو قليل جدا بجانب حقيقتك التي امتلأت بها جوانحك، حتى يختارك الله لنبيه، وفي أحرج الفترات التي تمر بحياته.

ونحن نحسب، بل نوقن أن تلك المعاني النبيلة التي كان قلب رسول الله ﷺ يمتلئ بها، حين يذهب إلى حراء أو قبلها أو بعدها، كان يبثها إليك، فيستحيل على الزوجة ألا تسأل زوجها، ويستحيل عليك وأنت من امتلأت بحب رسول الله ﷺ ألا تعرفيه، وتعرفي الأسرار التي كان يمتلئ بها، ولذلك كنت أول المؤمنين إيمانا.

ولم تكوني في حاجة للذهاب إلى ورقة بن نوفل أو غيره، ليثبت لك ذلك.. فكل ذلك من رواية البغاة الذين أرادوا تشويهك وتشويه رسول الله ﷺ.. ومن العجيب أنهم يذكرون أن موسى عليه السلام عرف كونه نبيا، بل طلب النبوة لأخيه، عند كلام الله له، ثم يجعلون رسول الله ﷺ محتاجا إلى ورقة وغيره

1() رواه الترمذي بسند صحيح والنسائي والحاكم (التاج الجامع للأصول 379 / 3)

2() رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الزوائد 223 / 9)

ليثبت له نبوته..

وكل ذلك تضليلات من الفئة الباغية لتصور رسول الله ﷺ بالصورة التي يرغبون فيها.. ولذلك نحن نوقن بأن معرفتك بشأن رسول الله ﷺ وكونه محلا للنظر الإلهي، ومحلا لارتباط الأرض بالسماء، لم يكن وليد بعثته فقط، وإنما كان قبل ذلك بكثير..

وقد روى الرواة أن سبب زواجك به، وتركك للزواج من غيره، رغم كثر من طلب يدك، هو انتظارك لذلك اليوم الذي تتحقق فيه أمنيتك، فقد روي أن نساء أهل مكة احتفلن في عيد كان لهن في رجب، فلم يتركن شيئا من إكبار ذلك العيد إلا أتينه، فبينما هن في عيدهن تمثل لهن رجل، فلما صار منهن قريبا نادى بأعلى صوته: (يا نساء مكة إنه سيكون في بلدكن نبي يقال له أحمد، يبعث برسالة الله، فأيما امرأة استطاعت أن تكون له زوجا فلتفعل؛ فحصبته النساء وقبحنه وأغلظن له، وأغضت خديجة على قوله، ولم تعرض له فيما عرض فيه النساء)(1)

ومن ذلك اليوم، وأنت تبحثين عن ذلك الزوج الكريم.. وعندما علم الله صدقك، دلك عليه، فلم يكن حديث ذلك الرجل الذي سمعته كما سمعه النسوة معك سوى دعوة إلهية لك، لتلتحقي بقافلة الطهر، التي كانت تهيأ ذلك الحين.

ونحن لا نستغرب هذا، ولا نتعجب منه، فكما هيأ الله تعالى للمسيح أما من صغرها الباكر، فأنت أيضا قد هيئت لرسول الله ﷺ تهيئة خاصة، ولذلك كنت ومريم في درجة واحدة.

وقد أشار ابن عمك ورقة بن نوفل إلى كثرة ذكرك له ﷺ، وكثرة بحثك عنه، فقال بعد أن وصفت له ما ذكره لك ميسرة: (لئن كان هذا حقا يا خديجة، فإن محمدا لنبي هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه)(2)

ثم أخذ أمامك يذكر أشواقه إلى هذا النبي الموعود، وكأنه يعبر عن أشواقك أنت أيضا؛ فقد قال:

1() رواه المدائني، عن ابن عباس، انظر:شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (4/ 365)

2() السيرة النبوية لابن كثير (1/ 268)

لججت وكنت في لهم طالما بعث النشيجا

ووصف من خديجة بعد فقد طال انتظاري يا

ببطن المكتين على حديثك أن أرى منه

بما خبرتنا من قول من الرهبان أكره أن

بأن محمدا سيسود ويخصم من يكون له

ويظهر في البلاد ضياء يقيم به البرية أن تموجا

فيلقى من يحاربه ويلقى من يسالمه

فيا ليتي إذا ما كان شهدت فكنت أولهم

في الذي كرهت ولو عجت بمكتها عجيجا

أرجي بالذي كرهوا إلى ذي العرش إن

وهل أمر السفالة غير بمن يختار من سمك

فإن يبقوا وأبق تكن يضج الكافرون لها

وإن أهلك فكل فتى من الأقدار متلفة حروجا

وهكذا وردت الروايات الكثيرة تخبر عن علمك بالشأن الذي كان لرسول الله ﷺ مثلما كانت تعلم أمه وعمه وجده، والذين كانوا يحرصون عليه، ويعلمون أن له شأنا عظيما عند الله تعالى.

ولذلك نحن نكذب كل الروايات التي تسيء إليك، وتصورك بصورة المرأة الجاهلية العادية التي تعبد الأصنام، وتمارس ما يمارسه أهل الجاهلية من طقوس، ذلك أن تلك المنزلة الرفيعة التي أهلت لها، لم تكن لتسمح بذلك، فعقلك لم يكن أقل نضجا من عقل أولئك الحنفاء، ولا من عقل أولئك الموحدين المحافظين على دين إبراهيم..

وكيف يكون الأمر كذلك، وأنت لم تذكري زواجك لسدنة الأصنام المحيطة بالكعبة، وإنما ذكرتها لابن عمك لعلمك بتوحيده وإيمانه وانتظاره للنبي الموعود، والذي لم يكن يختلف عن انتظارك.

لكن المشاغبين من الفئة الباغية راحوا يصـورونك بصـورة أخرى، بل إنهم في بعض ما يروونه يذكرون أنك سقيت أباك أو عمك خمرا حتى يوافـق على زواجـك، بـل إن بعضـها يـذكر أنـه كان ثملا عندما حدثته عن ذلك.

وكل ذلك زور وبهتان وتلفيق من أعـدائك الـذين لم يجـدوا في حياتـك مـا يمكن أن يسـيء إليـك، فراحـوا ــ بعـد وفاتـك ـ يستحلون الكذب عليك، كما استحلوه على رسول الله ﷺ، وكل الأنبياء والصالحين.

لقد رووا عن الزهري، وأنت تعرفين تدليسه، وصلته بالفئة الباغيـة من بـني أميـة، أنـه قـال يحـدث عن كيفيـة زواجـك من رسول الله ﷺ: (.. فانطلقت إلى أبيها خويلد بن أسد، وهو ثمـل من الشراب، فقالت: هذا ابن أخيك محمَّد بن عبـد اللـه يخطب خديجة، وقد رضيت خديجـة، فـدعاه، فسـأله عن ذلـك، فخطب إليه، فأنكحه، قـال: فخَلَّقتـه خديجـة، وحَلَّت عليـه حلـة، فـدخل رسول الله ﷺ بها، فلما أصبح، صحا الشـيخ من سـكره، فقـال: ما هذا الخلوق، وما هـذه الحُلَّة؟ قـالت أخت خديجـة: هـذه حلَّة كساكها ابن أخيك محمد بن عبد الله أنكحتـه خديجـة، وقـد بـنى بها، فأنكر الشيخ، ثم سلَّم إلى أن صار ذلك واستحيي، وطفقت رُجاز من رُجَّاز قريش تقول:

لا تزهدي خديجُ في محمَّد.. جلد يضيء كضياء الفرقد)(1)

ولم يكتفوا بذلك، بل راحوا يصورون أنك التي قمت بذلك، لأنك لم تستطيعي إقناعهم بالقبول بزواجك من رسول الله ﷺ؛ فرحت تحتالين عليهم بالخمر.. وكل ذلـك ليشـوهوك، ويشـوهوا رسول الله ﷺ، ويذكروا أنه لم تكن له أي مكانة بين قومه على الرغم من كل الروايات التي تشيد بـه، وتـذكر أن قومـه جميعـا كانوا يصفونه بأنه الصادق الأمين(2).

1() المغازي النبوية لابن شهاب الزهري ص 43..

2() وقد كانت هذه الروايات التي لفقوها سببا في طعون المستشـرقين، فقـد قـال دورمنغم: (ولم يتم لخديجة ما عـزمت عليـه بغـير مقاومـة، فلم يـرق أسـرتها وهي غنيـة حليفة لبني مخزوم، أن تتزوج يتيما فقـيرا غـامض الأمـر دون بـني مخـزوم قـدرا) [حيـاة محمد، ص43]، وهذا غريب، فلم يكن بنو أسد حلفاء لبـني مخـزوم، وهكـذا علـق بـودلي على هذا الأمر فقال: (لو أن محمـدا كـان من عليـة القـوم الأربعمائـة، ولـو أنـه كـان من أعضاء الندوة الأغنياء أو بني المطلب، الذين عاشوا حـول الكعبـة..بـل كـان نقيض ذلـك) [الرسول، ص46]، وقال: (وقامت خديجة في نفس الوقت، تمسح رأس عمها بالزعفران والعنبر، ودوت في أركان بيت خديجة أصوات التهليل، وصار زواج محمد من خديجة أمـرا واقعا، وما كانت خديجة بالمندفعة في هذه الفرصة السـانحة فقـد تعلم فعـل الخمـر في

وهم يعلمون أن الخمر لم يكن يشربها في ذلك العصـر إلا الصعاليك، أما أصحاب المروءات، فلم يكونوا يقربونها، بل كانوا يعتبرونها من الرجس الذي يسيء إليهم، وقـد رووا أن العبـاس بن مرداس السلمي، والذي لم يكن أكثر مرؤة من والدك، قال: (لا أشرب شرابا أصبح سيد قومي، وأمسي سفيههم)(1)

وهكـذا يـذكرون أن الشـاعر المعـروف طرفـة بن العبـد تحاشـاه قومـه بسـبب معاقرتـه الخمـر، كمـا يفعلـون بـالبعير الأجرب، فراح يعبر عن ذلك بقوله(2):

ومـــــازال تشـــــرابي الخمـــور ولذتـــي وبيعي وإنفاقي طريفي مخلـ

الى أن تحـــامتني العشيرة كلها وأفـردت أفـراد البعـير المعبّـ

ألا أيهـــذا الزاجـــري أحضر الوغى وإن أشهد اللـذات هـل أنت مخلـ

فـإن كنت لا تسـتطيع دفعي أبادرهـا بمـا ملكـت كفـاي أو هـو مقتـ

والعجيب أن هؤلاء الذين يذكرون هـذا، هم أنفسـهم الـذين يذكرون أنك كبيرة السن، وسبق لك الزواج قبل رسول الله ﷺ، وأنك لم تكتف قبله بزوج واحـد، وإنمـا تـزوجت بـزوجين، وكـل ذلك، حتى يثبتـوا أنـك لسـت أكـثر شـأنا من غـيرك، ولا أفضـل منهم.. وكل ذلك كذب وزور وبهتان ينفيه العقل والنقل.

أما العقل، فالكل، وفي جميع العالم يعلم أن الـزواج الأول لأي شخص، وخاصة في مرحلة الشباب، يكون من البكر، لا من الثيب، ويكون من المرأة الـتي تدانيـه في السـن، لا الـتي تكـبر عليه.. وهذا من المتفق عليه بين طباع البشر جميعا، وخصوصـا بين العرب الذين كان رسول الله ﷺ واحدا منهم.

ولم يدر هؤلاء أن ذلك التبرير الخطير الـذي وضـعوه، وهـو كونك غنية مع فقر رسـول اللـه ﷺ، يسـيء لا لـك فقـط، وإنمـا يسيء إليه أيضا، لأن العـادة جاريـة على أن الشـخص لا يـتزوج المـرأة الـتي تكـبره سـنا إلا لطمعـه في مالهـا، أو في بعض المصالح التي يقضيها من وراء زواجه منها.

النفوس، وحين كان كل يربت على كتف صاحبه ويتقارعون الكؤوس ويتفاخرون، جاء من يكتب العقد وفي هذا الجو الذي يغلب عليه الصفاء، أتفق على الصداق وتم عقـد القـران وانتهى الأمر، وصار محمد يعد بعلا لخديجة بحسب شريعة مكة) [الرسول، ص35]

1() أبو علي القالي، الأمالي، 1/205.

2() الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص86 ـ.

ولو أن هؤلاء الذين أشاعوا هذا راحوا يستعملون عقولهم في الروايات التي تؤرخ لعمرك، لعرفوا أنك لم تكوني إلا تربا لرسول الله ﷺ، وفي نفس عمره، وقد ذكر البيهقي ذلك، وصححه، وأورد غيره الأدلة عليه(1).

لكنهم أبوا إلا أن يجعلوك ــ حين تقدم رسول الله ﷺ لخطبتك ـ بنت ست وأربعين سنة، أو في سنّ الأربعين(2)، ومن العجيب أنهم يذكرون أن أهلك مع ذلك كانوا مترددين في زواجك من رسول الله ﷺ الذي كان حينها لا يزال شابا يافعا لا يجاوز الإحدى وعشرين سنة (3).

ولو أنهم رجعوا لما ذكروه في تاريخ وفاتك، وعمرك حينها، لعرفوا ذلك، فقد ذكر البيهقي في دلائل النبوة أن عمرك حين الوفاة كان خمسين سنة، فقال: (لقد بلغت خديجة خمساً وستين سنة، ويقال خمسين وهو أصح)(4)، وهكذا اعتمد ابن كثير على رواية البيهقي، فذهب إلى أن عمرك حين الوفاة كان خمسين سنة (5).

وهم يتفقون على أن زواجك برسول الله ﷺ كان قبل البعثة بخمس عشرة سنة، وأنك مكثت معه في بيته زوجة له خمسا وعشرين سنة.. وهذه الحسابات وحدها كافية لرد تلك الأباطيل التي يشيعونها عنك قصد تشويهك، وتشويه النبوة معك.

ولم يكتفوا بذلك، بل راحوا يذكرون زواجك قبل رسول الله ﷺ، حتى يهونوا من شأنك، وقد كان الكذب واضحا في تلك الروايات، فبينما هم يذكرون تنافس أشراف قريش على طلب

1() انظر: دلائل النبوة للبيهقي ج2 ص71 والبداية والنهاية ج2 ص294 و295، السيرة النبوية لابن كثير ج1 ص265.

2() انظر: ابن اثير، الكامل، ج2، ص39؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج8،ص174؛ ابن اثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1، ص23.

3() هكذا روى الزهري، فقد روي عنه أنه قال: كان عمر رسول الله ﷺ إحدى وعشرين سنة، وهو يتناسب مع عمر الزواج في ذلك الوقت، وقيل: خمساًوعشرين سنة، زمان بنيت الكعبة، وفي الاستيعاب لابن عبد البر أنّ عمر النبي ﷺ عند الزواج بخديجة خمس وعشرون سنة، ونقل ابن الأثير أقوالاً مختلفة في ذلك وهي: (٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٧)سنة[انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج5، ص314، ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج١، ص٣٥].

4() دلائل النبوة: ج2، ص71.

5() سيرة ابن كثير: ج1 ص264.

يدك، بل يذكرون تردد أهلك في رسول الله ﷺ حين طلبك، إذا بهم يذكرون أن الذي تزوجك لم يكن سوى شخصين عاديين لم يكن لهما أي قيمة اجتماعية، وقد تناقضوا فيهما كما تناقضوا في كل ما يدلسونه عليك(1)، لأنهم يعرفون أن هناك الكثير ممن لا يقرأ، ولا يحقق، بل يكتفي فقط بأن يستمع، ويردد ما يقال له.

لم تقتصر إساءاتهم إليك على ذلك فقط، بل إنهم راحوا يتلاعبون بتلك النصوص المقدسة الكثيرة التي وردت في فضلك، يؤولونها ليصرفوا عنك الأفضلية لتصبح لغيرك، مع أن رسول الله ﷺ كان يخبر كل حين أنك أنت الأفضل، لا باعتبارك جسدا، وإنما باعتبارك ممثلة لكل القيم النبيلة التي لم تجتمع إلا في النساء الأربع.

ومن ذلك ما حدثت به عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة؛ فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلا عجوزاً، فقد أبدلك الله خيراً منها، فغضب، ثم قال: (لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء)، قالت عائشة: (فقلت في نفسي لا أذكرها بسيئة أبداً)(2)

فذكر رسول الله ﷺ لك بين الناس يدل على أنك من أولئك الذين أمرنا بذكرهم والثناء عليهم، لا لذواتهم، وإنما لتحولهم إلى قيم نبيلة، يمكن أن يتخذها الناس أسوة لهم في حياتهم.

وكيف لا يفعل ذلك، وقد أمره الله تعالى بذكر صاحبتك مريم عندما قال: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: 16]، فأنت ومريم في مرتبة واحدة، وفي محل واحد، ولذلك كان ذكرك مطلوبا مثل ذكرها.. ذلك أنه بذكركما تذكر المعاني الطاهرة.

1() بعض المصادر تسمي أحدهما أبا شهاب عمرو الكندي، وتسميه أُخري مالك بن النباش بن زرارة التميمي، وأُخري تسميه هند بن النباش، وأُخري تسميه النباش بن زرارة، وأما من دعي بعتيق بن عائذ المخزومي، وهو الزوج الثاني المفترض، فقد سمته بعض المصادر عتيق بن عابد التميمي إلي غيرذلك..

2() رواه أحمد وإسناده حسن (مجمع الزوائد 224 / 9)

ولذلك كان ﷺ يذكرك أمام النساء، لا باعتبارك زوجة له، وإنما باعتبارك رمزا عمليا لكل القيم النبيلة التي تمثلت فيك.. وكيف لا تتمثلينها، وأنت التي أخرت زواجك حتى تلتقي به ﷺ، وبقيت أشواق قلبك معلقة إلى أن وصلت إليه، ثم ضحيت بعد ذلك بكل ما تملكين، وآثرت الحصار والجوع والآلام على تلك العزة التي كان يمكن لأموالك أن توفرها لك.

ولكن مع ذلك كله نظر الباغون إليك نظرة أخرى، غير تلك التي كنت عليها، والتي رسمها ﷺ عنك.. حيث تصوروا أن الأمر مرتبط بالأهواء لا بالدين.. فلذلك راحوا يستعملون كل الحيل التي تجعلهم يصورون أن الله تعالى أبدلك بمن هو خير منك.. مع أن رسول الله ﷺ كان يردد كل حين: (لا والله ما أبدلني الله خيراً منها)، وهي كلمة عظيمة من الذي لا ينطق عن الهوى، ومشفوعة بقسم.. وما كان رسول الله ﷺ يقسم عن هوى، أو يتحدث عن هوى.

والعاقلون يدركون ذلك، ولا يحتاجون لقسم من رسول الله ﷺ .. فالفطرة السليمة تدل على ذلك، فكيف يوضع معك غيرك، وأنت التي قدمت من الخدمات للإسلام في تلك الفترة الحرجة ما تنوء به الجبال.. ويكفي من ذلك أنك كنت أول النساء إسلاما، وبذلت كل مالك في سبيل الله إلى أن مت في الشعب فقيرة محاصرة لا تجدين شيئا تأكلينه.

وقد ذكر رسول الله ﷺ بركات مالك على الدعوة الإسلامية في مهدها، ففي الحديث، قال ﷺ: (ما نفعني مالٌ قطّ، ما نفعني مالُ خديجة)(1)، وقد كنت تساهمين به في عتق الرقيق، وأداء الديون عن الغارمين، ومساعدة الفقراء، ومدّ يد العون إلى المحتاجين، وكنت أنت وأبو طالب مصدر الإنفاق في ذلك الحصار الجائر.

ومما روي في ذلك أن أبا جهل بن هشام كان قد لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، ومعه غلام يحمل قمحاً، فتعلّق به وقال: أ تذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة؛ فجاءه أبو البختري ابن هاشم بن الحارث بن أسد، فقال: مالك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال له أبو البختري: (طعام كان لعمّته ــ أي

1() بحارالانوار، ج19، ص 63..

خديجة ـ عنده بعثت إليه فيه، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها! خل سبيل الرجل)[1]

وكيف يوضع غيرك معك، وقد روي بالأسانيد الكثيرة المتواترة ما يدل على الصبر الذي أبديته في حياتك مع رسول الله ﷺ في مكة المكرمة، وفي أوقات الشدة العظيمة، وأنت التي كنت غنية عن ذلك.. في نفس الوقت الذي يذكر القرآن الكريم والسنة الصحيحة أن نساء النبي ﷺ في المدينة اشتكين حياة الشظف التي يعشنها مع رسول الله ﷺ إلى الدرجة التي نزل القرآن الكريم يخيرن فيها بين صحبة رسول الله ﷺ والصبر على حياته، أو أن يملكن أمرهن بالافتراق عن رسول الله ﷺ، كما قال تعالى يذكر ذلك: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الله وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ الله أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 28، 29]

وقد أورد المحدثون في سبب نزولها أن عائشة أخبرت: أن رسول الله ﷺجاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه، فبدأ بي رسول الله ﷺ، فقال: (إني ذاكر لك أمرا، فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك)، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه. قالت: ثم قال: (وإن الله قال: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة)[2]

نعم هذا موقف طيب من عائشة، والباغون يفخرون به كثيرا، وينسون أن يذكروا معه في غمرة فخرهم واستعلائهم أن كل ذلك لم يخطر على بالك أصلا.. وهل يمكن لمن هو في مرتبتك من الزهد والتقوى أن يطالب رسول الله ﷺ بمثل هذا أو غيره؟

لقد كنت ترين رسول الله ﷺ كل شيء.. فلم يكن يهمك سواه.. فلذلك ضحيت بمالك كله في سبيل الله.. ولم تشتكي أي شكوى.. بل بذلت ذلك برضا وطمأنينة وسعادة.

لكن البغاة يأبون إلا أن يتلاعبون بكل ما ورد في حقك من

1() سيرة ابن هشام (2/ 5).

2() رواه البخاري برقم (4785)

فضـل، باعتبـارك المثـال الأعلى للمـرأة المسـلمة، ليسـتبدلوا غيرك بصنوف الحيل التي تعلموها في تمييع النصوص المقدسة والتلاعب بها.

ومن الأمثلـة على ذلـك إيـراد الخلاف في التفاضـل بينـك وبين عائشـة، فقـد قـال بعضـهم: (وفاطمـة أفضـل بناتـه على الإطلاق، وقيل إنها أفضل نساء العالمين، وقيل بل أمها خديجة، وقيل بل عائشة، وقيل بل بالوقف في ذلك)(1)

ولست أدري كيف يطرح هذا ورسول الله ﷺ ذكرك وابنتك فاطمـة، ولم يـذكر معـك عائشـة، ولكنهم أبـوا إلا أن يـدخلوها، وأبـوا إلا أن يزيـدوا فيفضـلوها.. من غـير دليـل إلا الأهـواء، ولم يعلموا أن الأمر مرتبط بالدين، لا بالأشخاص، وأن الله هو الـذي يختار، لا رسوله، ولا غيره من البشر، وقد قـال تعـالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَـرَةُ سُـبْحَانَ اللـه وَتَعَـالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: 68]، فقد اعتبر الله في الآية الكريمة الاختيار مـع اختيـار اللـه شـرك، لأن المشـرك هـو الـذي يجعـل نفسه أو غيره ندا لله.

وهكذا قال آخر، لاشك أنك تعرفينه، إنه من يطلقون عليـه كذبا وزورا [شيخ الإسلام]، ذلك الـذي امتلأ نصـبا وعـداوة لكـل من يمت لأهل النبوة بصلة، فقد قال تلميذه النجيب يذكر ذلـك: (ومنها أنها خير نسـاء الأمـة واختلـف في تفضـيلها على عائشـة على ثلاثة أقوال، ثالثها الوقف، وسألت شيخنا ابن تيمية فقـال: اختص كل واحـدة منهـا بخاصـة، فخديجـة كـان تأثيرهـا في أول الإسلام، وكانت تسلي رسول الله ﷺ وتثبته وتسكنه وتبذل دونه مالهـا فـأدركت عـزة الإسـلام، واحتملت الأذى في اللـه وفي رسوله، وكانت نصرتها للرسول في أعظم أوقات الحاجـة فلهـا من النصرة والبـذل مـا ليس لغيرهـا، وعائشـة تأثيرهـا في آخـر الإسلام فلها من التفقه في الدين وتبليغه إلى الأمة وانتفاع نبيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها هذا معنى كلامه)(2)

ولو قرأ هذا الذي يسـمونه شـيخ الإسـلام القـرآن الكـريم، وسلم لقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَـقَ مِنْ قَبْـلِ الْفَتْحِ وَقَاتَـلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَـةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُـوا مِنْ بَعْـدُ وَقَـاتَلُوا﴾

1() زاد المعاد ج: 1 ص: 104.

2() جلاء الأفهام ج: 1 ص: 234.

[الحديد: 10]، لعرف أن الفضل لا يرتبط بالرواية، وإنما يرتبط بالمواقف، وفي الأوقات الحرجة.

ولو كان الأمر مرتبطا بالرواية، لكان أبو هريرة أفضل الصحابة، فهم يروون عنه ما لا يروون عن غيره، مع العلم أنه أسلم بعد الفتح.. وهم لا يقولون بذلك.

ولو كان الأمر مرتبطا بالرواية، فإن جميع أمهات المؤمنين بلغن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، وأدين ما رأينه واجبا عليهن، فلم تخص بذلك زوجة دون زوجة.

ولم يكتفوا بذلك حتى يصرفوا النظر عنك، وإنما راحوا يدرجون في النصوص المقدسة ما ليس منها، ثم يجعلون المدرج أصلا، ليلغوا به متن الحديث.. فقد زادوا في الحديث الذي ذكر فيه رسول الله ﷺ النسوة الأربع التي تمثلن بجميع القيم النبيلة حتى صرن نماذج صالحة للاقتداء هذه الزيادة: (وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)(1)

وقد رووا ذلك، وهم يعلمون أن رسول الله ﷺ أكرم من أن يشبه البشر بالطعام، ويشبه زوجته بالثريد.. وهذا لا يكون إلا من أولئك الذين يحتقرون المرأة، ويتصورون أنها مجرد متعة من المتع مثل الطعام الذي يستمتعون به، وليست إنسانا محترما له رسالته في الحياة الدنيا مثله مثل الرجل تماما.

ورووه، وهم يعلمون أن الثريد لم يكن في يوم من الأيام سيد الطعام، بل قد ورد في النصوص ما يبين فضل اللبن والتمر والعسل، وغيرها، والتي لا يساوي الثريد أمامها شيئا، حتى أن بعض المحدثين راح يبرر الحديث بطريقته الخاصة في التبرير الذي يتنافى مع جلال النبوة، فقال: (والظاهر أن فضل الثريد على سائر الطعام إنما كان في زمنهم لأنهم قلما كانوا يجدون الطبيخ، ولا سيما إذا كان باللحم، وأما في هذا الزمان فأطعمة معمولة من أشياء كثيرة متنوعة فيها من أنواع اللحوم ومعها أنواع من الخبز الحواري، فلا يقال: إن مجرد اللحم مع الخبز المكسور أفضل من هذه الأطعمة المختلفة الأجناس والأنواع، وهذا ظاهر لا يخفى)(2)، ولو أنه رفض الحديث لتنافيه

1() رواه البخاري (3411) ، ومسلم (2431)

2() عمدة القاري ج 16 ص 251.

مع بلاغة النبوة، لكان أسهل عليه وأجمل من ذلك التعليل.

وهكذا راح آخر يحتال لذلك بقوله: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.. ضرب به مثلا ليؤذن بأنها أعطيت مع حسن الخلق والخلق وحلاوة النطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل والتحبب إلى البعل، فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها وحسبك أنها عقلت عن النبي ﷺ ما لم تعقل غيرها من النساء وروت ما لم يرو مثلها من الرجال)(1)

وكل ذلك تكلف ممقوت تأباه لغة العرب، فالكريم لا يوصف بكونه ثريدا، ولا أي طعام من الأطعمة، بل يوصف بما يتناسب مع إنسانيته وكرامتها.

ولذلك أنكر ابن حجر كل هذه التعليلات التي لم تكتف بتفضيل عائشة على النساء، وإنما راحت تفضل الثريد على سائر الطعام، فقال: (وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل جهة فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى)(2)

لكن من يسمونه شيخ الإسلام.. راح يستعمل ذلك النص ليلغي كل تلك الأحاديث التي وردت في فضلك.. وليكون ذلك مقدمة لتنساك الأمة.. ولهذا صرنا إذا سألنا أي عامي عن زوجة رسول الله ﷺ يذكر عائشة، ولا يذكرك.. وكأن كل تلك المناقب التي وردت في حقك لم تصدر من رسول الله ﷺ.

لقد قال ابن تيمية عند بيانه لتفضيل عائشة في كتابه (منهاج السنة النبوية)، الذي حشاه بكل ألوان التعصب على أهل بيت النبوة: (والجواب أولا أن يقال إن أهل السنة ليسوا مجمعين على أن عائشة أفضل نسائه، بل قد ذهب إلى ذلك كثير من أهل السنة، واحتجوا بما في الصحيحين عن أبي موسى وعن أنس أن النبي ﷺقال: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)، والثريد هو أفضل الأطعمة لأنه خبز ولحم.. وذلك أن البر أفضل الأقوات، واللحم أفضل الإدام.. فإذا كان اللحم سيد الإدام، والبر سيد الأقوات، ومجموعهما الثريد، كان الثريد أفضل الطعام. وقد صح من غير

1() تحفة الأحوذي ج10 ص260.

2() فتح الباري ج 6 ص 321.

وجه عن الصادق المصدوق أنه قال: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)(1)

وقد تبعه على هذا الاستدلالات العجيبة تلاميذه من المعاصرين لنا، والذين أنسوا الأجيال ذكرك، وكلما ذكرت ذكر معك الثريد، وبما أنك لست ثريدا فأنت لست سيدة النساء، ولا النموذج المثالي للمرأة المسلمة.

وكل ذلك إعراض عن النصوص الواضحة الكثيرة التي تحدد مكانتك ومنزلتك وفضلك على نساء العالمين.. وهي نصوص صريحة لا تحتاج أي تأويل أو تكلف في الشرح والتوضيح، وتتناسب فوق ذلك مع بلاغة النبوة، وكرامة الإنسان.. فلم يكن رسول الله ﷺ ليثبت فضل شيء أن يدخل أي واسطة لذلك الفضل.

بالإضافة إلى ذلك، فقد ذكر رسول الله ﷺ لعائشة عندما ذكرت له أن الله أبدله خيرا من خديجة: (لا والله ما أبدلني الله خيرا منها؟)، وهو دليل واضح قطعي في فضل خديجة.. لكن مع ذلك ما أسهل أن تؤول النصوص ويتلاعب بها، وقد سمعت بعضهم يقول في هذا الحديث بعد محاولة التشكيك في سنده: (حتى لو صحت فهي ليست نصاً، لأن من الممكن أن يكون المعنى: أن الله ما أبدلني خيراً منها، لكن أبدلني مثلها)

وهكذا الأمر في الاحتيال على الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي تدل على فضل ابنتك فاطمة الزهراء على نساء العالمين، ففي كتب أولئك الذين يحاولون تغييبك وتغييبها نجد تفضيلا لعائشة على فاطمة مع أن البخاري روى في صحيحه قوله ﷺ في حق فاطمة الزهراء: (أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين)(2)، وروى قوله ﷺ: (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة) (3)، وروى في باب مناقب فاطمة قوله ﷺ: (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)(4)، وروى عن رسول الله ﷺقوله: (يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين

1() منهاج السنة النبوية ج: 4 ص: 301.

2() البخاري (4/183)

3() البخاري (4/209)

4() البخاري (4/219)

أو سيدة نساء هذه الأمة) (1)

لكن أولئك الذين يقدسون البخاري ويجلونه يشترطون عليه ألا يعارض الأصول التي يعتمدون عليها، فهم يقيمون الدنيا ولا يقعدوها لمن نقد حديثا في البخاري.. لكنهم يعطون لأنفسهم الحرية المطلقة في إنكار ما يشاءون إذا تعارض ذلك مع الأصول التي تعتمد عليها سنتهم.

اعذريني أيتها الأم الطاهرة، والزوجة الوفية أن ذكرت لك كيف يتعاملون معك.. فهم لم يقصدوا فقط إنزالك من مرتبتك التي أنزلك فيها ربك، وإنما يقصدون إلغاءك تماما، لهذا لا نراهم يذكرونك إلا قليلا، مع أن رسول الله ﷺ كان يذكرك كثيرا.

ولذلك كانت السنة أن نذكرك ونشيد بك، لتكوني النموذج المثالي أنت والنساء الأربع.. هكذا ورد النص المقدس، وما كان لنا أن نختار مع النص المقدس، أو نذكر آراءنا أو نحتال بما نشاء من حيل.

بعد هذا اسمحي لي أن أردد على مسامعك في ختام هذه الرسالة تلك الكلمات العذبة التي قيلت لك، وقلتها في خاتمة حياتك المملوءة بالتضحية والوفاء وكل قيم الجمال..

لقد ورد في الحديث أن الملاك العظيم روح الله جبريل أتى النبي ﷺ، فقال: (يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب.. لا صخب فيه ولا نصب) (2)

وقد روى المحدثون أن رسول الله ﷺ عندما بلغ هذه التحيات الزكيات الطاهرات، قلت كلمات تنبئ عما في قلبك من معان نبيلة رقيقة: (هو السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته)

لله ما أجمل هذه الكلمات وأعظمها.. إنها تختصر حياتك اختصارا .. فأنت وفي ظل تلك الظروف الشديدة القاسية، وبعد ثلاث سنوات من الجوع والحصار.. لم تتأثر علاقتك بربك، ولا اهتزت، ولا بلغ قلبك الحناجر، مع أن الكل كان يتربص بك وبزوجك العظيم.. ولكنك مع كل تلك الزلازل التي عشت فيها

1() البخاري (7/142)

2() رواه البخاري 7 / 104 ، ومسلم رقم (2433).

واقعة الأحزاب كل يوم، كنت تشعرين بالسلام.. السلام الذي لا يشعر به إلا القديسون.. وأنت سيدة القديسين.

ولذلك حزن رسول الله ﷺ على فراقك حزنا شديدا، بل سمى العام الذي فارقته فيه عام الحزن، وبقي ذلك الحزن يتابعه إلى أن لحق بك.. وقد كان من محبته لك في الله.. أنه كان يكرم كل من له صلة بك، وقد ورد في الحديث عن عائشة قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ، إلا على خديجة، وإني لم أدركها.. وكان رسول الله ﷺ، إذا ذبح الشاة يقول: (أرسلوا بها إلى صدائق خديجة)، قالت: فأغضبته يوما، فقلت: خديجة، فقال رسول الله ﷺ: (إني رزقت حبها)(1)

وقالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة وتذكره، فارتاع لذلك، فقال: (اللهم هالة بنت خويلد)، فغرت، فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين(2) هلكت في الدهر، فأبدلك الله خيرا منها، فغضب النبي ﷺ حتى قالت له: لا أذكرها بعد هذا إلا بخير (3) .

وفي حديث آخر روته عائشة، قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ، وهو عندي، فقال لها رسول الله ﷺ: من أنت؟ قالت: أنا جثامة المزنية فقال: بل أنت حسانة المزنية، كيف كنتم؟ كيف حالكم؟ كيف أنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال:(إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان)(4)

هل رأيت وفاء رسول الله ﷺ لك أيتها الصديقة الوفية.. فرسول ﷺ يعبر بكل رقة عن حبه لك، وأنت ميتة.. ولا ينسى ـ وفاء لك ـ أن يحسن لكل من له علاقة بك، بل يغضب زوجه لأجلك.

هذه كلماتي لك سيدتي مضمخة بدموعي التي لا أستطيع

1() رواه مسلم: 6431..

2() حمراء الشدقين: أي سقطت أسنانها وبقيت حمرة اللثاث.

3() رواه البخاري: 3821، ومسلم: 6435.

4() رواه أحمد: 1/134، المعجم الكبير:23/14، شعب الإيمان:6/517، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة وليس له علة، الحاكم:1/62.

كفكفتها، وكيف أستطيع وأنا أراك كل حين في تلك الشعاب محاصرة جائعة ظمآنة.. لم تشهدي ذلك العز الذي آل إليه المسلمون، ولا تلك الذلة التي نزلت بمن ناوأك..

لكن حسبي أن أعلم أنك لم تغادري رسول الله ﷺ لحظة واحدة.. فأنت كنت معه في كل المحال.. والله تعالى الذي أكرم الشهداء بالحياة، وبمعرفة إخوانهم من المؤمنين أكرمك أنت أيضا.. فأنت كنت رمزا للتضحية والفداء.. ولذلك لم تكن خاتمتك المباركة أقل من خاتمة الشهداء، يا من ارتوت الأرض بدم أحفادها من الشهداء.

إلى رمال الطفوف

يا رمال الطفوف الطاهرة ..

جئت إليك من بلاد بعيدة لأسألك عن أولئك الذين اختلطت دماؤهم الزكية بذراتك؛ فحولوها إلى مغناطيس تنجذب إليه الأفئدة، وتحن إليه القلوب.. فهلا حدثتني عنهم..

هلا حدثتني .. وأجريت من مآقي الدموع التي تغسل عن قلبي تلك القسوة التي بثها قومي في قلبي حين جعلوني أتوهّم أن الحديث عنك وعن تلك الدماء الطاهرة التي سقت أرضك بدعة وهرطقة وزندقة ورفضا وفتنة..

حدثيني لأمتلأ بغضا وحربا لأولئك المجرمين المستبدين الذين راح قومي يضعون كل ألوان الطلاء ليزينوهم، ويمسحوا عنهم تلك الجرائم العظيمة.. وكان من جملة ذلك الطلاء تحريم الحديث عنك، وعن الطاهرين الذين سقوا أرضك.

حدثيني، فأنا أصبحت لا أبالي أن يسموني مهرطقا أو زنديقا أو مبتدعا.. فما أجمل أن أكون في أعينهم بتلك الصورة، ما دام المجرمون عندهم أولياء، والمستبدون عندهم صالحين، والمفسدون مصلحين.. وما دامت قد انتكست في أعينهم الأشياء، فصار الباطل عندهم حقا، والحق عندهم باطلا.

حدثيني، حتى أخرج من حزب يزيد ومعاوية والفئة الباغية، وأنضم إلى حزب رسول الله ﷺ الذي خاطب أهل بيته، عليا وفاطمة والحسن والحسين، وقال: (أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم)(1) ، وقال: (أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم) (2)

حدثيني.. فنحن الآن في زمنك أيتها الرمال الطاهرة، بعد أن كشفت الحقائق، وظهر المستور، وبرز ما حاول كل الطغاة ستره.

حدثيني فأحفاد يزيد وعمر بن سعد وحرملة والشمر كلهم قد عادوا من جديد، وصاروا علماء ومفتين، ومحدثين وفقهاء، وأرسلوا بكل سراياهم وكتائبهم ليعثوا في الأرض فسادا باسم

1() رواه الترمذي ج 2 ص 319، الحاكم فى المستدرك: 3/149.

2() قال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (9/ 169): رواه أحمد والطبراني، وفيه تليد بن سليمان، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

الإسلام.. ولم يعد الإسلام بسببهم ذلك الدين الجميل الذي ضحى الإمام الحسين من أجله، وإنما صار دينا للقتل والسلب والنهب وكل أنواع الجرائم.

حدثيني ليسمع قومي الدين الصحيح الذي لم تمسه أيدي المجرمين الظالمين.. فلا يمكن لهم أن يميزوا بين دين الله ودين البشر قبل أن يميزوا بين أولياء الله، وأعدائه.

حدثيني .. فأنا لا أحب أن أخرج من هذه الدنيا قبل أن أشم عطر أولئك الصادقين المخلصين الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ .. بل أخبرت عنهم كل المصادر المقدسة.. واعتبرت حبهم ولاية، وبغضهم فجورا.

حدثيني .. حتى أعيش بكل كياني ذلك المشهد الذي صوره أنس بن مالك، فقال: (استأذن مَلَكُ القَطْرِ ربه أن يزور النبي ﷺ، فأذن له، فكان في يوم أم سلمة، فقالَ النبي ﷺ: (احْفَظِي علينا البابَ لا يَدْخُلُ علينا أحَدٌ)، فبينا هي على الباب إذ جاء الحسين بن علي، فظفر فاقتحم ففتح الباب فدخل فجعل يتوثب على ظهر النبي ﷺ، وجعل النبي يتلثَّمه ويقبِّله، فقال له المَلَك: أتحبه؟ قال: نعم، قال: أما إن أمتك ستقتله، إن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه. قال: نعم. فقبض قبضة من المكان الذي يقتل فيه فأراه إياه فجاءه بسهلة أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها. قال ثابت: كنا نقول: إنها كربلاء)(1)

ورسمته أم سلمة، فقالت: (كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبي ﷺ في بيتي، فنزل جبريل فقال: يا محمد، إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك. فأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله ﷺ، وضمه إلى صدره، ثم قال رسول الله ﷺ: (وديعة عندك هذه التربة)، فشمها رسول الله ﷺ وقال: (ويح كرب وبلاء) قالت: وقال رسول الله ﷺ: (يا أم سلمة، إذا تحولت هذه التربة دما فاعلمي أن ابني قد قتل)، قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: (إن يوما تحولين دما ليوم عظيم)(2)

1() ابن حبان في صحيحه (6742)، وقال عنه الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث حسن، أحمد في مسنده (13539)، أبو يعلى (363).

2() المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة،

وغيرها من الأحاديث الكثيرة التي كنا نقرؤها في مصادر الحديث، ثم لا يُسمح لنا بالتفكير في معانيها.. ويحذروننا أننا إذا فكرنا في معانيها، فسنقع في الزندقة.. لذلك كنا نفعل مثلما كان يفعل اليهود، حين يرون وصف رسول الله ﷺ في كتبهم، لكنهم يسارعون إلى طمسه وتأويله خشية أن يتسرب إليهم اعتقاد نبوته.

حدثيني عن الإمام الحسين سيد شباب الأهل الجنة وبضعة رسول الله ﷺ وسبطه وريحانته .. ذلك الذي نكثت ذمته، وهتكت حرمته، وأريق بالظلم دمه..

حدثيني عن ذلك الشيب الخضيب، والخد التريب، والبدن السليب، والثغر المقروع بالقضيب، والودج المقطوع، والرأس المرفوع (1).

حدثيني عن ذلك الذي قتلوا بقتله الإسلام، وعطلوا الصلاة والصيام، ونقضوا السنن والأحكام، وهدموا قواعد الإيمان، وهملجوا في البغي والعدوان.. حتى أصبح رسول الله ﷺ بقتله موتورا، وعاد كتاب الله مهجورا، وغودر الحق مقهورا.. وظهر بعده التغيير والتبديل، والإلحاد والتعطيل، والأهواء والأضاليل(2).

حدثيني عن الصبر والثبات حين تجلى في شخصه الكريم، فصار مثاله الصادق، وأسوته الحسنة.. فكان يردد في يوم عاشوراء بعد أن صبت عليه كل أنواع المآسي، وكل ألوان البلاء مخاطبا ربه عز وجل، قائلا له: (صبرا على قضائك يا رب، لاإله سواك، يا غياث المستغيثين، مالي رب سواك ولا معبود غيرك، صبرا على حكمك يا غياث من لا غياث له، يا دائما لا نفاد له، يا محيى الموتى، يا قائما على كل نفس بما كسبت احكم بينى وبينهم وأنت خير الحاكمين)(3)

حدثيني عن تلك الليلة التي جمع فيها الإمام الحسين أهله وأصحابه، فقال لهم: (إني لا أعلم أصحابا أصح منكم ولا أعدل ولا أفضل أهل بيت، فجزاكم الله عني خيرا، فهذا الليل قد أقبل فقوموا واتخذوا جملا، وليأخذ كل رجل منكم بيد صاحبه أو رجل

الطبعة: الثانية، 3/108.

1() المزار الكبير، أبو عبدالله محمد بن جعفر بن المشهدي، ص 221.

2() المرجع السابق.

3() مقتل الحسين للمقرم: 357، ينابيع المودة: 418 .

من إخوتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهـؤلاء القـوم، فإنهم لا يطلبـون غـيري، ولـو أصـابوني وقـدروا على قتلي لمـا طلبوكم)(1)

حينها قام أخوه العباس وغيره من أقاربه ليعبروا عن ذلـك الصدق والثبات الذي نتج عن ولائهم لأهـل بيت النبـوة، فقـالوا: (لم نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبدا)

فقـال لهم الإمـام الحسـين : (يـا بـني عقيـل حسـبكم من القتل بمسلم بن عقيل فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم)

فقالوا: (سبحان الله.. ما نقـول للنـاس؟ نقـول: إنـا تركنـا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الاعمام، ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا نـدري مـا صنعوا، لا والله مـا نفعـل ذلـك، ولكن نفـديك بأنفسـنا وأموالنـا وأهلنا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح اللـه العيش بعـدك)(2)

حينها قام مسلم بن عوسجة، فقال: (أنحن نخلي عنـك، بم نعتــذر إلى اللــه في أداء حقــك ؟ لا واللــه حــتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سـلاح أقـاتلهم بـه لقـذفتهم بالحجـارة، لا واللـه لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك، أما والله لـو علمت أني أقتـل ثم أحيـا ثم أحـرق ثم أحيـا ثم أذرى، يفعل بي ذلك سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة الــتي لا انقضاء لها أبدا)(3)

وقام زهـير بن القين، وقـال: (واللـه لـوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت، حتى أقتل هكذا ألف مرة، وإن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك)(4)

لقد سمعت كل هذه الكلمات الطاهرة يا رمال الطفـوف.. وستشهدين بها عند الله.. وتشهدين معهـا على تلـك التضـحيات

1() الفتوح 5:ـ 105، تاريخ الطـبري 3:ـ 315، الكامـل في التـاريخ 2:ـ 559، اعيـان الشيعة 1: 600، وقعة الطف: 197.

2() الارشاد: 231، تاريخ الطبري 3: 315، الكامل في التاريخ 2: 559، العوالم 17: 244، وقعة الطف: 198..

3() المراجع السابقة.

4() المراجع السابقة.

التي قدمها ذلك الإمام العظيم وأهل بيته الطاهرين، وأصحابه الأوفياء الصادقين.

لكنك لم تسمعي ما يردده قومي الذي تتلمذوا على عمر بن سعد وابن زياد وشمر بن ذي الجوشن.. والذي راحوا يتناسون كل تلك الأحاديث النبوية التي تشير إلى الحركة الحسينية وأهميتها ودورها في حفظ الدين.. ويذكرون بدلها ما ردده ابن تيمية من أن تلك الحركة لم تكن سوى حركة عشوائية فوضوية لا قيمة لها..

لم تسمعي لابن خلدون الذي راح يرمي الإمام الحسين بعدم قبول النصيحة، وبالجهل بالواقع؛ فيردد بكل جرأة: (فتبين بذلك غلط الحسين، إلا أنه في أمر دنيوي لا يضره الغلط فيه، وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه، لأنه منوط بظنه، وكان ظنه القدرة على ذلك، وأما الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومصر والعراق والشام والذين لم يتابعوا الحسين، فلم ينكروا عليه ولا أثمّوه، لأنه مجتهد وهو أسوة للمجتهدين به)(1)

ولم تسمعي له وهو يصور الأمر مثل غيره بحسابات الربح والخسارة، لا بحساب التكاليف الشرعية، وما تحمله من معان قد لا يمكن فهمها، مثلما حصل مع إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام؛ فيقول: (إنّ هزيمة الحُسين كانت أمراً محتّماً؛ لأنّ الحُسين لمْ تكن له الشوكة التي تمكّنه مِنْ هزيمة الأمويِّين؛ لأنّ عصبية مضر في قريش، وعصبية قريش في عبد مناف، وعصبية عبد مناف في بني أميّة، فعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس لا ينكرونه)(2)

ولم تسمعي لكل أولئك المتأثرين بابن تيمية وابن خلدون وغيرهما من أصحاب الهوى والأموي، والذين راحوا يرددون مقالتهما، ويهونون من شأن الإمام الحسين الذي يصورونه بصور لا تليق بأبسط الناس وأجهلهم؛ فكيف بسيد شباب أهل الجنة؟

لم تسمعي للشيخ محمد الخضري بك الذي تجرأ على أن

1() ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، 1/270.

2() المرجع السابق، 1 /152.

يقول: (إن الحسين أخطأ خطأ عظيما في خروجه هذا الذي جـرّ للأمة وبـال الفرقـة والاختلاف: وزعـزع عمـاد ألفتهـا إلى يومنـا هذا)(1)

ولم تسمعي للدكتور أحمد شبلي الـذي راح يـردد من غـير أن يعقل ما يقول: (نجيء إلى الحسين لنقر ـ مـع الأسـف ــ أن تصرفاته كانت في بعض نواحي هذه المشكلة غير مقبولة فهو ـ أولا ــ لم يقبـل نصـح الناصـحين وخاصـة عبـد اللـه بن عبـاس، واستبد برأيه، وثانيا ــ نسـي أو تجاهـل خلـق أهـل الكوفـة ومـا فعلوه مع أبيه وأخيه وهو ـ ثالثا ــ يخـرج بنسـائه وأطفالـه كأنـه ذاهب إلى نزهة خاوية أو زيارة قريب ويعرف في الطريق غـدر أهل الكوفة ومع هذا يواصل السير إليهم وينقاد لرأي بني عقيل ويذهب بجماعة من الأطفال والنساء وقليـل من الرجـال ليأخـذ بثأر مسلم يا لله قد تكون ولاية يزيـد العهـد عملا خاطئـا، ولكن هل هذا هو الطريق لمحاربة الخطأ والعودة إلى الصواب؟)(2)

ولم تسمعي لمحمد النجار، وهو يردد: (أما أحقية الحسـين بالخلافة فهي فكـرة تنطـوي عليهـا قلـوب الغالبيـة من النـاس، ولكن ما قيمة هذه القلوب اذا لم تؤيدها السيوف وهي مع ذلك لا تقتضـي الخـروج، فـان امامـة المفضـول مـع وجـود الأفضـل جائزة، وقد كان علي بن أبي طالب يعتقد أحقيتـه بالخلافـة ولم يخرج على أحد)(3)

ولم تسـمعي لكـل تلـك الخطب والـدروس الـتي تعج بهـا مسـاجد قـومي ومدارسـهم، والـتي تنهـل من أمثـال أولئـك الأساتذة والمشايخ، والتي تلوم الإمـام الحسـين ، وتعتب عليـه، لكونه لم يسمع نصيحة ابن عمر.

ويا لله .. منذ متى صار ابن عمر أستاذا للإمام الحسـين؟.. وهل يمكن لابن عمر أو غيره أن يـدعي ذلـك؟.. وهـل يمكن أن يوازى أو يساوى أحد مـع ذلـك الـذي أخـبر رسـول اللـه ﷺ أنـه الإمام القدوة الذي جعله الله رمزا للحق، ولأهل الحق؟

1() محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، محمد الخضري بك، المحقق: محمد العثماني، دار القلم، 1406 – 1986، 1 / 517.

2() موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،أحمد شلبي، مكتبة النهضة ، 2 / 201.

3() الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء، محمد الطيب النجار، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، 1977، ص 102 .

ويا لله .. ألم يقرؤوا تلك الأحاديث الكثيرة التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن الإمام الحسين، ومكانته في الدين؟

ألم يقرؤوا قوله ﷺ، وهو يخبر عن الدور الكبير الذي أنيط بالإمام الحسين، والذي لا يمكن فهم الدين فهما صحيحا من دون التعرف عليه، فقد قال في الحديث الذي اتفق على روايته الأمة جميعا: (حسين مني، وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط)(1)

أيوجد في اللغة حروف أبلغ من هذه الحروف في الدلالة على مكانة الإمام الحسين.. إنها تعبر بصراحة لا صراحة بعدها بأن الإمام الحسين لم يكن سوى تجسيد لرسول الله ﷺ.. فهو من رسول الله ﷺ .. ورسول الله منه.. ولذلك فإن المجرمين لم يقتلوا فقط الإمام الحسين، وإنما قتلوا رسول الله ﷺ نفسه.

هل تجدون في جميع مصادركم حديثا مثل ذلك الحديث في حق ابن عمر أو غيره، وهل ترون أن رسول الله ﷺ قال ذلك من باب المجاملة، وكيف يقوله وهو من لا ينطق عن الهوى، ولا يجري عليه ما يجري علينا من العواطف الأهواء؟

ولم يكتف رسول الله ﷺ بذلك، بل كان يردد كل حين تلك المكانة العظيمة للإمام الحسين عند الله.. وأنه الإمام.. وأن على ابن عمر وغيره.. بل على جميع الأمة أن تسير خلفه.

لقد كان يقول لهم: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)(2).. ولو أنهم تأملوا في هذا الحديث، وتجاوزوا به

1() رواه جمع كبير من المحدثين، منهم: 15- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256ه)، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، 1409 -ـ 1989، (ص133، رقم 364)، وسنن الترمذي، محمّد بن سورة الترمذي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (5/658، رقم 3775) وقال : حسن، وابن ماجه (1/51، رقم 144)، المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الفكر، 1398 ه، بيروت (3/194، رقم 4820)، وقال: صحيح الإسناد، مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت، (4/172، رقم 17597)، المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، تقديم كمال يوسف الحوت، 7 مجلدات، دار التاريخ، الطبعة الأولى، بيروت (6/380، رقم 32196)، وانظر: بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسيّ، بيروت، مؤسّسة الوفاء، 1403ق:(43 ؛ 261 ؛ 1 وص 264 / 16)

2() رواه أحمد في المسند، (3/62،ـ 82) وفي (3/64) وفي (3/80) والترمذي (3768)، انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة2، 1403هـ، 1983م، (4134)

البشارة الغيبية المرتبطة بالآخرة، لعرفوا أن الإمام الحسين وأخاه سيدان أي مُتبعان، يتبعهما شباب أهل الجنة.. وهو دعوة من رسول الله ﷺ لمن يريد الجنة أن يتخذ هذين الإمامين الجليلين إمامين له، يسير خلفهما مسلما لكل ما يفعلونه، فلا يصح للمأموم أن يقترح على الإمام.

وقد كان من واجب ابن عمر وغيره، أن يسيروا خلف الإمام الحسين، وأن يشجعوا الأمة جميعا على ذلك السير لتحصل الانتفاضة العظمى التي تحمي الأمة من أن تتحول إلى كسروية وقيصرية.. لكن الأمة لم تفعل.. لأن ابن عمر وأمثاله بدل أن يتحركوا مع إمام زمانهم صاروا ينصحونه، ويوجهونه، ويقترحون عليه.

والعجب العجاب أن هؤلاء الذين قعدوا عن نصرته.. كما قعدوا عن نصرة أبيه، حتى تمكن الطلقاء من أن يستلموا زمام الأمة.. هم أنفسهم الذين راحوا يبايعون أصحاب الملك العضوض، ويدعون إلى بيعتهم..

لقد ذكر المؤرخون أنه عندما ثار ابن الزبير، واستقرت له السيطرة على العراق عدا الكوفة والحجاز والمشرق توقف ابن عمر عن بيعة ابن الزبير، وكان يحرض الناس على الوقوف إلى جانب بني أمية، فقد روى البخاري عن نافع قال : (لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال : إني سمعت النبي ﷺ يقول : (ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه)(1)

لقد ورد هذا الحديث في صحيح البخاري، وأصحاب الملك العضوض يستدلون به على صحة بيعة أولئك الفسقة والمجرمين والمحرفين للدين، في نفس الوقت الذي يروون فيه أحاديث عن مناقب أهل البيت، وعن ظلم الأمة لهم، ومع ذلك يعتبرونها من الفضائل التي لا ينجر عنها أي عمل.

وهكذا عندما قامت دولة بني مروان والتي كان على رأسها عبد الملك بن مروان كان ابن عمر من المسارعين إلى

1() صحيح البخاري (9/ 57)

بيعتهم، ومد يد الطاعة لهم، وقد روى البخاري بإسناده عن عبد الله بن دينار قال : (لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله بن عمر : إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت، وإن بني قد أقروا بمثل ذلك)(1)

وقد بقي ملتزما بتلك البيعة والطاعة المطلقة لبني مروان حتى بعد تلك الجرائم العظيمة التي قاموا بها، من رمي الكعبة الشريفة بالمنجنيق وغيرها، ولذلك كان مقربا من عبد الملك بن مروان، وأمر الحجاج بأن يصلي خلفه(2).

اعذريني أيتها الرمال الطاهرة.. فقد جعلني التعجب من تلك العقول أغفل عنك وعن تلك الدماء الزكية التي روت ترابك الطاهر.. فنحن صرنا كلما ذكرت وذكرت معك تلك المأساة العظيمة نغفل عن كل تلك التضحيات بالجدل.

ولهذا كلما حلت عاشوراء راح قومي يستعملون كل الوسائل ليسدوا الآذان عن ذكرك.. وذكر كل ما جرى على حباتك الطاهرة، ويفعلون ما كان يفعله المشركون عندما كانوا يرددون : ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26]

ما عساي أقول لك.. وأنا الذي أعيش كل حين تلك المشاهد المأساوية التي لم ير التاريخ مثلها مرسومة على مرائي حباتك الطاهرة.

وهل رأى التاريخ مثل أبي الفضل العباس.. قمر بني هاشم.. ذلك الأخ البطل المواسي لأخيه في أحلك الظروف.. ذلك الذي جاءه شمر بن ذي الجوشن بكتاب الأمان عصر التاسع من المحرم، فقال له العباس: (تبت يداك ولعن ما جئت به من أمانك يا عدو الله! أتامرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة ، وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟! أتؤمننا وابن رسول الله ﷺ لا أمان له؟!)(3)

1() المرجع السابق (9/ 77)

2() البداية والنهاية: 8/334.

3() كتاب الفتوح، الكوفي، أحمد بن أعثم، تحقيق: علي شيري، بيروت ، لبنان، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، 1411 هـ، ج5، ص94. الحائري، معالي السبطين، محمّد مهديّ الحائريّ المازندرانيّ، قم، منشورات الشريف الرضيّ، ج1، ص

وقبل ذلك، وعندما نفذ ما عندهم من المـاء، ذهب ليسـقي لهم، فحمل عليه الجبناء، وحمل عليهم حتى ضعف بدنـه، فكمن له بعضهم، فضربه على يمينـه، فأخـذ السـيف بشـماله، وحمـل وهو يرتجز:

يـا نفس لا تخشـي وأبشـري برحمـة
مـع النـبي السـيد قد قطعوا ببغيهم
فأصلهم يا رب حر النار

فضربه اللعين بعمود من حديد فقتله(1).

حـدثيني عنـه أيتهـا الرمـال الطـاهرة.. فقـد صـار سـاقيا للعطاشى.. ونحن كلما عطشنا تذكرناه.. وطلبنا منه أن يسـقينا من بحر الإيثار والتضحية والبذل وجميـع القيم الرفيعـة.. وهـو لا يزال يسقينا منها جميعا.. ولا نـزال نحنّ كـل يـوم لشـرب ذلـك الماء الطاهر الذي اختلط بدمائه.

حدثينا عنه.. ولا تنسـي أن تحـدثينا عن علي الأكـبر .. ذلـك الذي تحول إلى إسماعيل المذبوح، بعد أن أحيا الإمـام الحسـين قيم التضيحة والتسليم لله.. ذلك الذي كان أشـبه النـاس بجـدّه المصطفى ﷺ خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً.. ذلك الذي قـال عنـه الإمـام الحسين عندما خـرج للقتـال يـوم عاشـوراء: (اللهم اشـهد على هـؤلاء، فقـد بـرز إليهم أشـبه النّـاس برسـولك محمّـدٍ ﷺ خَلقـاً وخُلقاً ومنطقاً، وكنّا إذا اشتقنا إلي رُؤيةِ نَبيك نَظرنا اِليه)(2)

ذلك الذي خرج يوم عاشوراء بسيفه يردد مرتجزا(3) :

أنا علي بن الحسين نحن وربّ البيت أولى
تاللـه لا يحكم فينـا أضـــرب بالســـيف
ضرب غلام هاشمي قرشي

ذلك الذي رجع إلى أبيه بعد أن قاتل الأعداء بكل ما تعلمـه من أبيه وجـده من بطولـة، وقـال: (يـا أبت العطش قـد قتلـني وثقل الحديـد قـد أجهـدني، فهـل إلى شـربة مـاءٍ من سـبيل؟)،

433. أبي مخنف، وقعة الطفّ، لوط بن يحيى الأزديّ، (أبو مخنف) تحقيـق محمّـد هـادي اليوسفيّ، قم، انتشارات جامعة المدرّسين، 1367ش، ص 219-220.

1() ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج 4، ص 108..

2() اللهوف، ابن طاووس، ص 139، مثير الأحزان، ابن نما الحلي، ص 68..

3() مقتل الحسين، المقرم، ص 321.؛ الإرشاد، ج 2، ص 106..

فقال له الإمام الحسين : (قاتل قليلاً فما أسرع مـا تلقى جـدّك محمداً ﷺ فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها)(1)

ذلك الذي قال قبل استشهاده مخاطبا أبـاه: (يـا أبتـاهُ هـذا جَدّي رسول الله ﷺ قـد سَـقاني بكأسـه الأوفى شِـرْبةً لا أظمـأ بعدها أبداً وهو يقولُ العَجَل العَجَل فإنّ لك كأسـاً مـذخورة)، ثم فاضت روحه الطاهرة (2).

حدثيني عنـه.. فهـو لا يـزال حيـا بيننـا.. وكلمـا اشـتقنا إلى رسول الله ﷺ نظرنا إليه.. فهو رمز الشجاعة والبذل والتضحية والصدق.. وكل الشهداء الذين ارتقوا وهم يواجهون الباطـل، لم يكن لهم من معز ولا مواس مثل ذلك الأكـبر الـذي ملأ القلـوب بمحبته.

حدثينا عنـه.. وحـدثينا عن أولئـك الصـحب الطيـبين الـذين آثـروا الآخـرة على الـدنيا.. وامتلأوا محبـة لأهـل بيت النبـوة.. فلـذلك اختلطت دمـاؤهم بـدمائهم.. ونـالوا شـرف أن يـذكروا معهم، كما نال سلمان الفارسي شرف أن يصـبح من أهـل بيت النبوة في الوقت الذي أبعد فيه أبـو لهب .. وكـل أولئـك الـذين باعوا قرابتهم من رسول الله ﷺ بحظوظ الدنيا..

حــدثينا عن حــبيب بن مظــاهر.. ذلــك العابــد المجاهــد الصـادق.. الـذي اختـاره اللـه ليكـون من السـبعين رجلا الـذين نصروا الإمام الحسين في كربلاء، وصبروا على البلاء حتى قتلوا معه، وكان عابداً ورعا تقيا ومراعيا لحـدود اللـه تعـالى، حافظـا للقرآن الكريم، يختمه في كل ليلـة من بعـد صـلاة العشـاء إلى طلوع الفجر(3).

ذلك الذي أرسل إليه الإمـام الحسـين رسـالة يقـول فيهـا: (إلى الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر: أما بعد، يـا حـبيب! فـأنت تعلم قرابتنـا من رسـول اللـه ﷺ، وأنت أعـرف بنـا من غـيرك، وأنت ذو شيمة وغيرة، فلا تبخـل علينـا بنفسـك، يجازيـك جـدي رسول الله ﷺ يوم القيامة)(4)

وما أسرع ما أجاب الرسـالة، ومـا أسـرع مـا وفى بالعهـد،

1() مقتل الحسين، الخوارزمي، ج 2، ص 35..

2() مقاتل الطـالبين، أبـو الفـرج الأصـفهاني، ص 115.؛ ابن طـاووس، اللهـوف، ص 49؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 45، ص 44..

3() الشيخ عباس القمي، نفس المهموم، ص١٢٤..

4() ابن جرير، الطبري، ج٥، ص٣٥٢، ٣٥٥، ٤١٦..

فلم ينكث، وعندما وصل إلى الإمام الحسين ، ورأى قلة أنصاره وكثرة محاربيه، قال له: إن هاهنا حيّا من بني أسد فلو أذنت لي لسرت إليهم ودعوتهم إلى نصرتك لعل الله أن يهديهم وأن يدفع بهم عنك! فأذن له الحسين؛ فسار إليهم حتى وافاهم فجلس في ناديهم ووعظهم وقال لهم: (يا بني أسد قد جئتكم بخير ما أتى به رائد قومه، هذا الحسين بن علي أمير المؤمنين وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وقد نزل بين ظهرانيكم في عصابة من المؤمنين، وقد أطافت به أعداؤه ليقتلوه، فأتيتكم لتمنعوه وتحفظوا حرمة رسول الله ﷺ فيه)، فخرجوا معه، فعارضهم عمر بن سعد ليلا ومانعهم فلم يمتنعوا فقاتلهم، فلما علموا أن لا طاقة لهم بهم تراجعوا في ظلام الليل وتحملوا عن منازلهم، وعاد حبيب إلى الحسين فأخبره بما كان، فقال : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله ﴾ [التكوير: 29]، ولا حول ولا قوة إلا بالله)(1)

هذا هو الموقف الطبيعي الذي كان على جميع الصحابة والتابعين.. وجميع المعاصرين له أن يقفوه.. لا أن يقفوا متفرجين يكتفون بالنصائح، وهم يعلمون أن الإمام الحسين لم يتحرك أي حركة من عنده، بل حركته من الله وبالله، وبتوجيه من رسول الله ﷺ.

ألا تزالين أيتها الرمال الطاهرين تذكرين ذلك النداء الذي نادى به الإمام الحسين في صبيحة العاشر من المحرم، بعد أن جعل زهير بن القين على الميمنة، وحبيب بن مظاهر على الميسرة، ووقف في القلب وأعطى الراية لأخيه العباس: (أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم عليّ.. أو لم يبلغكم قول رسول الله ﷺ لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟!)، فرد عليه الشمر قائلا: (هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول)، فقال له حبيب بن مظاهر: (والله إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرفا، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك)(2)

في ذلك اليوم قاتل حبيب بن مظاهر قتالا شديدا، إلى أن من الله عليه بالشهادة، واجتز رأسه الشريف، حينها خاطبه

1() الأمين، أعيان الشيعة، ج٤، ص٥٥٤ ..

2() المفيد، الإرشاد، ج 2، ص 98..

الإمام الحسين قائلا: (لله دَرُّكَ يا حبيب، لقد كنتَ فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة)(1)

وهكذا حدثينا عن مسلم بن عوسجة، ذلك الشيخ الذي لم يمنعه كبر سنه، ولا مكانته من قومه من نصر إمامه، وقد شرفه الله تعالى بأن يكون أول شهيد من أنصار الحسين بعد الحملة الأولى، على الرغم من كونه كان شيخاً كبير السن، وشخصية بارزة في قومه، بل شخصية بارزة في الكوفة، وكان فوق ذلك من صحابة رسول الله ﷺ، ومن رواة حديثه(2).

ذلك الذي شهد التاريخ له أنه كان شجاعاً وجريئاً، وشهد مع الإمام علي كلّ غزواته.. ذلك الذي شهد له الإمام الحسين بالصدق والثبات على العهد، فقال مخاطبا له بعد استشهاده: (رحمك الله يا مسلم بن عوسجة، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23])(3)

وقد روي أنه بعد إصابته، وفي آخر لحظات حياته قدم إليه الحسين ومعه حبيب، فقال حبيب: عزَّ عليَّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنّة! فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشّرك الله بخير. فقال حبيب: لولا أنّي أعلمُ أنّي في إثرك لاحقٌ بك من ساعتي هذه لأحببتُ أن توصي إليَّ بكلّ ما أهمّك حتّى أحفظك في كلّ ذلك بما أنت له أهل من الدين والقرابة؛ فقال له: بلى، أوصيك بهذا رحمك الله! وأومأ بيديه إلى الحسين أنْ تموت دونه! فقال حبيب: أفعل وربّ الكعبة (4).

وهكذا حدثينا عن زهير بن القين، ذلك التائب الصادق في توبته، والذي روى المؤرخون أنه عندما بعث الإمام الحسين إليه رسولا يستدعيه، كره الذهاب إليه، فقالت له زوجته دلهم بنت عمرو: يا سبحان الله أيبعث اليك الحسين بن فاطمة ثم لا تأتيه، ما ضرك لو أتيته فسمعت كلامه ورجعت، فذهب زهير على كره، فما لبث أن عاد مستبشرا ضاحكا وقد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه فقلع، وضم فسطاطه بركب الإمام الحسين ، ثم ودع زوجته، وقيل أنه قال لها: (أنت طالق، فتقدمي مع

1() محمد مهدي الحائري، شجرة طوبى، ج 2، ص 442..

2() أنصار الحسين:93.

3() الكامل في التاريخ، ج4، ص 76-86 ، تاريخ الأمم والملوك، ج 76 ص 643-363 ؛ الإرشاد، ص 237؛ إعلام الوري، ص 142.

4() بحار الأنوار20:45، ابن طاووس، اللهوف، ص 64.

أخيـك حـتى تصـلي إلى منزلـك، فـإني قـد وطنت نفسـي على الموت مع الحسين)(1

وقــال لمن كــان معــه من أصــحابه: (من أحب منكم أن يتبعني، وإلا فانـه آخـر العهـد)، ثم قـال: (إني سـأحدتكم حـديثا: غزونا بلنجر، ففتح الله علينا، وأصـبنا غنـائم، فقـال لنـا سـلمان الفارسي: (أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصـبتم من الغنـائم؟)، فقلنا: نعم، فقال لنا: (إذا أدركتم شباب آل محمد، فكونوا أشــد فرحـا بقتـالكم معـه بمـا أصـبتم من الغنـائم)، فأمـا أنـا فـإني أستودعكم الله(2).

وروي أنه قال بعـد سـماعه خطابـا للإمـام الحسـين : (قـد سمعنا ـ هداك الله ـ يا ابن رسول الله مقالتك، والله لـو كـانت الــدنيا باقيــة وكنــا فيهــا مخلــدين، إلا أن فراقهــا في نصــرك ومواساتك، لآثرنا النهـوض معـك على الإقامـة فيهـا)؛ فـدعا لـه الحسين ، وقال له خيرا (3).

وروي أنه قـال لعـزرة بن قيس(4) : (اتـق اللـه يـا عـزرة؛ فإني لك من الناصحين، أنشدك الله يـا عـزرة أن لا تكـون ممن يعين أهل الضلالة على قتل النفوس الزكية)، فقال له عزرة: يـا زهير، ما كنت عندنا من شـيعة أهـل هـذا الـبيت إنمـا كنت على غير رأيهم؟)، فقـال زهـير: (أفلسـت تسـتدل بمـوقفي هـذا أني منهم، أما والله ما كتبت إليه كتابا قط، ولا أرسلت إليـه رسـولا، ولا وعدته نصرتي، ولكن الطريق جمع بيـني وبينـه، فلمـا رأيتـه

1() تاريخ الطبري، ج 4، ص 396 والشيخ المفيد، الإرشاد، ج 2، ص 72 - 73.

2() أنســاب الأشــراف ج3، ص167-ــ 168. وتــاريخ الطــبري ج4، ص 298، تنقيح المقال ج1، ص452-453.

3() أنساب الأشراف ج3، ص171. وتاريخ الطبري، المجلد 4، ص 305، والملهـوف، ص 138.

4() عزرة بن قيس بن غزية الأحمسي البجلي الدهني الكوفي، ورد باسـم عـروة بن قيس في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (الإرشاد 2/ـ 38 و84 و95 و104)، وهو أحد قـادة جيش عمر بن سعد، الذي قاتل الإمام الحسين ﷺ في كربلاء، ولد قبـل الهجـرة النبويـة الشريفة، وقد بعثه أبو بكر إلى أرض العـراق، ثم اسـتعمله عمـر بن الخطـاب والياً على حلوان، وحاول فتح شهرزور فلم يقدر عليها، وكان أحد الذين كـاتبوا الإمـام الحسـين ﷺ وطلبوا منه القدوم إلى الكوفة، وبعثه عمر بن سعد رسولاً إلى الإمام الحسـين، وهـو في نينوى – من أرض كربلاء – فاستحيا أن يأتيه، لأنه كـان ممن كاتبـه، وقـد جعلـه ابن سـعد قائداً على خيل أهل الكوفة التي سارت لقتال الإمام الحسين، وكان أحد الاشخاص الذين حملوا رأس الإمام الحسين ﷺ وأصحابه، وقدموا بها إلى عبيد الله بن زياد في الكوفـة، انظر: مختصر تاريخ دمشق 17/ 33، تاريخ الطبري 3/ 317 و325، والكامل في التاريخ 3/ 38..

ذكرت به رسول الله ﷺ ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه عدوه، فرأيت أن أنصره، وأن أكون من حزبه، وأجعل نفسي دون نفسه لما ضيعتم من حق رسوله)(1)

وهكذا استمر يناضل عن الإمام الحسين إلى آخر لحظات حياته، وقد أجاب الإمام الحسين عندما طلب من أصحابه الفرار بأنفسهم بقوله: (والله لوددت أني قتلت، ثم نشرت، ثم قتلت، حتى أقتل هكذا ألف مرة، وإن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك)(2)

وهكذا حدثينا عن سعيد بن عبد الله الحنفي، صاحب ذلك الشعار العظيم الذي لا يزال الحسينيون يرددونه، فقد قال ليلة عاشوراء جوابا لطلب الإمام الحسين من أصحابه الانصراف عنه، والفرار بأنفسهم: (لا والله لا نخلّيك حتى يعلم الله إنّا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ وذرّيته فيك، والله لو قتلت ثم أُبعث حيّاً، ثم أحرق، ويفعل بي ذلك سبعين مرة ما تركتك وحدك، وكيف أفعل ذلك وإنّما هي موتة وقتلة واحدة ثم بعدها الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا)(3)

حدثينا عنهم جميعا.. فلا يمكن أن نسير في طريق الكمال والتضحية، ونحن لا نشنف آذاننا بسماع أحاديثهم، أو نعطر قلوبنا بشم روائحهم الزكية.

ولا تنسي يا رمال الطفوف أن تحدثينا عن ذلك الذي لم يدع لأحد من الناس وصف تضحيته وشهادته.. بل تولاها بنفسه.. لتبقى عبرة للأجيال.. فهو يعلم من صباه الباكر المصير الذي سيصير إليه، والتضحية التي ندب لها.. والوظيفة التي وكلت إليه.

لقد قال حين عزم على مغادرة الحجاز والتوجه الى العراق: (كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلا، فيملأن مني أكراشا جوفا، وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله ﷺ لحمته، بل

1() الفتوح ج 5، ص 177 -178 . أنساب الأشراف ج 3، ص 184 . مقتل الحسين الخوارزمي ج 1، ص 353 - 354 . تاريخ الطبري، المجلد 4، صص 315-316.

2() تاريخ الطبري، المجلد 4، ص 318. الأرشاد ج2 ص92. الملهوف، ص 153.

3() أعيان الشيعة 7: 241.

هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقـربهم عينـه، وينجـز بهم وعـده، ألا ومن كـان فينـا بـاذلا مهجتـه، موطنـا على لقـاء اللـه نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصبحا إن شاء الله تعالى)(1)

وهـذا كـاف للعقـول الـتي تسـلم لربهـا، لتعلم أن الإمـام الحسـين لم يتحـرك أي حركـة بـإملاء من اجتهـاد أو رأي .. بـل حركاته كلها مضبوطة بموازين النبـوة ووصـاياها، كمـا عـبر عن ذلك بقوله: (لن تشذ عن رسول الله ﷺ لحمته)

ولذلك كانت حركته ليست مرتبطة بعصـره فقـط، بـل هي مرتبطة بجميع العصور.. والإمام الحسـين بتلـك التضـحيات أراد أن يعيد للأمة وعيها، لتنهض من جديد، وباسـتعمال كـل الطـرق لإحياء الدين الصحيح، ومقاومة الـدين المحـرف.. ولـذلك كـانت صرخته: (هل من ناصـر ينصـرنا، هـل من معين يعيننـا، هـل من ذاب عن حرم رسـول اللـه ﷺ)(2) ممتـدة في الأجيـال يسـمعها كـل المخلصـين الصـادقين الـذين نـذروا أنفسـهم ليكونـوا من أصحاب الحسين، حتى لو حالت بينه وبينهم الأزمان.

حدثينا يا رمـال الطفـوف بأمثـال هـذه الأحـاديث لنسـتعيد وعينـا، وننهض من رقـدتنا.. فلا يمكن لنـا أن ننتصـر على يزيـد الأحقاد، وشمر الكراهية، وحرملة الضغائن، مـا لم نحتضـن كـل أولئك الطاهرين الذين تشرفت أيتها الرمال باحتضانهم.

1() الحدائق الورديّة، حسام الدين المحلّى، صنعاء، جامع النهرين: 1 / 117، مفتاح الافكار (ص 148) كشف الغمة 2 / 241.

2() اللهوف لإبن طاووس ص:50، اعيان الشيعة للسـيد الأمين ج:1 ص:609، نفس المهموم للقمي ص:349.

إلى الأقارب المبعدين

يـا آل بيت النبـوة، ومحـط الرسـالة، ومختلَـف الملائكـة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم.. اسمحوا لي ـ أنا المـتيم بحبكم ـ أن أبث لكم بعض حزني وشكاواي.

أنا لم يهمني في يـوم من الأيـام أن تتولـوا أي منصـب.. لا خلافة.. ولا إمارة.. ولا وزارة.. ولا قضاء.. ولا قيادة جيش.. كـل ذلك لم أفكر فيه.. ولم أحزن على إبعادكم عنه، فأنـا أعلم أنكم أعلى من المناصب، وأرفع منهـا.. والشـرف لمن تـوليتم عليـه، وليس لكم.. فـأنتم شـرفكم باللـه، وبرسـول اللـه ﷺ وليس بالحكم بين الغوغاء والعوام.

ولكن الـذي أهمـني وأقلقـني وأحزنـني هـو ذلـك الإقصـاء المتعمد الذي حصل لكم طيلة تلك الفـترة الحرجـة الـتي كـانت يفسر فيها القـرآن، ويـدون فيهـا الحـديث، وتُعلم فيهـا الأحكـام الشرعية..

في تلـك الفـترة الحرجـة هب النـاس إلى اليهـود، وأبنـاء اليهود، والطلقاء، وأبناء الطلقاء.. وتركـوكم، وهم يعلمـون أنكم معدن الرسالة، وأن العلوم الصحيحة السليمة الـتي لم تمسـهم أيادي التحريف والتغيـير والتبـديل خـرجت من بيتكم، وأن الـذي معكم هو المحجة البيضاء التي لم تكدر ولم تشـوه، ولم يصـبها أي أذى.

هذا الذي أهمني وأحزنني.. وهذا الذي لا تزال آثاره نعيشها إلى اليوم.. بل إن آثاره لا يمكن أن تنسى في يـوم من الأيـام.. فلو أن الجيل الأول بسياسييه وعوامه التفت لكم، وحصـر نقـل الدين عنكم، لما وقع الاختلاف والاضـطراب.. ولمـا احتجنـا إلى كـل تلـك المـدونات الـتي كتبت في علـوم الحـديث والتفسـير وغيرها، والتي شحنت بالغث والسمين.. والحق والباطل.

الذي يحزنني ـ يا ساداتي من آل بيت النبوة ــ ليس عـزل الإمـام علي عن تلـك المناصـب، ولا حـرب صـفين، ولا حـرب الجمل، ولا حرب النهراوين.. ولا كل تلك الجحافـل الـتي كـانت ساكنة طيلة الدهر، فلما جاء دور الإمام الذي أوصى رسول الله ﷺ به، ودعا إليه، قاموا كلهم على بكرة أبيهم يحاربونه.

أنا لم يحزني كل ذلك بقدر ما أحزنني ذلك النـداء العميـق

الذي كان ينادي به الإمام علي في كل مجلس صائحا في الأمة: (سلوني قبل أن تفقدوني، فـو الّـذي نفسـي! بيـده لا تسـألوني عن شـيء فيمـا بينكم وبين السّـاعة، ولا عن فئـة تهـدي مائـة وتضلّ مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها وقائدها وسـائقها، ومنـاخ ركابهـا، ومحطّ رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلا، ومن يموت منهم موتا)(1)

وكان يقول لهم: (سلوني عن كتاب الله، فو الله! ما نزلت آية من كتاب اللـه في ليـل ونهـار ولا مسـير، ولا مقـام إلاّ وقـد أقرأنيها رسول الله ﷺ وعلّمني تأويلها...)(2)

وكان يقول، وهو ممتلئ حزنا وأسفا: (هـاه إن ههنـا لعلمـا جما - وأشار بيده إلى صدره - لو أصبت له حملة)(3)

لكن تلك النداءات لم تجـد آذانـا صـاغية.. حيث تُـرك ذلـك الذي تتملذ في جميع حياته على رسول اللـه ﷺ.. وذهب النـاس إلى غيره.. واختلط الأمر عليهم.. وأصبح الـدين بعـدها بالشـكل الـذي نـراه من الاختلاف والصـراع، وقـد كـان في إمكـانهم أن يجلسوا جميعـا بين يديـه، ومعهم الـدفاتر، ويسـجلوا كـل كلمـة يقولها.. وتصبح حينها جميع أحاديثه متـواترة، ولن يحتـاج النـاس بعدها إلى كتب الرجال، ولا الجرح والتعديل.. وحينها تصبح الأمة جميعا حفاظا.. ولن يحتاج الناس إلى أي حافظ أو محـدث.. بـل حتى كتب الفقه لن تكون بذلك الطول والعرض، لأنهـا سـتحوي الحق المجرد الذي جـاء من معـدن الرسـالة، ومهبـط الـوحي.. لكنهم لم يفعلوا.

ولـو أنهم تـأملوا قولـه ﷺ : (أنـا مدينـة العلم، وعلى بابهـا، فمن أراد العلم فليأت الباب)(4) ، لـتركوا كـل الأبـواب، وراحـوا يطرقون باب الإمـام علي.. فهـو بـاب الهدايـة الـتي لم تـدنس، والحقيقة التي لم تختلط .. لكنهم لم يفعلوا.

ولو أنهم راجعوا تفسير قولـه تعـالى:﴿لِنَجْعَلَهَـا لَكُمْ تَـذْكِرَةً

1() شرح الأخبار 1: 139، وقد روى الحاكم في المستدرك [رقم الحديث: (3394)] عن عامر بن واثلة، قال: سمعت علياً قـام، فقـال: سـلوني قبلأن تفقـدوني، ولن تسـألوا بعدي مثلي، فقام ابن الكواء فقـال: من الـذين بدلوانعمـة اللـه كفـراً وأحلـوا قـومهم دار البوار؟، قال: منافقو قريش، قال: فمنالذين ضل سعيهم في الحياة الـدنيا وهم يحسـبون أنهم يحسنون صنعا؟، قال: منهم أهل حروراء)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح عال.

2() الطبقات الكبرى 2 / 338..

3() نهج البلاغة (4/ 36)

4() الترمذى (5/637، رقم 3723)، والحاكم (3/138، رقم 4639)، وغيرهما.

وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ [الحاقة:12]، لعرفوا أن النبي ﷺ قال لك عند نزولها: (سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ)(1)، وعلموا أيضا أن الله استجاب دعاء نبيه ﷺ، فقد كان الإمام علي يردد: (فما نسيت شيئاً بعد ذلك وما كان لي أن أنسى) .. لكنهم مع رواياتهم للحديث لم يفعلوا.. لأنهم لم ينظروا إلى الأمر باعتباره دينا، وإنما نظروا إليه باعتباره دنيا.. ولم يريدوا أن يسلموا الدين والدنيا لبني هاشم.

وهكذا كان في إمكانهم أن يراجعوا ما حصل عندما نزلت الآيات العشر من سورة براءة على النبى ﷺ ، حينها دعا النبى ﷺ أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة، لكن الوحي الإلهي أمره أن يبعث بها مع الإمام علي.. ولذلك دعاه ﷺ، وقال له: (أدرك أبا بكر فحيثما لحقته، فخذ الكتاب منه، فاذهب إلى أهل مكة فاقرأه عليهم)، وعندما رجع أبو بكر إلى النبى ﷺ خائفا، وهو يقول: يا رسول الله نزل فى شيء، فقال ﷺ: (لا، ولكن جبريل جاءنى، فقال: لن يؤدى عنك إلا أنت أو رجل منك)(2).. كان في إمكانهم أن يعمموا تطبيق هذه الرواية في جميع مناحي الدين.. وجميع مجالاته.. بحيث لا يأخذون الدين إلا من المصدر الذي لم يكدر ولم يختلط.. لكنهم لم يفعلوا.

وهكذا كان في إمكانهم أن يراجعوا ما ورد في القرآن الكريم من أمر المباهلة التي ذكرها الله تعالى، فقال: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ الله عَلَى الْكَاذِبِينَ [آل عمران: 61]، ولعرفوا حينها أن النبي ﷺ غدا حينها، فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، وقد قال جابر في تفسير الآية الكريمة: وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ، رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب نَدْعُ أَبْنَاءَنَا الحسن والحسين وَنِسَاءَنَا فاطمة(3).

وهكذا قال يوم سار ﷺ إلى تبوك، حينها ترك الإمام علي في المدينة.. ثم ذكر لجميع من حضر تبوك أنه منه بمنزلة هارون من موسى.. ولا فارق بينهما إلا في النبوة، لأن النبوة

1() انظر: تفاسير: الطبري، والسيوطي، والرازي، وابن كثير، والقرطبي، والشوكاني، وغيرهم عند تفسيرهم للآية.

2() رواه أحمد (1/151، رقم 1296)، وعبد الله فى زوائده على المسند، وأبو الشيخ، وابن مردويه، [كنز العمال 4400]

3() مسلم 97/119 (6295و6296)، والنسائي في الكبرى: 8381، وغيرهم كثير.

ختمت برسول الله ﷺ (1).

كان في إمكانهم أن يُعملوا هذه الأحاديث جميعا.. لا في المجال السياسي.. فأنا أعلم حرص البشر على الدنيا.. وهم يربطون الحكم بالدنيا.. ولكن على الدين.. فالدين هو الذي يهمنا..

لكنهم للأسف لم يفعلوا مع أنهم كانوا يسمعون نداء الإمام علي، وهو يخبرهم كل حين عن علومه، وأنه لم يتلق شيئا من مصدر خارجي غير مصدر النبوة.. ومع أنه عمّر طويلا بينهم.. وأنه كان معه ﷺفي كل حياته، لم يفارقه أبدا.. وقد روي أن بعض الجاهلين بقدره، أراد أن يحرجه، فقال له: يا أمير المؤمنين، فما كان ينزل عليه، وأنت غائب عنه؟ فأجابه الإمام علي بقوله: (كان يحفظ عليّ رسول الله ﷺ ما كان ينزل عليه من القرآن، وأنا غائب عنه، حتّى أقدم عليه فيقرأنيه، ويقول: يا عليّ، أنزل الله بعدك عليّ كذا وكذا، وتأويله كذا وكذا، فيعلّمني تنزيله وتأويله)(2)

بل إن سعيد بن المسيّب، وفي الزمن الذي تولى فيه الطلقاء، شهد له بذلك، وكان يقول: (لم يكن أحد من الصحابة يقول: سلوني، إلاّ عليّ بن أبي طالب)(3)

لكن الأمة للأسف عزلته.. وفارقته.. وراحت للطلقاء وأبناء الطلقاء.. واليهود وتلاميذ اليهود تأخذ عنهم التجسيم والخرافة وكل القيم التي لا علاقة لها بالدين..

وكان الإمام علي ينظر إليهم متأسفا حزينا، مثلما يحزن الطبيب الذي يجد الناس يلجؤون إلى المشعوذين والرقاة، ويتركون الأطباء والمتخصصين..

وكان يردد محذرا من المصير الذي ستصير إليه الأمة بسبب ذلك الإبعاد: (لو تعلمون ما أعلم ممّا طوي عنكم غيبه، إذا لخرجتم إلى الصّعدات تبكون على أعمالكم، وتلتدمون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها، ولهمّت كلّ امرئ منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرها.. ولكنّكم نسيتم ما ذكّرتم، وأمنتم ما حذّرتم، فتاه عنكم رأيكم، وتشتّت عليكم

1() مسلم 97/119 (6295و6296)، والنسائي في الكبرى: 8381، وغيرهم كثير.

2() الاحتجاج: 139.

3() تاريخ دمشق 42 / 399، أُسد الغابة 4 / 22، الرياض النضرة 3 / 166.

أمركم، ولوددت أنّ اللـه فـرّق بيـني وبينكم، وألحقـني بمن هـو أحقّ بي منكم: قوم واللّه ميامين الرّأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحقّ، متاريك للبغي، مضوا قدما على الطّريقة، وأوجفـوا على المحجّة، فظفروا بالعقبى الدّائمة، والكرامة الباردة)[1]

لم يكتف الجاحـدون بعـزل الإمـام علي في حياتـه.. وإنمـا راحوا يعزلونـه بعـد وفاتـه.. حيث أنهم قبلـوا كـل روايـات كعب الأحبـار ووهب بن المنبـه، وتلاميـذهما الكثـيرون من الصـحابة والتـابعين، وملأوا بهـا كتب التفسـير والعقيـدة والحـديث.. أمـا أحاديث الإمام علي، والتي جُمع الكثـير منهـا في [نهج البلاغـة]؛ فقـد راحـوا يحـذرون منـه.. ويعتبرونـه كتـاب بدعـة، ويعتـبرون دعوته لتنزيه الله وتوحيده تجهما وزندقة وضلالا.

وإلى الآن لا زال النـــاس يقبلـــون أحـــاديث كعب ووهب وغيرهمـا كثـير.. ويـتركون أحـاديث الإمـام علي.. ويكتفـون من رواياته بما رواه النواصب الذين لم يريدوا إلا لم يتركوا وسـيلته لتشويهه إلا مارسوها.

ومن عجـائب الأحـاديث الـتي يـذكرونها ويـدافعون عنهـا توهمهم أن الإمـام علي خطب بنت أبي جهـل في عهـد رسـول الله ﷺ.. حيث يروون عن المسور بن مخرمـة أن (علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي ﷺ، فقـالت لـه: إن قومـك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكحـا ابنـة أبي جهـل، فقام رسول الله ﷺ، فسمعته حين تشهد يقول: (أما بعـد فـإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصـدقني، ووعـدني فـوفى لي، وإنما فاطمة بضـعة مـني يؤذيـني مـا آذاهـا، وإنهـا واللـه لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عـدو اللـه عنـد رجـل واحـد أبـدا)، قال: فترك علي الخطبة)[2]

وقد قال ابن القيم تعليقا على هذه الرواية: (وفى ذكره ﷺ صِهره الآخر، وثناءَه عليه بأنه حدَّثه فصدقه، ووعـده فـوفى لـه، تعريضٌ بعلي رضي الله عنه، وتهييجٌ له على الاقتـداء بـه، وهـذا يُشعر بأنه جرى منه وعد له بأنه لا يَريبها ولا يُؤذيها، فهيَّجه على

1() نهج البلاغة: الخطبة رقم(116)

2() رواه البخاري (3110) ، ومسلم (2449)

الوفاء له، كما وفى له صهرُه الآخر)(1)

وهكذا أصبح الإمام علي، ذلك الذي وردت فيه كل تلك الروايات، بل كل تلك النصوص المقدسة، بهذه الصورة المزيفة التي سرت لعامة الناس، فنزلت به من كل تلك المراتب الرفيعة التي حولته إلى أدنى الصحابة.. بل إلى من دونهم.

وهم لأجل تشويه الإمام علي، يجعلون رسول الله ﷺ يخالف الأحكام الشرعية، ولا يرضى لابنته ـ بحسب ما يدعون ـ ما يرضاه لبنات الناس، ويمكن لمن شك في هذا أن يقرأ لأي امرأة في الدنيا ـ تكون صادقة مع نفسها ـ هذا الحديث لتمتلئ عجبا منه؛ فالذي لا يرضي فاطمة لن يرضي النساء جميعا.. والذي لا يرضي والد فاطمة لن يرضي الآباء جميعا..

وقد قال السيد المرتضى في (تنزيه الأنبياء) تعليقا على ذلك الحديث، وما يتضمنه من تشويهات للنبوة: (هذا خبر باطل، موضوع، غير معروف، ولا ثابت عند أهل النقل.. وقد تضمن ما يشهد ببطلانه، ويقضي على كذبه من حيث ادّعى فيه أن النّبيَّ ﷺ ذمَّ هذا الفعل، وخطب بإنكاره على المنابر، ومعلوم أن أمير المؤمنين لو كان فعل ذلك على ما حكي، لما كان فاعلا لمحظور في الشريعة، لأن نكاح الأربع حلال على لسان نبينا محمد ﷺ، والمباح لا يُنكره الرسول ﷺ، ولا يصرح بذمّه، وبأنه متأذّيه، وقد رفعه الله عن هذه المنزلة، وأعلاه عن كل منقصة ومذمة. ولو كان عليه السلام نافراً من الجمع بين بنته وبين غيرها بالطباع التي تنفر من الحَسَن والقبيح، لما جاز أن يُنكره بلسانه، ثم ما جاز أن يبالغ في الإنكار، ويُعلن به على المنابر، وفوق رؤوس الأشهاد، ولو بلغ من إيلامه لقلبه كل مبلغ، فما هو اختص في الحلم والكظم، ووصفه الله به من جميل الأخلاق وكريم الآداب ينافي ذلك، ويحيله، ويمنع من إضافته إليه وتصديقه عليه، وأكثر ما يفعله مثله في هذا الأمر إذا ثقل عليه، أن يعاقب عليه سراً، ويتكلم في العدول عنه خفياً على وجه جميل.. فوالله إن الطعن على النبي ﷺ بما تضمّنه هذا الخبر الخبيث، أعظم من الطعن على أمير المؤمنين، وما صنع هذا الخبر إلا ملحد قاصد للطعن عليهما، أو ناصب معاند لا يبالي أن

1() زاد المعاد: (5/118)

يشفي غيظه بما يرجع على أصوله بالقدح والهدم)(1)

ولم يكتفوا بـذلك، فهم إلى الآن لا زالـوا يـذكرون بـأن من انتقد الصحابة، أو تكلم عنهم بسوء كافر، ويُرد حديثـه، ويقتـل.. إلا الإمام علي.. فإنهم يعتبرون لعنه وسبه وبغضـه شـيئا طبيعيـا وعاديا ولا ضرر فيه، ولا يُجرح الراوي إن وقع فيه، بل قـد يزيـد في وثاقته، لأنه يبعده عن تهمة التشيع.

وكيف لا يفعلون ذلك، وهم يستنون بسنة ذلك الذي أبغضه وسبه وحاربه سيدهم وخالهم وكاتب وحيهم معاويـة الـذي سـن سـنة سـب الإمـام عليّ على المنـابر في جميـع بلاد العـالم الإسلامي في ذلك الحين(2)، وقد روي أنه كـان يقـول في آخـر خطبة كل جمعة: (اللهم إن أبا تراب ألحـد في دينـك، وصـدّ عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلا، وعذبـه عـذاباً أليمـا).. وكتب بـذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشار بهـا على المنـابر، إلى خلافـة عمر بن عبد العزيز(3)..

وقد أقر بذلك كـل المـؤرخين والمحـدثين المعتـبرين لـدى الفئة الباغية، فقد قال ابن حجر: (ثم اشـتد الخطب فتنقصّـوه ـ أي الإمـام علي ــ واتخـذوا لعنـه على المنـابر سـنّة، ووافقتهم الخوارج على بغضه)(4)

وقـد روي أن خالـد بن عبـد اللـه القسـري والي العـراق لهشام بن عبد الملك والمحبب كثيرا لدى السلفية قديما وحديثا كان يقول في خطبته: (اللهم العن عليّ بن أبي طـالب بن عبـد المطلب بن هاشم، صهر رسـول اللـه على ابنتـه، وأبـا الحسـن والحسين! ثمّ يقبل على الناس ويقول: هل كنيت!)(5)

وروي أن معاوية ومن معه من الفئة الباغية بالغوا في ذلك مبالغة شـديدة إلى الدرجـة الـتي جعلت جماعـة من بـني أميـة تعارضه بسبب ذلك، وتقول له بعد سـنين من حكمـه: (إنـك قـد بلغت ما أملّت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقـال: لا واللـه حتّى يربو عليه الصغير، ويهرم عليـه الكبـير، ولا يـذكر لـه ذاكـر

1() تنزيه الانبياء : 173 ـ 171.

2() انظـر: صـحيح مسـلم 7:ـ 120 ، سـنن الترمـذي 5:ـ 301، المسـتدرك على الصحيحين 3: 109، مسند أحمد 4: 369.

3() شرح نهج البلاغة: 4/ 56ـ 57.

4() فتح الباري: 7: 57

5() الكامل في اللغة والأدب، المبرد:: 414، وشرح نهج البلاغة: 4/ 57.

فضلا)(1)

وقـد أشـار الجاحـظ إلى الـدوافع السياسـية الـتي جعلت معاوية ومن بعده من بني أمية يفعلون ذلـك، فقـال: (ومـا كـان عبد الملـك بن مـروان ممّن يخفى عليـه فضـل عليّ، وأن لعنـه على رؤوس الأشــهاد، وفي أعطــاف الخطب، وعلى صــهوات المنابر ممّا يعود عليه نقصه، ويرجع إليه وهنه، لأنّهما جميعاً من بني عبد مناف، والأصل واحد، والجرثومـة منبت لهمـا، وشـرف عليّ وفضله عائد عليه، ومحسوب له. ولكنه أراد تشـييد الملـك وتأكيد ما فعلـه الأسـلاف، وأن يقـرر في أنفس النـاس إن بـني هاشم لا حظ لهم في هذا الأمر، وأن سيدهم الّذي به يصـولون، وبفخره يفخرون، هذا حاله وهذا مقداره، فيكون من ينتمي إليه ويدلي به عن الأمر أبعد، وعن الوصول إليه أشحط وأنزح) (2)

وقد أشار الإمام عليّ إلى هـذا، لأنـه يعلم أن بنيـان الفئـة الباغيــة من أصــحاب الملــك العضــوض لا يمكن أن يقــوم وفي الناس من يحب الإمام علي، أو يرتبط بأهل بيت النبوة، فلــذلك كان يعلم أصحابة التقية في دينهم، حتى لا يبيـدهم الظلمـة، ولا يجد النـاس من يلجـؤون إليـه، ومن أقوالـه في ذلـك: (أمّـا أنّـه سيظهر عليّكم بعدي رجل رحب البلعوم، منـدحق البطن، يأكـل مــا يجــد، ويطلب مــا لا يجــد، فــأقتلوه، ولن تقتلــوه، ألاّ أنّــه سيأمركم بسبي والبراءة مني، فأمّا السـب فسـبوني، فانّـه لي زكاة ولكم نجاة، وأمّا البراءة فلا تتبرؤا مني، فـاني ولـدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة) (3)

ولم يكتف المجرمون بذلك، بل وصل الأمر بهم إلى اعتبار التسمية بعليّ محظورة إلاّ لبني هاشم، فكان بعضهم يخاف من اسمه، فيصغّره، ويقول: انـا عُلَيّ ولسـت بعلي.. قـال قتيبـة بن سـعيد سـمعت الليث بن سـعد يقـول: قـال عليُّ بن ربـاح: (لا أجعل في حلٍّ من سمّاني عُلَيّاً فإن اسمي عَلِيّ)، وقـال سـلمة بن شبيب: (سمعت أبا عبد الرحمن المقرىء يقـول: كـانت بنـو أمية إذا سمعوا بمولود اسمه عَلِيّ قتلوه، فبلغ ذلك رباحاً فقال:

1() شرح نهج البلاغة: 4/ 57.

2() شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 4/ 57ـ 58.

3() أنساب الأشراف، البلاذري: 2/32، نهج البلاغة ، الشريف الرضي ، 92.

هو عُلَيّ، وكان يغضب من (عَلِيٍّ) ويُحرّج على من سمّاه به)[1]

وحتى لا يتركوا أي أثر للإمام علي في دين المسلمين، ولا حياتهم، راحوا يُقصون كل محب له بتهمة التشيع، في نفس الوقت الذي يُوثقون فيه كل معاد له، قال ابن حجر العسقلاني: (والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويُطلق عليه رافضي، فإنْ انضاف إلى ذلك السب والتصريح بالبغض فغال في الرفض، وإنْ اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو)[2]

وقال: (وقد كنت استشكل توثيقهم الناصبي غالبا، وتوهينهم الشيعة مطلقا، ولا سيما أن عليا ورد في حقه: (لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق)، ثم ظهر لي في الجواب عن ذلك أن البغض ها هنا مقيد بسبب وهو كونه نصر النبي ﷺ، لأن من الطبع البشري بغض من وقعت منه إساءة في حق المبغض والحب بالعكس، وذلك ما يرجع إلى أمور الدنيا غالبا والخير في حب علي وبغضه ليس على العموم، فقد أحبه من أفرط فيه حتى ادعى أنه نبي أو إله، تعالى الله عن أفكهم والذي ورد في حق علي من ذلك قد ورد مثله في حق الأنصار وأجاب عنه العلماء أن بغضهم لأجل النصر كان ذلك علامة نفاق وبالعكس. فكذا يقال في حق علي. وأيضا فأكثر من يوصف بالنصب يكون مشهورا بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة، بخلاف من يوصف بالرفض فإن غالبهم كاذب ولا يتورع في الأخبار، والأصل فيه أن الناصبة اعتقدوا أن عليا قتل عثمان أو كان عليه فكان بغضهم له ديانة بزعمهم. ثم انضاف إلى ذلك أن منهم من قتلت أقاربه في حروب علي)[3]

ولهذا نجد في الثقاة أمثال حريز بن عثمان الناصبي الذي وثقه يحيى القطان ومعاذ بن معاذ وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ودحيم وغيرهم، مع أنهم يروون أنه سئل بعضهم عن سر عدم الرواية عنه، فقال: (كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن عليا

1() تهذيب الكمال ج 20 : 429، تهذيب التهذيب 7 : 280.

2() هدي الساري ص 640.

3() تهذيب التهذيب (8/ 458)

سبعين لعنة كل يوم)[1]

ولو أنه بدل الإمـام علي لعن غـيره من الصـحابة، لكفـروه واتهموه بالزندقة.. ولكن عرض الإمام علي عندهم مباح، وكـأن رسول الله ﷺ لم يحكم بالنفـاق على مبغضـيه، وإنمـا حكم لهم بالوثاقة والدين والصلاح.

مع أن الصحابة أنفسـهم، والـذين تصـوروا أنفسـهم حمـاة لهم ومــدافعين عنهم، حكمــوا بالنفــاق على من أبغض عليــا، فكيف بمن لعنه أو حاربه أو سبه، وقد قـال ابن عمـر: (مـا كنـا نعرف المنافقين على عهـد النـبي ﷺ إلا ببغضـهم عليـاً)، وقـال جابر: (ما كنا نعرف منافقينـا معشـر الأنصـار إلا ببغضـهم لعلي) [2]، وقال أبو سعيد الخدري: (إنما كنـا نعـرف منـافقي الأنصـار ببغضهم عليا)[3]

ولهذا كان الصادقون منهم يفتخرون بحبهم لعلي، باعتبـاره علامة على الإيمـان، وعلى محبـة اللهن وقـد روي أن رجلا قـال لسلمان: ما أشد حبك لعلي؟ فرد عليه سلمان بقولـه: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أحب علياً فقـد أحبـني، ومن أحبـني فقد أحب الله عز وجـل، ومن أبغض عليـاً فقـد أبغضـني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل) [4]

ولو أنهم تأملوا هذه الأحاديث لعرفوا أن الإمــام علي ليس مجرد صحابي عادي، أو فرد عادي من آل بيت النبوة، وإنما هــو الممثل الحقيقي للدين بعد رسول الله ﷺ.. ذلك أنه يستحيل أن يـترك الـدين من غـير أن يكـون هنـاك من يمثلـه.. هكـذا جـرى العرف في كل الأديـان.. بـل في كـل بلاد المسـلمين الآن نجـد مجالس للإفتاء، ويتربع على رأسها المفـتى أو الشـيخ الأكـبر أو شـيخ الإسـلام.. والـذي يمثـل المرجـع الأعلى عنـد الخلاف، ولا يعطى له هذا المنصب إلا بسبب علمه الوفير.

وكان أحق الناس بـذلك المنصـب الإمـام علي.. فهـو أكـثر الصحابة تلمذة لرسول الله ﷺ.. بل إنه ربي في حجرة، وعـاش

1() تاريخ بغداد: ج8/ص269.

2() البزار (كشف الأستار 3/169)، وعبد الله في زيادات الفضائل (1086)

3() أحمد في فضائل الصحابة بإسناده على شرط البخاري.

4() انظر: المستدرك (3/130) الطبراني في المعجم الكبـير(23/380/901) عن أم سلمة، وقال الهيثمي في المجمـع (9/132): (وإسـناده حسـن)، وقـد علـق عليـه الشـيخ ممدوح بقوله: (فهذا طريقان للحديث كلاهما حسن لذاته، فالحديث: صحيح بهما)

في بيته، وبقي معه إلى آخر يوم في حياته.. ولم يترك موضعا إلا كان معه فيه.. وعندما تخلف أكثر الصحابة عنه في شعب أبي طالب كان معه.. وهكذا لم تنزل آية من القرآن الكريم، إلا وكان عالما أين نزلت، ومتى نزلت، وما قال رسول الله ﷺ في تأويلها.

وفي الأخير، وبعد ذلك كله، يوضع مع الذين اكتفوا من صحبتهم لرسول الله ﷺ بمجرد رؤيته، أو الجلوس معه في مجلس واحد، ولهذا نجد المتأخرين في إسلامهم من الصحابة أكثر رواية منه.. لا لقلة علمه، أو ضعف ذاكرته.. وإنما لأن القوم لم يريدوا أن يجمعوا لبني هاشم بين النبوة ووراثتها، وذلك لأنهم تصوروا أن الأمر مرتبط بالعشائر والأنساب، لا بالدين.

بل إنهم وإمعانا في عزله راحوا يقصونه من ذلك المجلس الذي كلف بتدوين القرآن الكريم، مع أنه كان أحق الناس به، وهل هناك عزل أكبر من ذلك؟.. وهل هناك جحود للوريث الشرعي لعلم النبوة أكبر من ذلك؟

ومع ذلك كان الإمام علي أوسع الناس صدرا، وأكثرهم رفقا بالأمة، فلم يجد إلا أن يفعل ما فعله هارون عليه السلام، عندما رأى بني إسرائيل يعبدون العجل، فخشي أن يفرق بينهم.. فآثر الدعوة الهادئة..

وقد رأى الإمام علي بعينيه كعب الأحبار وغيره وهم يبثون تلك الروايات التجسيمية، فلم يملك إلا أن يتخذ له أصحابا صادقين يبث فيهم علم النبوة، وحقائق الدين.. وهو يعلم أن نور الله لن تطفئه أيدي البشر، وأن تلك الكلمات ستحيا من جديد في الأمة، وستنطفئ كل ظلمات الفئة الباغية.

ولم يكتفوا بذلك، بل راحوا إلى أبنائه وأحفاده يتعاملون معهم بنفس المعاملة.. وفي كل فترات التاريخ.. لأنهم يعلمون أنهم أول من بث فيهم علمه، فلذلك راحوا يحذرون من صحبتهم، ويتعاملون معهم بقسوة لا نظير لها، وكأنهم ليسوا من أهل بيت النبوة، ولا ورثة العلم الحقيقي الذي لم يختلط ولم يدنس.

ففي العهد الذي كان فيه الحسنان.. سيدا شباب أهل الجنة..ذانك اللذان ورد في فضلهما من الأحاديث ما لم يرد في فضل غيرهما.. تركهما الناس، بل حاربوهما، وقتلوهما، ثم ذهبوا

إلى أولئك الذين رضي عنهم الطلقاء، وجلسوا بين أيديهم يكتبون الفقه والعقيدة والتفسير والحديث.. وكل معارف الدين.

ومن العجيب أنه في الوقت الذي تروى فيه آلاف الأحاديث عن أبي هريرة وغيره من الصحابة.. لا يروى عن الإمامين الحسن والحسين مجتمعين سوى عشرين حديثا.. بل إن أكثر الأمة يتصور أن الإمامين لم يتجاوزا مرحلة الصبا.. ولم يعرفوا أنهما لم ينالا ذلك الفضل العظيم الذي نطق به رسول الله ﷺ إلا نتيجة ما آتاهما الله من علم وتقوى كان للأمة أن تستفيد منه، لكنها ضيعته.. ولم تكتف بالتضييع .. بل راحت تحاربهما.. إلى أن قتلتهما.

وبعد أن فعلت ذلك، راحت تحذر من كل رواية تروى عنهما، بحجة أن الذي رواها شيعة.. وهم يعلمون أن كل من كان ملتفا بهما، صُنف في خانة الشيعة.. وهل يمكن أن يروي عن العالم غير تلاميذه؟

وهكذا كان الأمر مع كل من عداهما..

فالإمام السجاد زين العابدين.. ذلك الذي ترك لنا ثروة ضخمة من الأدعية العظيمة التي كان يمكن أن تستفيد منها الأمة، في الحفاظ على أصالتها ودينها وقيمها.. راح يُعزل ويحذر منه ومن أدعيته.. ويكتفى فقط بذلك الثناء الذي لا جدوى منه، وبتلك الدعاوى التي تكتفي بالمحبة المجردة عن أي أثر.. وكأن رسول الله ﷺ طلب منا أن نحبهم حبا فارغا من أي معنى في نفس الوقت الذي نتبع فيه أعداءهم.

ولذلك إن سألت أي شخص عن الإمام السجاد، فسيذكر لك ما قاله الفرزدق عنه، وقد يذكر لك صلاته وتقواه وكثرة سجوده، لكنك إن سألته عن المناجَيات الخمسَ عشرةَ، فلن يجيبك بشيء.. فإن ذكرت له مناجاة التائبين، أو الشاكرين، أو الخائفين، أو الراجين، أو الراغبين، أو المطيعين للهِ، أو المريدين، أو المحبّين، أو المتوسّلين، أو المفتقرين، أو العارفين، أو الذاكرين، أو المعتصمين، أو الزاهدين.. فلن يجيبك بشيء.. لأنه لم يسمع بها في حياته.

ولو أنه كان صوفيا فسيذكر لك عشرات الأوراد والأدعية والصلوات والمناجيات، للشاذلي والجيلاني والنقشبندي والبدوي.. وغيرهم كثير.. ثم تراه يجهل كل ما ورد عن آل بيت النبوة من أدعية ومناجيات لا يمكن أن يوازى بها أي دعاء، ولا

أي مناجاة.

ومن العجب أن هـؤلاء يـذكرون أن من قـال لشـيخه لم لا يفلح أبدا، بينما هم يترضون ويقدسون كل من قتل وقاتل ولعن وسب أولئك الذين يدّعون حبهم.

وكل ذلك من سوء فهم معنى المحبة، وتصـور أنهـا مجـرد عاطفة قلبية خالية من أي أثر عملي، مع أن الله تعـالى يقـول: ﴿قُـلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللـه فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمـران: 31]

وهكذا فعلوا مع الإمام والباقر والصـادق والكـاظم والرضـا وكل الأئمة.. الذين شهد لهم التاريخ بالعلم والتقـوى والصـلاح.. لكنهم أبعدوا من كل شـيء في نفس الـوقت الـذي قـرب فيـه الجهلة والفسقة والمنحرفون.

وعندما سقطت الدولة الأمويـة، وولـدت الدولـة العباسـية، والـتي رفعت شـعار الانتصـار لأهـل بيت النبـوة، راحت بسـبب تصورها الخاطئ للدين والممثلين له، تمعن في إبعـاد أهـل بيت النبــوة، وبكــل قســوة، ولا تكتفي بــذلك، بــل كــان الخلفــاء العباســيون يتنافســون في قتلهم وتشــريدهم والتحــذير من اتباعهم، والسخرية بهم.

وكـانوا يكرمـون كـل شـاعر هجـاهم، كمـا فعـل المهـدي العباس مع الشاعر مروان بن أبي حفصـة حين أعطـاه سـبعين ألف درهم، أي عشرات الكيلوغرامات من الذهب، بسبب قوله:

يــا ابن الــذي ورِثَ الأقاربِ من ذوى دون الأقاربِ من ذوى

الــوحي بين بــني قطـعُ الخصــامِ فلاتَ

ما للنساءِ مع الرجالِ نــزلتْ بــذلك ســورةُ

أنى يكون وليس ذاكَ لبــني البنــاتِ وراثــة

حتى قال الشاعر في حقهم:

تاللــه مــا فعلت معشــار مــا فعلت

وهكذا استعمل كل أصحاب الملك العضوض ما لـديهم من وسائل لحرمان الأمـة من تـراث أهـل بيت النبـوة.. ولم يكتفـوا بذلك، بل ضـموا إلى صـفهم العلمـاء والمحـدثين، الـذين راحـوا ينافسون أصحاب الملك العضوض في إقصاء أئمة أهـل الـبيت،

وكل من يرتبط بهم.

وقـد بلـغ بهم الأمـر إلى أنهم كـانوا يوثقـون النواصـب في نفس الوقت الذي يجرحون فيه أئمة أهل البيت..

ومن العجيب أن البخـاري الـذي تـرك الروايـة عن الإمـام الصادق يعتبر عمـران بن حطّـان السدوسـي البصـري (ت 84) من الثقاة الذين يروي عنهم في صحيحه، وله باتفاق المـؤرخين شعر في مدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمـنين علي، منه قوله:

لله در المرادي الّـذي	كفّاه مهجة شر الخلق
أمسـى عشـية غشـاه	معطى مناه من الآثـام
يا ضـربة من تقي مـا	إلاّ ليبلـــــــغ من ذي
إنّي لأذكـــره حينـــاً	ميزانا(1)

وليس هذا خاصا بفرد أو فردين، بل كان هذا منهجهم الذي اعتمدوا عليه في الجرح والتعديل، وقد كتب المحدث المعروف (محمد بن عقيل العلـوي) كتابـه في (العتب الجميـل على أهـل الجرح والتعديل) في الرد على هذا المنهج الذي يضاد ما أمر به رسـول اللـه ﷺ من اعتبـار مـولاة الإمـام علي علامـة للإيمـان، وبغضه علامة للنفاق.

وقد قال في مقدمـة كتابـه، بعـد نقلـه لكلام ابن حجـر في سبب توثيق المحدثين للنواصب وتوهينهم للمحبين للإمـام علي: (ولا يخفى أن معنى كلامه هذا أن جميـع محـبي علي المقـدمين لـه على الشـيخين روافض، وأن محبيـه المقـدمين لـه على من سوى الشيخين شـيعة، وكلا الطـائفتين مجـروح العدالـة. وعلى هذا فجملة كبيرة من الصـحابة الكـرام كالمقـداد وزيـد بن أرقم وسلمان وأبي ذر وخباب وجـابر وعثمـان بن حـنيف وأبي الهيثم بن التيهـان وخزيمـة بن ثـابت وقيس بن سـعد وأبي ذر وخبـاب وجـابر وعثمـان بن حـنيف وأبي الهيثم بن التيهـان وخزيمـة بن ثابت وقيس بن سعد وأبي الطفيل عامر بن واثلـة والعبـاس بن عبد المطلب وبنيه وبني هاشم كافة وبني المطلب كافـة وكثـير غيرهم كلهم روافض لتفضيلهم عليا على الشيخين ومحبتهم لــه

1() انظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب 8 / 113 ـ 114 برقم 223.

ويلحـق بهـؤلاء من التـابعين وتـابعي التـابعين من أكـابر الأئمـة وصفوة الأمة من لا يحصى عددهم وفيهم قرناء الكتـاب، وجـرح عدالة هؤلاء هو والله قاصمة الظهر) (1)

وقـد ضـرب الأمثلـة الكثـيرة عن جـرج المحـدثين للـرواة بسبب حبهم للإمام علي، ومن ذلـك مـا نقلـه عن ابن حجـر في (تهذيب التهذيب) في ترجمة مصدع المعرقب مـا لفظـه: (قلت إنما قيل له (المعرقب) لأن الحجـاج أو بشـر بن مـروان عـرض عليه سـب علي فـأبى فقطـع عرقويـه. قـال ابن المـديني قلت لسفيان: في أي شيء عرقب؟ قال: في التشيع انتهى. ثم قـال ذكره الجوزجـاني في الضـعفاء - يعـني المعـرقب - فقـال زائـغ جـائر عن الطريـق، يريـد بـذلك مـا نسـب إليـه من التشـيع. والجوزجـاني مشـهور بالنصـب والانحـراف فلا يقـدح فيـه قولـه انتهى. ومن هـذا تعـرف أن التشـيع الـذي يعـرقب المتصـف بـه ويكـون زائغـا جـائزا عن الطريـق عنـد أمثـال الجوزجـاني هـو الامتناع عن سب مولى المؤمنين عليه السلام)(2)

بل إن إبعادهم لأهل بيت النبـوة، وعـزلهم لهم راح يسـري إلى المناطق الجغرافية التي انتشروا فيها.. ولهذا نجـد الأحكـام المشـددة على الكوفـة باعتبارهـا كـانت عاصـمة للإمـام علي، وللفئة المؤمنة معه من الصحابة والتابعين.. فقد ألصقوا بها كل تهمة، وحولوها إلى بؤرة من بؤر البدع، بل اتهموها بأنها هي ـ لا الفئـة الباغيـة ــ من سـاهم في قتـل الإمـام علي وأهـل بيتـه الطاهرين.

وقد قـال ابن المعـتز العباسـي مشـيرا إلى ذلـك الموقـف الذي اتخذه الساسة ومن شايعهم من العلماء:

واستمع الآن حـديث الكوفـ ... مدينـــة بعينهـــا

كثـــيرةُ الأديـــانِ والأهـ ... وهمُّهـا تشتيتُ أمر الأمـ

وأخذوا وقتلوا عليـاً العـ ... ـادل ، الـبر ، التقـي الزكـا

وقتلـوا الحسـين ، فـأهلكوا أنفسـهم ... فـي ذلك الإهلاكـا

وجحدوا كتابهم إليه وحرفـوا قـرآنهم ... عليه

1() العتب الجميل، ص15.

2() العتب الجميل، ص19.

ثم بكــوا من بعــده هلا ، كـذاك يفعـل

فقد بقــوا في دينهم لا يهـــــودٌ همْ ولا

والمســـلمون منهمُ رافضـــــةٌ ودينهم

فبعضـهم قـد جَحَـدَ وغلَّطـوا في فعلـه

وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك الموقف السلبي من الكوفة، فقال: (وأما أهل الكوفة فلم يكن الكذب في أهل بلد أكثر منه فيهم؛ ففي زمن التابعين كان بها خلق كثيرون منهم معروفون بالكذب لا سيما الشيعة فإنهم أكثر الطوائف كذبا باتفاق أهل العلم؛ ولأجل هذا يذكر عن مالك وغيره من أهل المدينة أنهم لم يكونوا يحتجون بعامة أحاديث أهل العراق؛ لأنهم قد علموا أن فيهم كذابين ولم يكونوا يميزون بين الصادق والكاذب فأما إذا علموا صدق الحديث فإنهم يحتجون به كما روى مالك عن أيوب السختياني وهو عراقي فقيل له في ذلك فقال: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه أو نحو هذا. وهذا القول هو القول القديم للشافعي حتى روي أنه قيل له: إذا روى سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله حديثا لا يحتج به فقال: إن لم يكن له أصل بالحجاز وإلا فلا ثم إن الشافعي رجع عن ذلك وقال لأحمد بن حنبل: أنتم أعلم بالحديث منا فإذا صح الحديث فأخبرني به حتى أذهب إليه شاميا كان أو بصريا أو كوفيا ولم يقل مكيا أو مدنيا لأنه كان يحتج بهذا قبل. وأما علماء أهل الحديث كشعبة ويحيى بن سعيد وأصحاب الصحيح والسنن فكانوا يميزون بين الثقات الحفاظ وغيرهم فيعلمون من بالكوفة والبصرة من الثقات الذين لا ريب فيهم وأن فيهم من هو أفضل من كثير من أهل الحجاز ولا يستريب عالم في مثل أصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمة؛ والأسود؛ وعبيدة السلماني؛ والحارث التيمي وشريح القاضي ثم مثل إبراهيم النخعي؛ والحكم بن عتيبة وأمثالهم من أوثق الناس وأحفظهم فلهذا صار علماء أهل الإسلام متفقين على الاحتجاج بما صححه أهل العلم بالحديث من أي مصر كان وصنف أبو داود السجستاني مفاريد أهل الأمصار يذكر فيه ما انفرد أهل كل

مصر من المسلمين من أهل العلم بالسنة) (1)

وهكـذا ــ يـا آل بيت النبـوة ــ أبعـدت الأمـة عن محـط الرسـالة، ومختلَـف الملائكـة، ومعـادن العلم، وينـابيع الحكم.. ولذلك لا نعجب أن يختلط عليهـا أمـر دينهـا، وأن يـدب الصـراع بينها، وأن تنتقل إليها كل تلك الأدواء التي أصـابت مـا قبلهـا من الأمم.. فمن عــزل الأســتاذ، يســتحيل أن يتعلم، ومن عــزل الطبيب يستحيل أن يشفى .. هذه سنة الله، و﴿لَنْ تَجِدَ لِسُـنَّتِ الله تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ الله تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43]

(1) مجموع الفتاوى (20/ 314)

إلى الأبطال المنسيين

يا أبطال الإسلام المنسيين..

يا أبا طالب.. ويا علي.. ويا جعفر.. ويا حمزة.. ويا بني هاشم الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ في الشعب محاصرين جوعى، ولم يسلموه، ولم يبيعوه بأموال الدنيا.

أيها الأبطال الذين وقفوا مع الإسلام في أحلك الظروف، وكان لهم الفضل الأكبر في الحفاظ عليه، والانتصار على أعدائه.. كل أعدائه.

اسمحوا لي أن أستعيد ذكركم؛ فقد نسيكم الكثير من قومي، وراحوا يهونون من شأنكم.. منشغلين بغيركم.. فهم لا يريدون أن يذكروا بذكركم تلك الجرائم التي ارتكبها الطلقاء، الذين تحولوا وفي لمح البصر إلى صحابة أجلاء، سابقين صادقين، والويل لمن تكلم عنهم بما تذكره الحقائق.

اسمحوا لي أن أستعيد تلك الآلام التي تنبأ فيها رسول الله ﷺ بما سيحصل لكم ولذريتكم من بعده، فقد حدث أبو سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (ان أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلا وتشريدا، وان أشد قومنا لنا بغضا بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم)(1)

ولذلك كان كلما رآكم راحت عيناه تغرورقان بالدموع، فقد حدث ابن مسعود قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذا أقبل فئة من بني هاشم، فلما رآهم رسول الله ﷺ اغرورقت عينه(2).

ونحن نريد أن نستن بسنة رسول الله ﷺ في بكائه عليكم، وتأثره لحالكم.. وكيف لا نفعل ذلك، وأنتم أبطال الإسلام الذين سارع الناس إلى تغييبهم وهجرهم وتناسي كل التضحيات التي بذلوها، والبطولات التي قدموها.

بطولات أبي طالب:

وأول الأبطال المنسيين المحتقرين أنت يا أبا طالب.. يا حصن الإسلام الأكبر.. وهم إلى الآن يهونون من شأنك ومن

1() رواه ابن عساكر ونعيم بن حماد في الفتن، والحاكم، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (10/ 152)

2() رواه البيهقي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (10/ 152)

دورك في حفظ الإسلام، وحفظ رسول الله ﷺ ونصرته مع أنه لم يقف أحد مع رسول الله ﷺ في تلك الفترة الحرجة غيرك.

فأنت الذي ضحيت بكل شيء، وتلقيت كل ألوان البلاء.. لتنصره.. لا لكونه ابن أخيك، ولكن لكونك من العارفين بنبوته، والمؤمنين بها، بل من أوائل السابقين لذلك، فأنت آمنت بنبوته من صباه الباكر، بل قبل أن يولد؛ فقد كانت الأحاديث كلها تشير إليه.

لكن قومي لم يكتفوا بعزلك وإبعادك وظلمك.. بل راحوا يشيعون ما كذبه الطلقاء الممتلئون بالنفاق عليك.. لقد راحوا يصدقونهم، ويكذبونك، ويجلونهم، ويحقرونك.. ولم يكتفوا بذلك.. بل راحوا يتهمونك بالشرك، وأنك لم تؤمن حرصا على إرضاء أبي سفيان وأبي جهل وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة..

ولست أدري هل كان رسول الله ﷺ أحب إليك، أم أولئك الملأ الذين استعملت كل الوسائل لمواجهتهم، وفرطت في كل المصالح من أجل الحفاظ على ابن أخيك الذي كنت تؤثره على نفسك وعلى كل شيء.

لذلك امتد حقدهم إليك.. وصاروا يصورون الفترة المكية التي كنت السند الأعظم فيها لرسول الله ﷺ.. وكأنك لم تكن موجودا فيها.. ولو أنهم تخلوا عن كبريائهم، وراحوا يقرؤون السيرة من المصادر التي يعتمدونها، لوجدوا أنك أنت الناصر الأكبر للإسلام، وأنه لا يقاس بك أحد في ذلك..

وهكذا الكثير من الأقارب الذين جمعهم رسول الله ﷺ عندما أنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، والذين أسلموا، وكتموا إسلامهم، حتى يقوموا بدورهم في حفظ الإسلام، وحفظ رسول الله ﷺ.

ولم يشذ عنهم في ذلك إلا ذلك الخائن البليد أبا لهب الذي أثرت فيه زوجه أم جميل أروى بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان، وعمة معاوية، تلك التي ورد ذكرها مع أبي لهب في القرآن الكريم، والتي آثرها وآثر قومها على رسول الله ﷺ، فنزل فيه وفيها قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)﴾ [المسد: 1 - 5]

وهي آيـات كريمـة تـبين أن السـبب الـذي جعـل أولئـك الأقارب الـذين تشـرفوا بحمايـة رسـول اللـه ﷺ لم يكن مجـرد الحميـة القبليـة، ولا القرابـة، ولا العشـائرية.. ولكنـه الاقتنـاع بالإسـلام.. ذلـك أن عبـد المطلب وبـني هاشـم كـانوا يعلمـون بالخير المدخر لهم من عند الله.

وقد ذكر المؤرخون العدول الذين لم تـؤثر فيهم تدليسـات الفئـة الباغيـة أن عبـد المطلب كـان وعشـيرته من المؤمـنين الموحدين، ومن الحنفاء الذين يتبعون ملة إبراهيم عليه السلام، ويذكرون أنه كان يمنع من طواف العراة، ويوفي بالنذر، ويؤمن بالمعاد، ويحرم الزنى، والخمر، ونكاح المحارم، وكان يأمر ولده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكـارم الأخلاق، وينهـاهم عن دنيات الأمور، وكان مجاب الدعوة (1).

وهم يـروون عن النـبي ﷺ أنـه قـال: (يـا علي، إن عبـد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل مـا ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين إبراهيم (عليه السلام)(2)

ويـروون عن الأصـبغ بن نباتـة أنـه قـال: سـمعت أمـير المؤمنين يقول: (واللـه مـا عبـد أبي ولا جـدي عبـد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنما قط)، قيل: فما كانوا يعبـدون؟ قـال: (كـانوا يعبـدون - يصـلون إلى - الـبيت على دين إبـراهيم (عليـه السلام) متمسكين به)(3)

ويدل لهذا أن النبي ﷺ كان يذكر نسبه إليـه، ويعـتز بـذلك، وما كان ليتعز بالانتساب لمشـرك، فقـد كـان يقـول يـوم حـنين عنـدما تفـرق عنـه النـاس: (أنـا النـبي لا كـذب أنـا ابن عبـد المطلب.. اللهم أنزل نصرك)(4)

ويـدل لهـذا مـا ذكـره علمـاء السـيرة جميعـا من أن عبـد المطلب ـ عندما جاء جيش أبرهة لهدم الكعبة ـ أخذ بحلقة بـاب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهـو آخـذ بحلقـة بـاب الكعبـة

1() السيرة الحلبيـة ج 1 ص 4، والسـيرة النبويـة لـدحلان (مطبـوع بهـامش السـيرة الحلبية) ج 1 ص 21.

2() بحار الأنوار: ج 77 ص 56..

3() كمال الدين للصدوق: ١٧٤ ،بحار الأنوار: ١٥: ١٤٤.

4() البخاري ج 7 ص 622 (4317)، ومسلم ج 3 ص 1400.

(1):

لا هم إن المرء نع رحلـه فـامنع
لاَ يغلبنّ ومحـالهم عـدواً
انصـر على آل ب وعابديـــــه
إن كنت بتنا فأمر ما بـدا

ورووا أن عبد المطلب قام يدعو على الحبشة فقال (2):

يا رب لا أرجو لهم يـــا ربّ فـــامنع
امنعهم أن يخربـوا إنّ عــدوّ الــبيت

ويدل لهذا ذلك التعظيم الذي كان يبديـه لرسـول اللـه ﷺ، ومن ذلك ما رواه المؤرخون من أن حليمة السعدية لمّا قـدمت برسـول اللـه ﷺ إلى مكـة ضـاع من بين يـديها، فالتمسـته فلم تجده فأتت عبد المطلب فقالت: إني قدمت بمحمد هـذه الليلـة فلما كنت بأعلى مكة أضلّني، فـو اللـه مـا أدري أين هـو، فقـام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله تعالى أن يـردّه عليـه، ورووا أنه قال حينها:

يـا رب إن محمّـداً فجمع قومي كلّهم
لاَ همّ ردّ راكـــبي اردده لي ثمّ اتّخـذ
أنت الــذي جعلتــه لاَ يبعـد الـدّهر بـه

أنت الذي سمّيته محمدا

ورووا أنه حينها سمع هاتفاً من السماء يقول: (أيهـا النـاس لا تضجّوا إن لمحمد ﷺ ربّـا لن يخذلـه ولن يضـيعه)، فقـال عبـد المطلب: من لنـا بـه؟ فقـال: (إنـه بـوادي تهامـة عنـد الشـجرة اليمنى)، فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفـل وسـار فإذا النبي ﷺ قائم تحت شجرة يجذب غصناً من أغصـانها فقـال له جده: من أنت يا غلام؟ قال: أنا محمـد بن عبـد اللـه بن عبـد المطلب، قال: وأنا جدّك فـدتك نفسـي. واحتملـه وعانقـه وهـو

1() سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (1/ 219).

2() رواه البيهقي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (1/ 219)

يبكي ثم رجع إلى مكة وهو قدّامه على قربوس فرسه فاطمأنت قريش، ونحر عبد المطلب عشرين جزوراً وذبح الشّياه والبقر وأطعم أهل مكة من ذلك.

وروي أن أمه آمنة قالت حينها: (أخشيتما عليه الشيطان؟ كلا والله ما للشيطان عليه سبيل، والله إنه لكائن لا بني هذا شأن.. حملت به فما حملت حملاً قط أخفّ منه، فأريت في النوم حين حملت به خرج منّي نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام، ثم وقع حين ولدته وقعاً ما يقعه المولود، معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء)

وحينها قال عبد المطلب ــ والذي كان عارفاً بالشأن العظيم لرسول الله ﷺ ـ: (يا حليمة إن لابني هذا شأناً.. وددت أني أدرك ذلك الزمان)(1)

وهكذا وردت الروايات الكثيرة التي تؤكد إيمان عبد المطلب، وأن بني هاشم لم يتدنسوا بذلك الشرك الذي وقع فيه من عداهم من أهل الجاهلية.

لكن أولئك المتطرفين من قومي الذين ورثوا الجفاء من الفئة الباغية راحوا يغالطون في ذلك، لا لدليل أو حجة، وإنما لأن هذا ـ كما يذكرون ــ قول الرافضة(2) مع أنهم يعلمون أن الكثير ممن ينسبونهم لأهل السنة يقول بذلك.. كالمسعودي، واليعقوبي، والماوردي، والسنوسي، والتلمساني محشي الشفاء، والسيوطي، والذي ألف عدة رسائل لإثبات ذلك، منها مسالك الحنفا، والدرج المنيفة في الآباء الشريفة، والمقامة السندسية في النسبة المصطفوية، والتعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله ﷺ في الجنة، والسبل الجلية في الآباء العلية، ونشر العلمين المنيفين في إثبات عدم وضع حديث إحياء أبويه ﷺ وإسلامهما على يديه ﷺ.

ولو أن أولئك الجفاة تأملوا قوله ﷺ: (لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني في عالمكم، ولم يدنسني بدنس الجاهلية)(3)، وقوله ﷺ:

1() سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (1/ 390)

2() كما قال أبو حيان الأندلسي: (ذهبت الرافضة إلى أن آباء النبي ﷺ كانوا مؤمنين)، تفسير البحر المحيط ج 7 ص 47.

3() مروي في مصادر سنية وشيعية كثيرة منها: السيرة الحلبية ج 1 ص 30، والبحار ج 15 ص 117 .

(ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء وما ولدني الا نكـاح كنكـاح الإسلام)(1)

ولو جمعوا هـذا الحـديث وغـيره مـع قولـه تعـالى: ﴿يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْـرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُـوا الْمَسْـجِدَ الْحَـرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: 28] لعرفوا الحق الذي تدل عليـه كـل الدلائل.

والعجيب أنهم يقبلـــون أن يكـــون في قـــريش حنفـــاء وموحدين.. من أمثال زيد بن عمـرو بن نفيـل، ابن عم عمـر بن الخطاب.. بل يروون عنـه من الـورع والتقـوى الشـيء الكثـير.. ولو كان من بني هاشم ما قبلوا منه ذلك.

بل إن الغلو وصل بهم إلى درجـة تفضـيله في الـورع على رسول الله ﷺ.. فقد روى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمـر أن رسول الله ﷺ لقي زيـد بن عمـرو بن نفيـل بأسـفل بلـدح ـ وذاك قبل أن يـنزل على رسـول اللـه ﷺ الـوحي ــ فقـدم إليـه رسول الله ﷺ سفرة فيهـا لحم، فـأبى أن يأكـل منهـا، ثم قـال: (إني لاآكل مما تذبحون على أنصابكم، ولاآكل إلا مما ذكر اسـم الله عليه)(2)

والعجب الأكبر من هذا أنهم يروون أن رسول الله ﷺ كـان يأكل من تلك السفرة التي تـورع عنهـا زيـد.. وقـد صـرح بـذلك أحمد بن حنبل وأبو يعلى والبزار وغـيرهم، وقـد قـال ابن حجـر العسقلاني معلقا على الحديث السـابق: (وقـد وقـع في حـديث سعيد بن زيد الذي قهر منه وهو عنـد أحمـد، فكـان زيـد يقـول: عذت بما عـاذ بـه ابـراهيم ثم يخـر سـاجدا للكعبـة، قـال: فمـر بالنبي ﷺ وزيد بن حارثة وهما يأكلان من سـفرة لهمـا فـدعياه، قال: (يابن أخي لا آكل ممـا ذبح على النصـب)، قـال: فمـا رؤي النبي ﷺ يأكل مما ذبح على النصب من يومه ذلك)، وفي حديث زيد بن حارثة عند أبي يعلى والبزار وغيرهما، قـال: خـرجت مـع رسول الله ﷺ يومـا من مكـة وهـو مـرد في مـذبحنا شـاة على بعض الأصـنام فاذبحناهـا فلقينـا زيـد بن عمـرو، فـذكر الحـديث مطولا، فقال زيد: اني لا أكل مما لم يذكر اسم الله عليه)(3)

1() رواه الطبراني، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 214)

2() صحيح البخاري 6 : 225.

3() فتح الباري 9 : 518 ..

وهم يروون في هذا بفرح عظيم أنه كان يقول لقريش: (إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه).. ويقول: (الشاة خلقها الله تعالى، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الارض ثم تذبحونها على غير اسم الله)(1)

لكنهم إن جاءوا لآباء رسول الله ﷺ راحوا يروون: أن رجلا سأل النبي ﷺ: أين أبي؟، فقال: في النار، فلما قفا دعاه، وقال له: (إن أبي وأباك في النار)(2)

وهكذا قبلوا إيمان زيد بن عمرو بن نفيل ــ ابن عم عمر بن الخطاب ـ وذكروا أنه في الجنة يسحب ذيولا (3).. وقبلوا إيمان ورقة بن نوفل.. وذكروا أن أمية بن أبي الصلت كاد يسلم في شعره.. وهكذا قُبل الجميع ما عدا بني هاشم الذين صوروهم بصورة الجفاة الغلاظ المسدودة قلوبهم عن الإيمان، مع أنهم يرون رسول الله ﷺ غدوة وعشية وهو بين أظهرهم.. ومع ذلك لم يؤثر فيهم، وأثر في الأبعدين.

ولم يكن ذلك إلا وليد الحقد الأموي عليهم، والذي تدل عليه الروايات الكثيرة، ومنها ما رواه عبدالله بن عمر قال: بينما نحن جلوس بفناء رسول الله ﷺ إذ مرت امرأة فقال رجل من القوم: هذه ابنة محمد، فقال أبو سفيان: إن مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط النتن، فانطلقت المرأة فأخبرت النبي ﷺ فخرج النبي ﷺ يعرف الغضب في وجهه، فقال: (ما بال أقوال تبلغني عن أقوام! إن الله تبارك وتعالى خلق السموات فاختار العليا فأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، فأنا من بني هاشم من خيار إلى خيار)(4)

وهم يروون هذا الحديث، ويروون ما يدل عليه من اختيار الله لرسول الله ﷺ البيئة المناسبة، وفي نفس الوقت يقبلون

1() صحيح البخاري، رقم 3826 ..

2() رواه مسلم وغيره، انظر: الإصابة ج 1 ص 337.

3() السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 39 و168 والبداية والنهاية ج 2 ص 237 ـ 241..

4() رواه الحاكم في المستدرك (4/ 73)

الإيمان من كل الناس إلا من بني هاشم.. وكأن الله اختارهم لجمال وجوههم، لا لطهارة قلوبهم.

بطولات حمزة:

اعذروني سادتي .. لأني تركت الحديث عنكم، ورحت أتحدث عن أولئك الذين ظلموكم، ولا يزالون يظلمونكم..

أما أنت يا عم رسول الله ﷺ الثاني.. حمزة.. فقد كنت حقا أسد الله، وأسد رسوله، وسيد الشهداء، وكنت البطل الذي أرغم المشركين عن كف أذاهم عن رسول الله ﷺ.

ولم تصبر على كتم إيمانك؛ فرحت تجهر به في الوقت الذي رأيت فيه أن الكتمان جعل المشركين أكثر عنجهية وكبرياء..

لقد روى المؤرخون وأصحاب السير أنك بعد أن رجعت من الصيد، أخبرك بعضهم بما فعله أبو جهل تجاه الرسول ﷺ، فرحت تسرع إليه، لتنتقم منه، ثم ضربته على رأسه بالقوس، ضربة شججته بها شجة منكرة، ثم قلت له: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول؟ فرد عليّ ذلك إن استطعت.

لقد قلت له ذلك، بكل قوة، بعد أن تضرع إليك، وراح يعتذر، لعلمه بشجاعتك وبأسك.. حينها قام رجال من بني مخزوم لينصروا أبا جهل، وقالوا لك: ما نراك إلا قد صبأت؟

فقلت لهم: وما يمنعني، وقد استبان لي منه أنه رسول الله، والذي يقول حق؟! فو الله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين.

حينها لم يملك أبو جهل إلا أن يقول: (دعوا أبا عمارة، فإني والله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا)(1)

وحين سمعت قريش نبأ إسلامك الذي أعلنته في تلك الظروف الصعبة، صارت أكثر خوفا من إيذاء رسول الله ﷺ بعد أن اجتمع على حمايته كلا العمين الصادقين المخلصين المؤمنين: حمزة وأبي طالب.. بالإضافة لأكثر بني هاشم.

ولم تكتف بذلك، بل رحت تطلب من رسول الله ﷺ أن يعلن دينه، وألا تأخذه في الله لومة لائم.. وقلت له: (أظهر يا ابن أخي دينك)(2)

1() تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 72 و73 والسيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 312..

2() تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 72..

وهكذا عندما هاجرت إلى المدينة المنورة كـان سـيفك من تلـك السـيوف الـتي نصـرت الإسـلام، وبثت الـرعب في قلـوب المشـركين إلى أن حرضـت هنـد زوج أبي سـفيان، وأم معاويـة وحشـيا على قتلـك.. وقـد بلـغ بهـا الحقـد إلى أن راحت تلـوك كبدك.

فقد روى المؤرخون والمحدثون عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال: غزونا الشـام في زمن عثمـان فمررنـا بحمص بعـد العصر، فقلنا: وحشي! فقالوا: لا تقدرون عليه، هو الآن يشـرب الخمر حتى يصبح. فبتنا من أجله وإنا لثمانون رجلا، فلمـا صـلينا الصبح جئنا إلى منزله، فإذا شيخ كبير، قد طرحت له زربية قـدر مجلسه، فقلنا له: أخبرنا عن قتل حمـزة، فكـره ذلـك وأعـرض عنه، فقلنا له: ما بتنا هذه الليلـة إلا من أجلـك. فقـال: إني كنت عبـدا لجبـير بن مطعم بن عـدى، فلمـا خـرج النـاس إلى أحـد دعاني فقال: قد رأيت مقتل طعيمـة بن عـدي، قتلـه حمـزة بن عبد المطلب يـوم بـدر، فلم تـزل نسـاؤنا في حـزن شـديد إلى يومي هذا، فإن قتلت حمزة فأنت حر. قال: فخرجت مع النـاس ولي مزاريق، وكنت أمر بهند بنت عتبة فتقـول: إيـه أبـا دسـمة، اشف واشتف! فلما وردنا أحدا نظرت إلى حمـزة يقـدم النـاس يهدهم هدا فرآني وأنا قد كمنت له تحت شـجرة، فأقبـل نحـوي ويعترض له سباع الخزاعي، فأقبل إليه فقـال: وأنت أيضـا ممن يكثر علينـا، هلم إلي! قـال: وأقبـل حمـزة فاحتملـه حـتى رأيت برقان رجليه، ثم ضرب به الأرض ثم قتله. وأقبل نحـوي سـريعا حتى يعترض له جرف فيقع فيه، وأزرقه بمزراقي فيقع في ثنته حتى خرج من بين رجليه، فقتلته، وأمر بهند بنت عتبة فأعطتني حليها وثيابها)[1]

ورووا أنهم (وجدوا حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ قد بقر بطنه، وحملت كبده احتملها وحشي، يذهب بكبـده إلى هنـد بنت عتبة في نذر نذرته حين قتل أباها يوم بدر)[2]

وهم إلى الآن يعظمون هنـدا ووحشـيا، ويترضـون عليهمـا، ويعتبرونهما من الصحابة الأجلاء الذين لا يجوز الحديث عنهم، أو الحط من شـأنهم، بـل يعتـبرونهم من العـدول حـتى لـو شـربوا

1() مغازي الواقدي (1/ـ 286)، وانظر: والبخاري في صحيحه: (4072)، وأحمـد في مسنده: (16077)

2() دلائل النبوة للبيهقي (3/ 214)

الخمر، مثلما كان يشربها وحشي، لأن الخمر عندهم لا تؤثر في العدالة، وإنما يؤثر فيها محبة أهل البيت أو الولاء لهم.. حينها لن يبقى لأحد حرمة حتى لو كان صحابيا.

وقد حزن رسول الله ﷺ عليك ـ يا حمزة ـ مثلما حزن على عمه أبي طالب.. بل طلب أن يقام عليك العزاء حتى يعرف المسلمون فضلك وقيمتك ودورك في خدمة الإسلام ونصرته.

وقد قال ابن إسحاق: (ومر رسول الله ﷺ ـ حين رجع إلى المدينة ـ بدور من الأنصار؛ فسمع بكاء النوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال: (لكن حمزة لا بواكي له)، فأمر سعد بن معاذ، أو أسيد بن حضير نساء بني عبد الأشهل: أن يذهبن ويبكين حمزة أولا، ثم يبكين قتلاهن. فلما سمع ﷺ بكاءهن، وهن على باب مسجده أمرهن بالرجوع، ونهى ﷺ حينئذ عن النوح، فبكرت إليه نساء الأنصار، وقلن: بلغنا يا رسول الله، أنك نهيت عن النوح، وإنما هو شيء نندب به موتانا، ونجد بعض الراحة؛ فأذن لنا فيه. فقال: إن فعلتن فلا تلطمن، ولا تخمشن، ولا تحلقن شعرا، ولا تشققن جيبا، قالت أم سعد بن معاذ: فما بكت منا امرأة قط إلا بدأت بحمزة إلى يومنا هذا)(1)

وما قالته أم سعد ـ سيدي أبا عمارة ـ رد بليغ على أولئك الذين يمنعون المحبين لك ولأهل البيت الطاهرين من إقامة العزاء لكم أو ذكركم أو الإشادة بكم.. لأنهم يعلمون أنكم لا يمكن أن تذكروا إلا ويذكر معكم أولئك البغاة الذين حرفوا الإسلام وشوهوه، وملأوه بكل الدنس الذي أصاب الأديان من قبله.

بطولات علي:

أما أنت يا علي.. فما عساي أقول عنك.. وهل يمكن أن تسعفني الألفاظ في شرح تفاصيل أدوارك في نصرة الإسلام في كل مراحله..

فأنت من شهدت له كل الدواوين، وكل المؤرخين بأنك بطل الإسلام الأكبر.. فأكثر الغزوات، كنت أنت بطلها، ومبتدأها وخبرها، وأولها وخاتمتها..

1() السيرة الحلبية ج 2 ص 254.

حتى قال فيك أسيد بن أبي أناس الكناني(1) قبل إسلامه يخاطب قريشا (2):

في كلّ مجمع غاية جذع يفوق على
هذا ابن فاطمة ذبحا وقتلا بغضه لم
للّه درّكم ألمّا قد يذكر الحرّ الكريم

ولهذا كان رسول الله ﷺ يضع الراية في يدك في كل الغزوات، ومن المعلوم أن أول ما يفعله الأعداء هو قتل صاحب الراية، حتى يتمكنوا من إسقاطها، ومن تحقيق النصر المعنوي الذي يريدون، ولذلك كان رسول الله ﷺ يسلمها لك، لعلمه بشجاعتك وثباتك.

وقد قال ابن عباس يذكر ذلك: (لعلي بن أبي طالب أربع ما هنّ لأحد: هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله ﷺ،وهو صاحب لوائه في كل زحف، وهو الذي ثبت معه يوم المهراس (أي يوم أحد)؛ وفرّ الناس، وهو الذي أدخله قبره)(3)

وعن مالك بن دينار قال: سألت سعيد بن جبير وإخوانه من القراء: من كان حامل راية رسول الله ﷺ؟ قالوا: كان حاملها علي)(4)

وقد ورد في الروايات أن الفئة الباغية كانت تنهى عن أمثال هذه الروايات، وقد روي أنه لما سأل بعضهم سعيد بن جبير عن ذلك غضب سعيد، فشكاه إلى إخوانه من القرّاء، فعرّفوه: أنه خائف من الحجاج، فعاد وسأله، فقال: كان حاملها علي، هكذا سمعت من عبد الله بن عباس(5).

وفي رواية: (كان يحملها في المسير ابن ميسرة العبسي، فإذا كان القتال؛ أخذها علي بن أبي طالب)

ولم يكن حمل الراية ليشغلك عن القتال، بل كنت البطل الأكبر في كل المعارك، وقد ذكر المؤرخون أنك في بدر وحدها

1() وهو أسيد بن إياس بن وئيم الكناني. وقد قال هذه الأبيات قبل إسلامه. (ابن حجر، الإصابة 2 / 508).

2() الإصابة في تمييز الصحابة (1/ 231).

3() مستدرك الحاكم ج 3 ص 111 ، ومناقب الخوارزمي ص 21 و22 وإرشاد المفيد ص 48.

4() ذخائر العقبى ص 75 وينابيع المودة ج 2 ص 167.

5() مستدرك الحاكم ج 3 ص 137 وصححه.

قتلت اثنين وعشرين من المشركين(1)، في نفس الوقت الـذي قتل فيه حمزة بن عبد المطلب تسعة، وقتل عمار بن ياسـر بن ياسر خمسة، وقتـل أبـو دجانـة أربعـة، وقتـل الزبـير ين العـوام اثنين، وقتل عبدالرحمن بن عوف اثنين..

ولكن مـع ذلـك لا يُـذكر هـذا، ولا تـذكر بطولتـك في هـذه المعركة التي كانت فرقانا بين الحق والباطـل، ولا يـذكر كونـك سيف الله المسلول فيها وفي غيرها على أعدائه، بل ينقل هـذا اللقب إلى غـيرك (2)، رغم أنـف التـاريخ، وكـل الأحـداث الـتي نقلها المؤرخون الذين يعتمدونهم.

وهكذا كنت في تلـك المعركـة المفصـلية الفارقـة بين الحـق والباطل ـ أنت وابن عمك عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب(3) الهاشمي الذي لا يكـاد يعرفـه أحـد، وحمـزة بن عبـد المطلب ـ كان ثلاثتكم أول من قابل المشركين في المبارزة، وذلك عندما خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة، وابنه الوليد من المشركين.

وذلك حين نادى مناديهم: يا محمد ! أخرج إلينا أكفاءنـا من قومنا، وكان رسول الله ﷺ يعرف شجاعتك على الرغم من أنها أول معركة في الإسلام، لذلك قـال: (قم يـا عبيـدة بن الحـرث، وقم يا حمزة، وقم يا علي)

فلما قمتم، بارز عبيدة ــ وكـان أسـنكم ــ عتبـة بن ربيعـة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارزت أنت الوليـد بن عتبـة؛ فأمـا حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأمـا أنت فلم تمهـل الوليـد أن قتلته، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما جرح صاحبه،

1() ذكرهم ابن هشام في السيرة بأسمائهم، فقد بلـغ من قتلهم علي بن أبي طـالب أو شارك في قتلهم ـ عنـده ــ واحـد وعشـرون رجلًا، وعنـد الواقـدي بلـغ من قتلهم علي أوشرك في قتلهم، اثنان وعشرون رجلًا، انظر: ابن هشام، السيرة النبويـة 1/708-715، المغازي 1 / 152.

2() الرواية التي تقول: إن رسول الله ﷺ هو الذي أطلـق هـذه التسـمية على خالـد، وفي مناسبة حرب مؤتة، حينما أَمَّر خالـد نفسـه على النـاس، بعـد قتـل جعفـر، وزيـد بن حارثة، وابن رواحـة، حيث يزعمـون: أنـه ﷺ قـال: «اللهم إنـه سـيف من سـيوفك، فـأنت تنصره».. فمنذ يومئذ سمي خالد: سيف الله، رواية غير صحيحة، لأن خالداً انهزم بالناس في مؤتة، فكيف يعطي النبي ﷺ الأوسمة للمهزوم، وحينما عاد الجيش إلى المدينة جعـل الناس يحثون التراب في وجوههم، ويقولون: يا فرار في سبيل اللـه.. ودخـل أفـراد ذلـك الجيش إلى بيوتهم، ولم يعد يمكنهم الخروج منها، لأنهم كلما خرجوا صاح الناس: أفـررتم في سبيل الله.. انظر: تاريخ الطبري ج 3 ص 42.

3() وقيل ابن الحرث بن عبد المطلب القرشي المطلبي، ابن عم النبي ﷺ أسلم قديمًا، وكان رأس بني عبد مناف حينئذٍ، كـان مـع النـبي ﷺ في مكة ثم هاجر وشهد بدرًا وقتل فيها. (انظر : ابن سعد في الطبقات الكبرى 3 / 50 - 52. وابن حجر، الإصابة 2 / 449).

وكررت أنت وحمزة بأسيافكما على عتبة فقتلتماه(1).

وبـذلك كـانت أول مبـارزة في الإسـلام مبـارزة هاشـمية، وأول شـهيد في أخطـر معركـة رجـل من بـني هاشـم، لا يكـاد يعرفه النـاس، لأن عقـولهم ملأوهـا بالطلقـاء، وقلـوبهم ملأوهـا بحب البغاة.

وفيك وفي أصحابك من المتبارزين نزل قول اللـه سـبحانه وتعـالى ﴿ هَـذَانِ خَصْـمَانِ اخْتَصَـمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَـرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَـابٌ مِنْ نَـارٍ يُصَـبُّ مِنْ فَـوْقِ رُءُوسِـهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [الحج: 19]، وقد روى المحدثون في ذلك عنـك أنـك قلت: (أنـا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصـومة يـوم القيامـة)، وقـال قيس بن عبادة: (وفيهم أنزلت ﴿ هَـذَانِ خَصْـمَانِ اخْتَصَـمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: 19] قـال: هم الـذين تبـارزوا يـوم بـدر، حمـزة وعلي وعبيدة ــ أو أبـو عبيـدة ــ بن الحـارث، وشـيبة بن ربيعـة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة(2).

وهكذا كانت شجاعتك في معركة أحد التي فر فيهـا الكثـير عن رسول الله ﷺ، في نفس الوقت الذي ثبت فيه ثباتا عظيما، لا يكاد يذكره أحد(3).

وفي هـذه المعركـة أيضـا قتلت الكثـير من المشـركين، وكنت أنت الـذي أخـذ بيـد رسـول اللـه ﷺ حينمـا وقـع في الحفرة(4).. ولمـا جـرح النـبي ﷺ كنت أنت الـذي سـكب المـاء عليه، وفاطمة تغسل الدم عن وجهه ﷺ (5).

وهكذا كانت شجاعتك يوم الخندق.. ذلك اليوم الذي اجتمع فيها الشرك والنفاق واليهودية لضرب الإسلام، ووصف الله فيـه كيـف تزلـزلت القلـوب بقولـه: ﴿إِذْ جَـاؤُوكُم مِّن فَـوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَـاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:10]

في ذلك اليوم الذي ارتعدت فيه القلوب، وبلغت الحنـاجر، وقـال ﴿ الْمُنَـافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُـوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَـدَنَا اللـه

1() انظر : ابن هشام، السيرة النبوية 1 / 625. والمقريزي، امتاع الأسماع 1 / 85.

2() رواه البخاري، 3 / 84.

3() انظر : تاريخ خليفة بن خياط ص 67. وابن كثير، البداية والنهاية 7/224.

4() ابن هشام، السيرة النبوية 2/80.

5() انظر االحديث في ذلك في صحيح البخاري، كتاب المغازي 3/109.

وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا [الأحزاب:12] كان قلبك ـ مولاي وسيدي ـ ثابتا ممتلئا قوة وإيمانا.

في ذلك اليوم خرج عمرو بن عبد ود، ونادى بكل كبرياء: هل من مبارز؟ فلم يجبه أحد من المسلمين، فاستأذنت حينها رسول الله ﷺ، فقال لك: (إنّه عمرو).. ثم كرّر النداء ثانية وثالثة، وأنت في كل حين تستأذن رسول الله ﷺ، فيجيبك بمثل ذلك، إلى أن اكتشف من كان حاضرا في تلك المعركة أنه لا يمكن لأحد أن يبرز له، حينها أذن لك رسول الله ﷺ.. ولم يؤخرك حرصا عليك، وإنما أخرك ليعرف الجمع مقامك.

وعندما برزت له، ونظر رسول الله ﷺ إليك، وإلى الأنوار التي تشع منك، قال: (برز الايمان كلّه إلى الشرك كلّه)(1)

وعندما دنوت من عدوك اللدود صاحب القوة والبطش، لم تستعجل بضربه، وإنما رحت تدعوه إلى الله،وتقول له: (يا عمرو إنّك كنت تقول: لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلاّ قبلتها أو واحدة منها)، قال: أجل، فقلت: (إنّي أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، وأن تسلم لربّ العالمين)، فقال: أخّر هذا عنّي، فقلت: (أما أنّها خير لك لو أخذتها)، ثمّ قلت له: ها هنا أخرى، قال: وما هي؟ قلت: ترجع من حيث أتيت، قال: لا، تحدّث نساء قريش عنّي بذلك أبداً، فقلت: ها هنا أخرى، قال: وما هي؟ قلت: أبارزك وتبارزني.

حينها تعجب عمرو من جرأتك، وضحك ضحكة سخرية، وقال: إنّ هذه الخصلة ما كنت أظنّ أحداً من العرب يطلبها منّي، وأنا أكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك نديماً لي، فقلت: وأنا كذلك، ولكنّي أحبّ أن أقتلك ما دمت أبيّاً للحق.

بعدها حصل ما عبر عنه جابر بن عبد الله بقوله: (وتجاولا وثارت بينهما فترة، وبقيا ساعة طويلة لم أرهما ولا سمعت لهما صوتاً، ثمّ سمعنا التكبير فعلمنا أنّ علياً قد قتله)(2)

وهكذا كانت شجاعتك يوم خيبر.. ذلك الذي شهد لك فيه التاريخ، وحفظه الرواة، ونقلوه بالأسانيد الكثيرة التي لا مجال للشك فيها، منها ما حدث به عبد الرحمان بن أبي ليلى، قال:

1() كشف الغمة: 1/205، وإعلام الورى ص194 ، ومناقب آل أبي طالب: 3/136.

2() انظر: البيهقي في دلائل النبوة، السيرة النبوية لابن كثير ج3 ص204.

كان علي يخرج في الشتاء في إزار ورداء، ثوبين خفيفين، وفي الصيف في القباء المحشو، والثوب الثقيل، فقال: الناس لعبد الرحمان: لو قلت لأبيك فإنه يسهر معه، فسألت أبي، فقلت: إن الناس قد رأوا من أمير المؤمنين شيئا استنكروه، قال: وما ذاك؟ قال: يخرج في الحر الشديد في القباء المحشو، والثوب الثقيل، ولا يبالي ذلك، ويخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين، والملاءتين، لا يبالي ذلك، ولا يتقي بردا، فهل سمعت في ذلك شيئا؟ فقد أمروني أن أسألك أن تسأله إذا سمرت عنده، فسمر عنده، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد تفقدوا منك شيئا، قال: وما هو؟ قال: تخرج في الحر الشديد في القباء المحشو، والثوب الثقيل، وتخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين، وفي الملاءتين، لا تبالي ذلك ولا تتقي بردا، قال: وما كنت معنا يا أبا ليلى بخيبر؟ قال: قلت: بلى، والله قد كنت معكم، قال: فإن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر، فسار بالناس فانهزم، حتى رجع إليه، وبعث عمر، فانهزم بالناس، حتى انتهى إليه، فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله له، ليس بفرار، فأرسل إلي فدعاني، فأتيته وأنا أرمد لا أبصر شيئا، فتفل في عيني، وقال: اللهم اكفه الحر والبرد، قال: فما آذاني بعد حر ولا برد(1).

لقد شهد الكثير من الصحابة ذلك الموقف، وكلهم تمنوا أن يحصل لهم مثله.. لقد ورد في الحديث عن سعد بن وقاص قوله، وهو يذكر مناقبك: (وسمعته يقول يوم خيبر: (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فتطاولنا لها فقال: ادعو لى عليًا، فأتى به أرمد، فبصق فى عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه)(2)

وقد ذكر المؤرخون ما فعلت يومها، حيث كان لقيادتك للمعركة أثر النفسي الكبير على اليهود، فقد رووا أنه (أشرف على علي رجل من اليهود، فقال من أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب، فقال اليهودي: غُلِبتم يا معشر اليهود.. وكان عليّ

1() رواه أحمد 1/99 (778) و1/133 (1117)، وابن ماجة 117، ورواه البخاري: 4/64 (2975) و5/23 (3702) وفي 5/171 (4209)، ومسلم: 7/122 (6303)

2() رواه الترمذى فى المناقب: مناقب على بن أبى طالب، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. صحيح الترمذى: 5/638؛ وأخرجه مسلم من الطريقين جميعًا فى فضائل الصحابة: من فضائل على بن أبى طالب: 5/268.

صاحب الراية والفاتح لحصون اليهود من بـني النضـير وقريظـة في المدينة وقاتِل أشرافهم وأشدّائهم)(1)

وقـال ابن هشـام: (قـال سـلمة: فخـرج [عليّ] واللـه بهـا [الراية] يؤجّ (يركض وله حفيف) أوِ يأنح (يعلـو بنفسـه)، يهـرول هرولة وإنّا خلفه نتبع أثره، حتى رَكَز رايته في رَضم من حجـارة تحت الحصن، فاطّلع إليـه يهـوديّ من رأس الحصـن، فقـال من أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب. فقال اليهودي: عَلَوتم والذي أنزِل على موسى! أو كمـا قـال. فمـا رجـع حـتى فتح اللـه على يديه)(2)

ومن أحداث تلك المعركـة مـا ذكـره الواقـدي قـال: (.. ثم دفع إليه اللواء، ودعا لـه ومن معـه من أصـحابه بالنصـر، فكـان أول من خرج إليهم الحارث أخو مـرحب في عاديتـه، فانكشـف المسـلمون وثبت علي، فاضـطربا ضـربات فقتلـه علي، ورجـع أصـحاب الحـارث إلى الحصـن فـدخلوه وأغلقـوا عليهم، فرجـع المسلمون إلى موضعهم، وخرج مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر أني شـــاكي الســـلاح

أضرب أحيانا وحينا أضرب

فحمل علي فقطره، على الباب وفتح الباب: وكان للحصن بابان)(3)

وقـال ابن الأثـير: (وخـرج مـرحب صـاحب الحصـن وعليـه مغفر (ما يُدرّع به الرأس) قد نقبه مثـل البيضـة (الخـوذة) على رأسه، وهو يقول:

قد علمت خيبر أني شـــاكي الســـلاح

فقال عليّ:

أنـا الـذي سـمّتني أكيلكم بالسيف كيل

ليث بغابات شديدٌ قسورة

فاختلفا ضربتين، فبدره عليّ، فضربه، فقدّ (شقّ) الحَجَفـة (الترس) والمغفر ورأسه حتى وقـع في الأرض، وأخـذ المدينـة)

1() ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 220..

2() ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 798.

3() مغازي الواقدي (2/ 654).

(1)

وغيرها من الأحداث التي اتفق المؤرخون على روايتها، وعلى اعتبارك بطل خيبر الأكبر، ويروون أن حسان بن ثابت قال حينها، وبعد فتح خيبر على يديك (2):

وكان عليّ أرمد العين دواء، فلمّا لم يجد بدّا

شفاه رسول الله منه فبورك مرقيّا، ومن يرقا

وقال سأعطى الرّاية مكينا محبّا للإله يعادي

يحبّ إلهى، والإله يحبّه به يفتح الله الحصون من الأعدا

فخصّ لها دون البرية عليا، وسمّاه الوليّ المؤاخيا

وقال أيضا:

جبريل نادى وهو لا والنقع ليس بمنجل

والمسلمون قد حول النبي أحاطوا

لا سيف إلا ولا فتى إلا ذو الفقار علي

ومع ذلك كله لم تكن تنسب لنفسك شيئا، وقد روي أن بعضهم سألك: (يا أبا الحسن، لقد اقتلعت منيعا، وأنت ثلاثة أيام خميصا، فهل قلعتها بقوة بشرية؟)، فقلت: (ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية، ونفس بلقاء ربها مطمئنة رضية)(3)

وقد قلت في رسالتك لسهل بن حنيف: (والله، ما قلعت باب خيبر، ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعا بقوة جسدية، ولا حركة غذائية، لكنني أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مضيئة، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء)(4)

وهكذا كان حالك في كل المواقف.. لقد قال ابن أبي الحديد يصف شجاعتك: (وأمّا الشجاعة فإنّه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في

1() ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 220..

2() ابن حجر، نهج الايمان، ص 177.؛ سبط ابن الجوزي، التذكرة، ص 16..

3() البحار ج 21 ص 40.

4() أمالي الصدوق ص 307 والبحار ج 21 ص 26.

الحـرب مشـهورة تضـرب بهـا الأمثـال إلى يـوم القيامـة. وهـو الشجاع الذي ما فرّ قطّ، ولا ارتاع من كتيبـة، ولا بـارز أحـدا إلاّ قتله، ولا ضرب ضربة قطّ فاحتاجت الأولى إلى الثانية)(1)

وقد شهد لك أعداؤك بتلك الشجاعة والبطولـة، فقـد روي أنه لمّا دعوت معاوية إلى المبارزة ليستريح النـاس من الحـرب بقتل أحدكما، قـال لـه عمـرو: لقـد أنصـفك، فقـال معاويـة: مـا غششتني منذ صحبتني إلاّ اليوم، أتـأمرني بمبـارزة أبي الحسـن وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرق، أراك طمعت في امارة الشـام بعدي(2)..

بل إن أعداءك كانو يفتخرون بأنك أنت الذي قتلتهم.. فقـد روي أن أخت عمرو بن عبد ودّ قالت ترثيه(3):

لو كان قاتـل عمـرو بكيته ما أقـام الـرّوح

لكنّ قاتلـــه من لا وكان يدعى أبوه بيضة

وما تلك الشجاعة والبطولة التي وهبك الله إياهـا من دون كثـير من النـاس إلا لمـا كـان في قلبـك من قـوة الإيمـان الـتي زرعها فيك وتعهدها حبيك محمد ﷺ.. لذلك كنت تخرج في أيـام صفّين وحـدك بغـير حمايـة، ولمـا قيـل لـك: تقتـل أهـل الشـام بالغـــداة وتظهـــر بالعشـــي في إزار ورداء؟ قلت: (بـــالموت تخوّفـوني؟ فـو اللـه مـا أبـالي سـقطت على المـوت أم سـقط عليّ!)(4)

بطولات جعفر:

أما أنت يا جعفر.. أيها البطـل الطيـار .. يـا أول سـفير في الإسلام.. وأول من عرّف بقيمه النبيلة في إفريقيا.. مـا عسـاي أقول عنك وعن بطولاتك، ونصرك للإسلام، ودعوتك إليه.. فأنت مثل أخيك الأصغر الإمام علي.. ومثل أبيك أبي طالب .. قـدمت حياتك جميعا في سبيل الله.

لكنـك مـع ذلـك كلـه لا تكـاد تـذكر.. فقـد كتب قـومي في فضائل معاوية وهند وعمرو بن العـاص وبسـر وسـمرة ومسـلم

1() شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد 1/ 20.

2() شرح نهج البلاغة 1/20 و5/217، محاضرات الأُدباء للجاحظ 1/131.

3() شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد 1/ 20.

4() العقد الفريد 1/ 102.

بن عقبة.. وكل من رمى أخاك عليا ولو بسهم واحد.. ونسوا أن يكتبوا عنك.. وكأنك نكـرة، وكأنـك لسـت من السـابقين الأولين للإسلام.. والذين انتدبهم رسول الله ﷺ ليمثلوا الإسلام، ويعطوا أحسن النماذج عنه.

لقد ذكر الرواة مواقفك البطوليـة، وأشـادوا بهـا، وبـدورك العظيم في إقناع النجاشي والكثير من أهل الحبشـة بالإسـلام.. وكيـف اسـتطعت بقـوة إيمانـك، ورقـة حـديثك، وقـوة حجتـك، وجمال فصاحتك وبلاغتك أن توصل إليهم ذلك الإسلام الجميـل الذي لم يدنسه البغاة وأصحاب الملك العضوض.

لقـد حـدثت أم سـلمة عن ذلـك الموقـف التـاريخي الـذي وقفته، والذي لا تزال الأجيال تنبهر به، فقالت: (لمـا نزلنـا أرض الحبشة جاورنا بها خير جـار النجاشـي، آمنـا على ديننـا، وعبـدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بعثت قريش عبـد اللـه بن أبي ربيعـة وعمـرو بن العـاص بهـداياهم إلى النجاشـي وإلى بطارقته، أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: مـا تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قـالوا: نقـول واللـه مـا علمنـا، ومـا أمرنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن، فلمـا جـاءوه، وقـد دعـا النجاشي أساقفته فنشـروا مصـاحفهم حولـه، ثم سـألهم فقـال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تـدخلوا بـه في ديني ولا في دين أحد من هـذه الأمم؟ قـال: فكـان الـذي كلمـه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك كنا قوما أهل جاهليـة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونـأتي الفـواحش، ونقطـع الأرحـام، ونسيئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، وكنا على ذلـك حـتى بعث الله تعالى إلينا رسولا منـا، نعـرف نسـبه وصـدقه وأمانتـه وعفافه، فدعانا إلى الله تعـالى لنوحـده ونعبـده، ونخلـع مـا كنـا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنـا بصـدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفحش، وقـول الـزور، وأكـل مـال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قـال: فعـدد عليـه أمـور الإسلام - فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله عـز وجل، فعبدنا الله وحده فلم نشرك بـه شـيئا، وحرمنـا مـا حـرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينـا قومنـا فعـذبونا وفتنونـا عن

ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عز وجل، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلي بلادك فاخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك)(1)

وعندما انتتهيت من هذه الخطبة البليغة التي جمعت الإسلام، وعرفت به أحسن تعريف انبهر النجاشي بك وبشجاعتك وبالحق الذي تحمله، فقال لك: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

وكنت تحفظ حينها كل ما نزل على رسول الله ﷺ.. وكان في إمكانك أن تختار أي سورة، لكنك كنت حكيما، تعرف دينهم، فرحت تقرأ عليه أوائل سورة مريم بصوتك الشجي الخاشع الجميل.

حينها حصلت تك الرجة العظيمة في القلوب، والتي وصفتها أم سلمة، فقالت: (فبكى النجاشي والله حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم)

ثم قال مخاطبا لك وللثلة المؤمنة معك: (إن هذا هو والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة)

ثم قال لعمرو بن العاص وصاحبه: (انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما، ولا أكاد)

ثم قال: (اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم: الآمنون - من مسكم غرم، من مسكم غرم، من مسكم غرم، ما أحب أن لي دبر ذهب وأني آذيت رجلا منكم - والدبر بلسان الحبشة الجبل - ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه)

ثم قالت أم سلمة معلقة على نهاية ذلك المشهد: (فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به. وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار)

هل تعلم سيدي أن قومي قد استبدلوك بذلك الذي جاء يطلبك والثلة المؤمنين معك.. والذي لم تدمع عيناه في الوقت

1() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 115).

الـذي دمعت فيـه كـل تلـك العيـون.. لقـد صـاروا يثنـون عليـه، ويعتبرونه من كبار الصحابة.. أما أنت فقد ألقـوك في سـراديب الغفلة والنسيان.

لقد صاروا يطلقون عليه فاتحا لأنه ذهب إلى مصـر يحمـل سيفه، بينمـا أنت لم تكن تحمـل لنشـر الإسـلام سـوى لسـانك، وتلك القيم النبيلة التي مثلتها أحسن تمثيل..

لقد صار السـيف عنـدهم هـو المعـبر عن الإسـلام، لا تلـك الحجج البليغة التي كنت ترسلها؛ فتدمع العيون لسماعها، وترتج القلوب لهيبتها.

لقد استطعت بحجتك القوية، وتمثيلـك النمـوذجي للإسـلام أن تقنع النجاشي، وكبار أهل دولته بالإسلام، وهـو مـا أتـاح لـك التحرك بحرية لنشره، وإعطاء النموذج الحقيقي للفتح.. لا ذلـك الفتح الـذي راحـوا يسـتبعدون بـه الأحـرار، ويسـتولون على أمـوالهم وأراضـيهم، ويفرضـون عليهم الجزيـة، ويـذلونهم بهـا، ويهينـون الإسـلام أعظم إهانـة، ويحولـوه من دين هدايـة دين جباية، ومن دين سلام إلى دين صراع.

وهكـذا ورد في روايـة أخـرى تفصـيلا لبعض مواقفـك مـع النجاشـي، وفيهـا تقـول أم سـلمة: (أمرنـا رسـول اللـه ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشـي، فبلـغ ذلـك قريشـا فبعثـوا عمـرو بن العـاص وعمـارة بن الوليـد، فجمعـوا للنجاشـي هديـة، فقـدمنا وقـدما على النجاشـي فأتيـاه بالهديـة فقبلها وسجدا له، ثم قـال لـه عمـرو بن العـاص: إن أناسـا من أرضنا رغبوا عن ديننا، وهم في أرضك، قـال لهم النجاشـي: في أرضي؟ قالوا: نعم، فبعث إلينـا فقـال لنـا جعفـر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم. فانتهينـا إلى النجاشـي وهـو جـالس في مجلسـه وعمـرو بن العـاص عن يمينـه، وعمـارة عن يسـاره، والقسيسون والرهبان جلوس سماطين سماطين. وقد قال لهم عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك، فلما انتهينا بدرنا من عنـده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلا لله عز وجل، قال له النجاشي: وما ذاك؟ قال: إن الله تعالى بعث فينا رسولا، وهو الرسول الذي بشر به عيسى عليه السلام قال: من بعدي اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد اللـه ولا نشـرك بـه شيئا، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانـا عن المنكـر)، فـأعجب النجاشـي قولـه، فلمـا رأى ذلـك عمـرو بن

العاص قال: أصلح الله الملك، إنهم يخالفونك في ابن مريم، فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله عز وجل: هو روح الله وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر ولم يفترضها ولد)، فتناول النجاشي عودا من الأرض فرفعه فقال: (يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه، مرحبا بكم، وبمن جئتم من عنده، وأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى عليه السلام، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله، امكثوا في أرضي ما شئتم. وأمر لنا بطعام وكسوة وقال: ردوا على هذين هديتهما)(1)

هذا هو التمثيل الحقيقي للإسلام، والذي كان على الأمة أن تأخذ به، وتجعله أسوة لها، لتكف عن تلك الكبرياء والعزة الآثمة في التعامل مع من أمرنا بالإحسان إليهم، وتأليف قلوبهم، واللين معهم.

ولم تكن تلك المواقف سيدي مواقف كلامية فقط، وإنما كانت مواقف عملية وسلوكية.. فقد أجمع الكل على كرم أخلاقك.. حتى أن رسول الله ﷺ شهد لك بذلك، ففي الحديث عن الإمام علي قال: (زرت النبي ﷺ مع جعفر وزيد بن حارثة ، فقال النبي ﷺ لزيد : (أنت مولاي) فبدأ زيد يحجل ويقفز على رجل واحدة حول النبي ﷺ، ثم قال لجعفر : (أما أنت فتشبهني في خَلقي وخُلقي) فحجل جعفر كذلك ، ثم قال لي : (أنت مني وأنا منك) فحجل خلف جعفر (2) .

وكيف لا تحجل سيدي طربا، ورسول الله ﷺ يثني عليك بكل ذلك الثناء العظيم، الذي لا يمكن تقديره، ولا وصفه؟

وقد شهد لك بتلك الشهادة كل من عرفك، وعرف فضلك، فقد قال أبو نعيم يذكر مكارمك: (الخطيب المقدام، السخي المطعام، خطيب العارفين، ومضيف المساكين، ومهاجر الهجرتين، ومصلي القبلتين، البطل الشجاع، الجواد الشعشاع جعفر بن أبي طالب عليه السلام. فارق الخلق، ورامق الحق) (3)

1() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 114).

2() رواه أحمد (رقم 860)

3() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 114).

وكان أبو هريرة يشيد بفضلك عليه، وكثرة إحسانك له، ويعتبرك لذلك أفضل الصحابة، ويقول عنك: (ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا ولا وطئ التراب بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبى طالب)(1)

ثم ذكر سبب ذلك، فقال: (كنت أستقرئ الرجل الآية - هي معى - كى ينقلب بى فيطعمني، وكان أخير الناس للمسكين - جعفر بن أبى طالب - كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته)(2) ، وقال: (وكنت إذا سألت جعفرا عن آية لم يجبنى حتى يذهب إلى منزله)(3)

ولذلك فرح رسول الله ﷺ بقدومك فرحا شديدا، وقد روي أنه عندما رآك أسرع يضمك إلى صدره، ويقبل ما بين عينيك، ويقول: (لا أدري بأيهما أنا أشد فرحا (أو أسرّ، أو أشد سرورا) بفتح خيبر؟.. أو بقدوم جعفر؟)(4)

لكنك سيدي بعد كل تلك الجهود والتضحيات آثرت الشهادة في سبيل الله، لذلك رحت تقود معركة كنت تعلم أنك ستستشهد فيها، ولذلك ذكر رسول الله ﷺ من يخلفك في القيادة.

فقد ذكر المؤرخون أنك بعد استشهاد زيد بن حارثة أخذت الراية، كما عهد إليك رسول الله ﷺ بيمينك، فلما أصيبت أخذتها بشمالك، فلما أصيبت أخذتها بعضديك، ولم تزل ممسكاً لها مقبلاً غير مدبر حتى قبضك الله إليه.

وذكروا أنهم وجدوا فيما أقبل من جسدك بضع وتسعون ما بين طعنة ورمية، وذكروا أنك كنت تردد في الوقت الذي تتلقى فيه تلك الطعنات الشديدة الكثيرة:

يا حبذا الجنة طيبة وبارد
والروم روم قد عليّ إن لاقيتها

وقد عوضك الله عن تينك اليدين الطاهرتين جناحين تطير بهما في الجنة مع الملائكة، كما أخبر عن ذلك رسول الله ﷺ..

1() رواه أحمد 2/413 (9342) والترمذي: 3764.

2() رواه البخاري.

3() رواه الترمذي..

4() السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 199 والسيرة الحلبية ج 3 ص 48 و49 والمقنع للصدوق ص 139.

فقد حدث ابن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ جالس وأسماء بنت عميس قريبة منه إذ رد السلام، ثم قال: (يا أسماء هذا جعفر بن أبي طالب مع جبريل وميكائيل وإسرافيل سلموا علينا فردي عليهم السلام، وقد أخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا قبل ممره على رسول الله ﷺ بثلاث أو أربع، فقال: لقيت المشركين فأصبت في جسدي من مقاديمي ثلاثا وسبعين بين رمية وطعنة وضربة، ثم أخذت اللواء بيدي اليمنى فقطعت، ثم أخذت بيدي اليسرى فقطعت، فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل أنزل من الجنة حيث شئت، وآكل من ثمارها ما شئت)، فقالت أسماء: (هينئاً لجعفر ما رزقه الله من الخير، ولكن أخاف أن لا يصدق الناس فاصعد المنبر أخبر به)، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (يا أيها الناس إن جعفرا مع جبريل وميكائيل، له جناحان عوضه الله من يديه سلم علي، ثم أخبرهم كيف كان أمره حيث لقي المشركين)، فاستبان للناس بعد اليوم الذي أخبر رسول الله ﷺ أن جعفر لقيهم، فلذلك سمي الطيار في الجنة)(1)

وهكذا ختم الله لك بالشهادة بعد كل ذلك العطاء، ولم يتجاوز عمرك حينها بضعا وثلاثين سنة، قضيتها كلها ابتداء من شبابك الباكر في سبيل الله، وعلى ملة رسول الله.

ونحن إلى الآن لا نزال نتخيلك بتلك الصورة التي وصفك بها رسول الله ﷺ ، وأنت تطير مع الملائكة .. لأنك عشت كالملائكة، وكان جزاؤك أن تصير معهم وفيهم ومنهم.

فالسلام عليك وعلى جميع المحيطين بك من أهل البيت الكرام الذين قدموا كل شيء في سبيل الله.. وكانوا النموذج المثالي للمسلم في أخلاقه وبطولته وشجاعته وتضحيته وكل القيم النبيلة التي مثلها رسول الله ﷺ أحسن تمثيل.

1() رواه الحاكم (3/ 209 -ـ 210 و 212) ورواه الطبراني في الأوسط مختصراً - كما في مجمع الزوائد (9/ 272)

إلى الثوار المضطهدين

إلى الثوار من أهل بيت النبوة، الذين ضيعت الأمة وصية رسول الله ﷺ فيهم، فقتلتهم، وشردتهم، وعلقتهم على الصلبان، وراحت تتمسح بأعدائهم، ومحاربيهم، تثني عليهم، وتتعبد الله بتقديسهم.

إلى أولئك الأبطال الشجان الذين سُجنوا وقتلوا وصلبوا، ووضعت رؤوسهم على الرماح، وحرّقت أجسادهم، وهم يطالبون بالعدالة، ويواجهون الملك العضوض والفئة الباغية، وكل أنواع التحريف والتبديل.

يا زيد بن علي.. ويا يحي بن زيد.. ويا صاحب النفس الزكية.. ويا إبراهيم.. ويا إدريس.. يا من سجلت أخباركم الدواوين، وأنتم تقفون بكل قوة في وجه أعظم موجة استبداد وتحريف عرفها التاريخ.

تحية لكم، ولبطولاتكم، وثوراتكم، ولكل الشهداء الذين سقطوا بين أيديكم، وهم يؤدون الرسالة، وينوبون عن الأمة في حمل الراية، ليبقى نور الله مشعا، لا تطفئه أيدي البشر.

فبدمائكم الزكية، وتضحياتكم العظيمة بقي الإسلام، ولم يستطع أصحاب الملك العضوض، ولا الفئة الباغية إطفاء نوره.. لأن أجسادكم التي علقت على الصلبان، لا تزال منارات تهتدي بها إلى التفريق بين أهل الحق وأهل الباطل، وبين أصحاب دين الله، وأصحاب دين البشر.

فأنتم لم تمارسوا ذلك الجهاد المزيف الذي راح يروع الآمنين، ويسبي النساء والأطفال، ويسلب الأموال، وينتهب الثروات، ويمارس كل أنواع اللصوصية، ليقدمها جميعا عربونا لأصحاب الملك العضوض، باسم الفتح ونشر الإسلام.

وإنما رحتم إلى مركز الشر نفسه، تحاربونه، وتواجهونه بكل أنواع المواجهة، وتقدمون دماءكم رخيصة في سبيل ذلك..

ولم تذهب دماؤكم هدرا أيها الأبطال الشرفاء ـ كما يذكر أعداؤكم ـ فلا زلنا إلى عصرنا هذا نتزود منها كل أنواع البطولة والشجاعة والتضحية والإخلاص.

نعم.. جماهير الناس، وتحت ضغط أصحاب الملك العضوض، وسدنتهم من الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم،

نســوكم، وغفلــوا عنكم، وشــوهوا ثــوراتكم، واعتــبروكم من الخوارج، وراحوا إلى أعدائكم يلمعونهم، ويترضون عنهم..

ولكن هيهـات، فلا يمكن للشـيطان أن يتحـول ملاكـا، ولـو تليت فيــه كــل قصــائد المــديح.. ولا يمكن للملاك أن يتحــول شيطانا، ولو كتبت فيـه كـل قصـائد الهجـاء، ورمي بكـل ألفـاظ البذاءة.

وهكـذا أنتم.. فـأنتم أنـوار صـرفة.. ووجـودات مقدسـة.. ومرائي للحقيقة لا يمكن تدنيسها.. فأنتم الـذين حفظتم رسـالة رسول الله ﷺ، ووصاياه في الوقت الذي ضيعها غيركم.

لقد كانت حركاتكم كلهـا تطبيقـا لتلـك التعليمـات النبويـة، التي حاول سدنة الطواغيت أن يتكتمـوا عليهـا، وأن يسـتبدلوها بالدعوة للركـون للسـلطان والخضـوع لـه، وتحريـف الـدين من أجله.

لقد كانت حركاتكم تنفيذا لما ورد في الحديث عنـه ﷺ أنـه قال: (خذوا العطاء ما دام عطاء، فـإذا صـار رشـوة على الـدين فلا تأخذوه ولستم بتاركيه، يمنعكم الفقـر والحاجـة، ألا إن رحى بني مـرح قـد دارت، وقـد قتـل بنـو مـرح، ألا إن رحى الإسـلام دائرة، فدوروا مـع الكتـاب حيث دار، ألا إن الكتـاب والسـلطان سيفترقان فلا تفـارقوا الكتـاب، ألا إنـه سـيكون أمـراء يقضـون لكم، فإن أطعتموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قتلوكم) قـال: يـا رسول الله، فكيف نصنع؟ قال: (كما صـنع أصـحاب عيسـى ابن مريم، نشروا بالمناشير وحملوا على الخشـب مـوت في طاعـة خير من حياة في معصية الله عز وجل)(1)

ثم ذكـر ﷺ مـا حصـل للأمم الأخـرى، فقـال: (وإن أول مـا نقص من بـني إسـرائيل كـانوا يـأمرون بـالمعروف وينهـون عن المنكر شبه التعذير إذا لقي أحدهم صاحبه الذي كان يعيب آكله وشاربه كأنه لم يغب عليـه شـيئا، فلعنهم اللـه على لسـان داود وعيسـى ابن مـريم، ﴿ ذَلِـكَ بِمَـا عَصَـواْ وَّكَـانُواْ يَعْتَـدُونَ﴾ [سـورة البقـرة:61]،ـ والـذي نفس محمـد بيـده، لتـأمرن بـالمعروف ولتنهـون عن المنكـر، ولتأخـذن على يـد الظـالم، فتأطروه على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض)

1() المعجم الصغير للطبراني 2/42 ح(749)، مسند الشاميين للطبراني 1/379 ح(658)

وفي حديث آخر عن كعب بن عجرة، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن على وسادة، فقال: يا كعب بن عجرة، أعيذك بالله من إمارة السفهاء، قلت: يا رسول الله، وما إمارة السفهاء؟ قال: (أمراء يكون بعدي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني، ولست منه، ولن يرد على الحوض يا كعب بن عجرة: الصلاة نور، والصدقة برهان، والصوم جنة، والناس غاديان: فغاد مبتاع نفسه، فمعتق رقبته، وغاد بائع نفسه، فموثق رقبته) (1)

وقال: (لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمرا لله عليه فيه مقالا، ثم لا يقوله، فيقول الله: ما منعك أن تقول فيه، فيقول: ربي خشيت الناس، فيقول: وأنا أحق أن تخشى) (2)

وروي أن رجلا سأل رسول الله ﷺ، وقد وضع رجله في الغرز: أي الجهاد أفضل؟ فقال: (كلمة حق عند سلطان جائر) (3)

هذه وصية رسول الله ﷺ للأمة، وكيفية تعاملها مع أصحاب الملك العضوض من الأمويين والعباسيين والعثمانيين وغيرهم.. فكل من استبد وحوّل الحكم الإسلامي إلى كسروية وقيصرية تجب مواجهته بكل صنوف المواجهة، كما فعلتم.

وكما فعل جدكم الإمام الذي لم تكن حروبه علي للناكثين والقاسطين والمارقين إلا تلبية لتلك الدعوات النبوية التي تحذر من استيلاء الفئة الباغية على أمر الأمة، وتحريف الدين لينسجم مع أهواء أصحاب الملك العضوض.

أيها الثوار الأبطال.. لقد كانت تلك الأحاديث هي المحرك لقيامكم وثوراتكم.. فقد علمتم أنكم أولى الناس بتطبيق وصية جدكم رسول الله ﷺ.. لتكونوا مثالا بين يدي الأمة، يحتذون بكم، ويهتدون بهديكم.

لقد كان في إمكانكم أن تمتلكوا القصور والضيعات، وأن تعيشوا بكل ألوان الرفاه، لكنكم أبيتم أن تأخذوا الرشوة، ورضيتم أن تعلقوا على الصلبان، وأن تحرقوا فتذروكم الرياح.

1() ترتيب الأمالي الخميسية للشجري 2/363 ح(2762)

2() ابن ماجه (4008)، وعبد بن حميد في المنتخب (971) ، والبيهقي في السنن 10/90-91، وأبو نعيم في الحلية 4/384.

3() ابن أبي شيبة 13/50، والطبراني في الكبير (8205) الطيالسي (1280)، وأورده الهيثمي في المجمع 9/407-408 وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح.

لقد حدث الرواة أن جدكم الإمام علي خـرج يومـا محزونـا يتنفّس، فقال: (كيف أنتم وزمان قد أظلّكم؟ تعطّل فيه الحدود، ويتّخذ المال فيه دولا، ويعـادى أوليـاء اللّـه، ويـوالى فيـه أعـداء اللّه؟)

وعنـدما سـألوه عن التكليـف الشـرعي في ذلـك الـوقت، قال: (كونوا كأصحاب عيسـى عليـه السّـلام نشـروا بالمناشـير، وصلبوا على الخشب، موت في طاعة اللـه عـزّ وجـلّ خـير من حياة في معصية اللّه) (1)

هذه وصية جدكم لكم.. وللأمة جميعا.. وقد نفـذتموها بكـل دقة.. وأعطيتم لنا أحسن النماذج عن الجهاد في سبيل الله.

ولذلك كان شعاركم في خـروجكم هـو نفس شـعار الإمـام الحسين عندما شرح سبب خروجـه على الطغـاة، وعـدم رضـاه ببيعتهم؛ فقال: (إنّي ما خـرجت أشـراً ولا بطـراً ولا مفسـداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الاِصلاح في أُمّة جـدي، وشـيعة أبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحقّ فاللّه أولى بـالحقّ، ومن ردّ على هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين)(2)

زيد الشهيد:

يا زيد بن علي بن الحسين.. يا حفيـد الشـهداء من آل بيت النبوة.. هلا أذنت لمحبك أن يحـدثك، فمـا أجمـل الحـديث عنكم ومعكم.. فـأنتم أزهـار الأرض وعطورهـا.. وأنتم أنـوار السـماء ونجومها..

أنت سيدي ذلك البطـل الـذي أشـار إليـه رسـول اللـه ﷺ، وأخـبر عمـا سيحصـل لـه، مثلمـا أخـبر عمـا سيحصـل للإمـام الحسين، ولغيركما من آل بيت النبوة؛ فقد ورد في الروايـة أنـه ﷺ قال مخاطباً ريحانتـه الحسـين: (ياحسـين، يخـرج من صـلبك رجـل يقـال لـه زيـد، يتخطى هـو وأصـحابه يـوم القيامـة رقـاب الناس غراً محجلين يدخلون الجنّة بغير حساب) (3)

وقال، وهو يشير إلى جـدك الحسـين، يصـف مـا سيحصـل لك، وبكل دقة: (إنّه يخرج من ولده رجل يقـال لـه زيـد، ويقتـل

1() دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم: ص 113 - 114.

2() بحار الأنوار: 44 / 329..

3() عيون أخبار الرضا، ص 250 و251

بالكوفة، ويُصلب بالكناسة، ويخرج من قبره نبشاً، تفتح لروحه أبواب السماء، وتبتهج به أهل السموات)(1)

وقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ نظر إلى زيد بن حارثة، فقال: (المقتول في اللّه، والمصلوب في أمتي، المظلوم من أهل بيتي سميّ هذا ـ وأشار بيده إلى زيد بن حارثة ــ ثم قال له: أدن مني يا زيد زادك اسمك عندي حباً، فأنت سميّ الحبيب من أهل بيتي) (2)

وهكذا أخبر الإمام علي عنك، وبشر بك، وباستشهادك الذي لا يزال منارة للثائرين، فعندماوقف على موضع صلبك بالكوفة، بكى وأبكى أصحابه فقالوا له: ما الذي أبكاك؟ فقال: (إنّ رجلاً من ولدي يصلب في هذا الموضع) (3)

وهكذا كنت مثل الإمام الحسين تماما تدرك المصير الذي ستصير إليه، والشرف العظيم الذي توجت به من قبل أن تولد، وقد ورد في الرواية أن والدك الإمام زين العابدين بشروه بك، وهو في مصلاه بعد الفجر، ففتح المصحف ليبحث لك عن اسم، فلما فتحه وجد فيه قوله تعالى: ﴿ فَضَّلَ اللـه الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: 95]، ثم فتحه مرة أخرى، فوجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللـه اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللـه فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللـه فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم﴾ [سورة التوبة:111]، عندها عرف الاسم الذي تستحقه، فقال: (هو والله زيد، هو والله زيد)، فسموك زيداً، ثم قال: (عزّيت عن هذا المولود، وإنّه لمن الشهداء)(4)

لقد كان الجميع يدركون من تكون، ولذلك كانوا يقدرون دورك الذي كتب لك أن تؤديه في الأمة، مثلما كتب لآبائك وأجدادك.. فأنتم لم تعيشوا لأنفسكم، وإنما عشتم لتصيروا رموزا للحق، ومنارات للهدى..

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

3() ابن طاووس: الملاحم: الباب 31.

4() ابن إدريس : السرائر : 3 / 638.

ولــذلك يخطئ من يتصــور أنكم متم.. ثم ذهبتم.. وذهبت الأيام بأخباركم.. فذلك مستحيل، لأنكم أنتم الأنـوار الـتي وعـد الله ألا تطفأ، فقال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ الله بِـأَفْوَاهِهِمْ والله مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون﴾ [سورة الصف:8]

وقد قالت عمتك زينب للطاغيـة يزيـد: (فكـد كيـدك واسـع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحـو ذكرنـا، ولا تميت وحينـا، ولا تـدرك أمـدنا، ولا تـرحض عنـك عارهـا، وهـل رأيـك إلا فنـد، وأيامك إلا عدد، وجمعـك إلا بـدد، يـوم ينـاد المنـاد ألا لعنـة اللـه على الظالمين، فالحمد لله الـذي ختم لأولنـا بالسـعادة ولآخرنـا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمـل لهم الثـواب، ويـوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود)(1)

ولذلك فإن نهجـك سـيدي لا زال قائمـا، وكلماتـك لا تـزال حية، وتلاميذك وأبناؤك لا يزالون يقاومون الطغيان.. ولا يزالـون يرفعون رايات المواجهة الكبرى مع جميـع الشـياطين والظلمـة والمستبدين.

فأنت سيدي لم تمت.. ولن تموت أبدا.. وحتى لـو علقـوك على الصليب.. فإن ذلك الصليب هو المنـارة الـتي تشـرق منهـا شموس الحقائق، ليفطن الغافلون، ويتوب المخدوعون.

لا زالت كلماتك سيدي تـرن في آذاننـا مثـل كلمـات آبائـك وأجـدادك.. تـدعونا لركـوب سـفينة النجـاة الـتي من تكـبر على ركوبها غرق، ومن ركبها نجا..

لا زال قولك، وأنت تذكر أسباب خروجك على الطغاة يرن في آذاننا، ليملأنا بالهمة العالية.. لقد كنت تقول لمن سألك عن ذلك: (إنّما خرجت على الذين أغاروا على المدينـة يـوم الحـرة، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار) (2)،وكنت تقـول: (إنّمـا خرجت على الذين قاتلوا جدي الحسين) (3)

هذا هو سـر خروجـك.. إنـه الثـورة على الظلم والاسـتبداد والملك العضوض، وأولئك الـذين حرفـوا الـدين، وملأوه تشـويها وظلما واستبدادا.

ولـذلك لم تكن تبـالي بكـل تلـك الجيـوش، ولا كـل تلـك

1() بحار الأنوار (45/ 135)

2() ابن إدريس: السرائر: 3

3() مقاتل الطالبيين: 98

الأسلحة، ولا كل أولئك الخونة، لأنك كنت تنتظر لحظة عرسك حين تعلق على الصليب، وتختلط دماؤك بدم آبائك الحسين وعلي وكل الشهداء..

بل كان طموحك وهمتك أعلى من أن يكفي الصليب لتحقيقها.. لقد حدث عبد الله بن مسلم بن بابك عنك، فقال: خرجنا مع زيد بن علي إلى مكة فلما كان نصف الليل واستوت الثريا فقال: يا بابكي ما ترى هذه الثريا؟ أترى أنّ أحداً ينالها؟ قلت: لا، قال: (والله لوددت أنّ يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض، أو حيث أقع، فأتقطع قطعة قطعة وأن الله أصلح بين أمّة محمّد ﷺ) (1)

هذه همتك العالية ــ سيدي ــ فأنت كآبائك وأجدادك، لم يكن لك من مقصد سوى الإصلاح في أمة جدك ﷺ.. فأنتم جميعا مثال الزهد والورع والتقوى، لا تطلبون مالا، ولا تحنون لما يحن إليه أولئك الغارقون في مستنقعات الدنيا.

لقد كنت تخاطب أصحابك، والألم يعتصر قلبك على المصير الذي صارت إليه الأمة حينما فارق سلطانها كتابها، وحينما تولى البغاة أمرها، فقلت: (والله إنّي لأستحيي من رسول الله ﷺ إذا لقيته ولم آمر أمته بالمعروف، ولم أنههم عن المنكر والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله وسنّة رسول الله إن أجّجت لي نار وقذفتُ فيها ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة الله عزّ وجلّ، والله لا ينصرني أحد إلاّ كان في الرفيق الأعلى مع محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ـ صلوات الله عليهم ـ ويحكم أما ترون هذا القرآن بين أظهركم جاء به محمّد ﷺ ونحن بنوه، يا معشر الفقهاء وأهل الحجى أنا حجة الله عليكم هذه يدي مع أيديكم، على أن نقيم حدود الله ونعمل بكتابه...) (2)

ولم تكن تبالي سيدي بذلك الإعراض الذي تواجه به.. لأنك كنت تعلم أن كلماتك لم تكن موجهة لذلك الجيل فقط، بل هي موجهة لكل الأجيال، لأنها الكلمات التي حفظت الدين من أن يصبح أفيونا للشعوب، أو لعبة بأيدي الطغاة.

لقد كنت تسير في الشوارع، وتجمع الناس، على الرغم

1() البغدادي: الفرق بين الفرق: 35 ـ 36.

2() أخطب خوارزم: مقتل الحسين: 2 / 108..

من المخاطر الشديدة التي كانت تعترضك، وكنت تخطب فيهم بكل أصناف الحجج قائلا: (أذكركم أيّها السامعون لدعوتنا، المتفهّمون لمقالتنا، باللّه العظيم الذي لم يذكر المذكورون بمثله، إذا ذكروه وجلت قلوبكم واقشعرَّت لذلك جلودكم، ألستم تعلمون أنّا ولد نبيكم المظلومون المقهورون، فلا سهمُ وُفينا، ولا تراث أعطينا، وما زالت بيوتاً تهدم، وحرمتنا تنتهك، وقائلنا يعرف، يولد مولودنا في الخوف، وينشأ ناشئنا بالقهر ويموت ميّتنا بالذل؟)(1)

وكنت سيدي تفصح لهم عن أغراضك من دعوتك، وأنك لا تريد أي مكاسب.. لا أنت.. ولا أخوك الإمام الباقر.. ولا أبوك الإمام السجاد.. ولا غيرهم.. فكلهم كانوا أمثلة حية للزهد والعفاف.. فقد كان مطلوبكم جميعا واحدا، وهو الإصلاح، ومواجهة الطغيان.

لقد كنت تقول لهم، وأنت تتألم لذلك السكون للمستبدين: (ويحكم إنّ الله قد فرض عليكم جهاد أهل البغي والعدوان من أُمتكم على بغيهم، وفرض نصرة أوليائه الداعين إلى الله وإلى كتابه قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ الله مَن يَنصُرُهُ إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيز﴾ [سورة الحج:40])(2)

وكنت تصف لهم ما يغضون أبصارهم عنهم من أنواع الفساد، فتقول بحرقة وألم: (ويحكم إنّا قوم غَضِبْنا للّه ربّنا، ونقمنا الجور المعمول به في أهل ملتنا، ووضعنا من توارث الإِمامة والخلافة، وحكم بالهوى ونقض العهد، وصلّى الصلاة لغير وقتها، وأخذ الزكاة من غير وجهها ودفعها إلى غير أهلها، ونسك المناسك بغير هديها، وأزال الأفياء والأخماس والغنائم ومنعها الفقراء والمساكين وابن السبيل، وعطّل الحدود وأخذ منه الجزيل، وحكم بالرشا والشفاعات والمنازل، وقرب الفاسقين ومثل بالصالحين، واستعمل الخيانة وخوّن أهل الأمانة، وسلّط المجوس وجهز الجيوش، وخلد في المحابس وجلد المبين وقتل الوالد، وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف بغير مأخوذ من كتاب الله وسنّة نبيه) (3)

1() فرات بن إبراهيم الكوفي: التفسير: 136 ـ 137.

2() المرجع السابق.

3() المرجع السابق.

وكنت تقول لهم بعد أن اجتمع لـديك الأنصـار الـذين أبـدوا قناعتهم بدعوتك، واستجابوا لطلبك: (الحمد للّه الذي منّ علينـا بالبصيرة وجعل لنا قلوباً عاقلة، وأسماعاً واعيـة، وقـد أفلح من جعـل الخـير شـعاره، والحـقّ دثـاره.. فمن سـمع دعوتنـا هـذه الجامعة غير المفرِّقة، العادلة غير الجائرة، فأجاب دعوتنا وأناب إلى سـبيلنا وجاهـد بنفسـه نفسـه ومن يليـه من أهـل الباطـل، ودعائم النفاق، فله ما لنا وعليه ما علينـا، ومن ردّ علينـا دعوتنـا وأبى إجابتنا واختـار الـدنيا الزائلـة الآفلـة، على الآخـرة الباقيـة، فاللّه من أولئك برىء، وهو يحكم بيننا وبينكم)(1)

ثم بينت لهم المنهج المحمـدي الأصـيل في التعامـل مـع المخـالفين، فـرحت تـذكرهم بالإمـام علي، وتقـول: (إذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم، فلأن يستجيب لكم رجل واحد خـير ممّا طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة، وعليكم بسيرة أمير الموَمنين علي بن طالب بالبصـرة والشـام: لا تتبعـوا مُـدبِراً ولا تُجهزوا على جريح ولا تفتحـوا بابـاً مغلقـاً، واللـه على مـا أقـول وكيل..)

وكنت تحضهم على البصيرة، وقتال الظـالمين على المنهج القرآني لا على منهج الطغـاة، وقلت لهم: (عبـاد اللـه لا تقـاتلوا على الشك فتضلّوا عن سـبيل اللّـه، ولكن البصـيرة ثم القتـال، فإنّ الله يجـازي عن اليقين أفضـل جـزاء يجـزي بـه على حـقّ. عباد اللّه: البصيرة)

حينها قال لك أبو الجارود: (يا ابن رسول اللّه، يبذل الرجل نفسه عن غير بصيرة؟)

فقلت: (نعم إنّ أكـثر من تـرى عشـقت نفوسـهم الـدنيا فالطمع أرداهم إلاّ القليل الذين لا تخطر الدنيا على قلوبهم، ولا لها يسعون فأولئك مني وأنا منهم)(2)

وهكذا كنت تـدعو إلى تلـك القيم النبيلـة الـتي دعـا إليهـا ا لقـرآن الكـريم، ومثلهـا رسـول اللـه ﷺ وورثتـه من أهـل بيت النبوة.. فلذلك لم تستعمل مـا يسـتعمله أعـداؤك من الوسـائل المحرمة، والأساليب الشيطانية.

سـيدي لا تـزال كلماتـك نبراسـا نهتـدي بـه.. وهي كلمـات

1() حميد المحلي: الحدائق الوردية: 141، الطبعة الثانية ـ 1405 هـ.

2() المرجع السابق.

جميلة لا يمكن لمن يبحث عن دين الله أن يستغني عنها، أو عن سماعها.. لذلك ائذن لي أن أقرأ على قومي بعض ما ذكرته في رسالتك إلى علماء الأمّة قبل خروجك(1)، فأنت لم ترسلها لعلماء ذلك الزمان فقط، وإنما أرسلتها لعلماء كل الأزمنة.

لقد بدأت رسالتك سيدي بتحذيرهم من الدنيا، فحب الدنيا والتعلق بها، وبيع الدين بسببها رأس كل خطيئة، لقد قلت لهم: (إنّي أوصيكم معشر العلماء بحظّكم من الله في تقواه وطاعته، وأن لا تبيعوه بالمكس من الثمن، والحقير من البدل، واليسير من العِوَض، فإنّ كلّ شيء آثرتموه وعملتم له من الدنيا ليس بخَلَف ممّا زيّن الله به العلماء من عباده الحافظين لرعاية ما استرعاهم واستحفظهم من أمره ونهيه، ذلك بأنّ العاقبة للمتقين، والحسرة والندامة والويل الدائم للجائرين الفاجرين) (2)

ثم رحت تذكرهم بعلماء الأمم السابقة، وأخذ العبر من تقصيرهم في حق الله، وحق رسله، فحرفت لذلك أديانهم، وضل الناس بسببهم عن سواء السبيل.. لقد قلت لهم: (فتفكّروا عباد الله واعتبروا، وانظروا وتدبّروا وازدجروا بما وعظ الله به هذه الأمّة من سوء ثنائه على الأحبار والرهبان إذ يقول: ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُون﴾ [سورة المائدة:63]. وإنّما عاب ذلك عليهم بأنّهم كانوا يشاهدون الظلمة الذين كانوا بين ظهرانيهم يأمرون بالمنكر، ويعملون الفساد فلا ينهونهم عن ذلك، ويرون حقّ الله مضيعاً، ومال الله دُولة يوَكل بينهم ظلماً ودولة بين الأغنياء، فلا يمنعون من ذلك رغبة فيما عندهم من العَرَض الآفل، والمنزل الزائل، ومداهنة منهم على أنفسهم، وقد قال الله عزّ وجلّ لكم: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيم﴾ [سورة التوبة:34]. كيما

1() هذه الرسالة قام بتحقيقها وتصحيحها محمد يحيى سالم عزان عن أربع نسخ، نوّه بخصوصيتها في مقدمتها ونشرها دار التراث اليمني صنعاء عام 1412 هـ، وقد نقلت بعضها من كتاب: بحوث في الملل والنحل، للسبحاني، 7/81.

2() المرجع السابق، 7/82.

تحذروا)[1]

ثم رحت تذكرهم بأن ذلك ليس خاصا بالأمم السابقة، بل إن من علماء هذه الأمة من يقوم بتحريف دينها، ليتناسب مع الطغاة والظلمة، ولذلك لا حرمة لأمثال هؤلاء العلماء.. لقد قلت لهم: (وإذا رأيتم العالم بهذه الحالة والمنزلة فأنزلوه منزلة من عاث في أموال الناس بالمصانعة، والمداهنة، والمضارعة لظلمة أهل زمانهم، وأكابر قومهم، فلم ينهوهم عن منكر فعلوه. رغبة فيما كانوا ينالون من السحت بالسكوت عنهم، وكان صدودهم عن سبيل الله بالاِتباع لهم، والاغترار بإدهانهم ومقارنتهم الجائرين الظالمين المفسدين في البلاد. ذلك بأنّ أتباع العلماء يختارون لأنفسهم ما اختار علماؤهم. فحذروا علماء السوء الذين سلكوا سبيل من ذَمّ الله وباعوا طاعة الله الجائرين) [2]

ثم رحت تذكرهم بما في القرآن الكريم من الحديث عن بني إسرائيل، وأنه ليس خاصا ببني إسرائيل، فقرأت عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة:44].

ثم علقت عليها بقولك: (فعاب علماء التوراة والاِنجيل بتركهم ما استحفظهم من كتابه، وجَعَلَهم عليه شهداء خشية الناس، ومواتاة للظالمين، ورضاً منهم بأعمال المفسدين. فلم يوَثروا الله بالخشية فسخط الله عليهم لمّا اشتروا بآياته ثمناً قليلاً، ومتاعاً من الدنيا زائلاً. والقليل عند الله الدنيا وما فيها من غضارتها وعيشتها ونعيمها وبهجتها، ذلك بأنّ الله هو علاّم الغيوب، قد علم بأنّ ركوب معصيته، وترك طاعته، والمداهنة للظلمة في أمره ونهيه، إنّما يلحق بالعلماء للرهبة والرغبة من عند غير الله، لأنّهم علماء بالله، وبكتابه وبسنّة نبيّه ﷺ)[3]

ثم رحت تبين لهم أن ضريبة الأمر بالمعروف والنهي عن

1() المرجع السابق، 7/82.

2() المرجع السابق، 7/83.

3() المرجع السابق، 7/83.

المنكـر هي التضـحية بـالنفس في سـبيل اللـه، فقلت لهم: (ولعمري لو لم يكن نال علمـاء الأزمنـة من ظلمتهـا، وأكابرهـا، ومفسـديها، شـدة وغلظـة وعـداوة، مـا وصّـاهم اللـه تعـالى وحذّرهم. ذلك أنّهم ما ينالون ما عنـد اللـه بالهوينـا ولا يخلـدون في جنّته بالشهوات، فكره الله تعالى للعلمـاء ــ المسـتحفظين كتبه وسنّته وأحكامه ـ ترك ما استحفظهم، رغبـة في ثـواب من دونه، ورهبة عقوبة غيره) (1)

ثم رحت تـبين لهم أن المزيـة الـتي مـيز بهـا العلمـاء عن سائر الناس ليس كثرة حفظهم، ولا وفرة علمهم، وإنما نضالهم عن الحق، وثورتهم على الباطـل.. لقـد قلت لهم: (لقـد مـيزكم اللـه تعـالى حـقّ تمـيز، ووسـمكم سـمة لا تخفى على ذي لب، وذلـك حين قـال لكم: ﴿وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنكَـرِ وَيُقِيمُـونَ الصَّـلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّـهُ إِنَّ اللّـهَ عَزِيـزٌ حَكِيم﴾ [سـورة التوبـة:71]،ـ فبـدأ بفضـيلة الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكـر، ثم بفضـيلة الآمـرين بـالمعروف والناهين عن المنكر عنده، وبمنزلـة القـائمين بـذلك من عبـاده، ولعمـري لقـد اسـتفتح الآيـة في نعت المؤمـنين بفريضـة الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكـر. فـاعتبروا عبـاد اللـه وانتفعـوا بالموعظة) (2)

ثم رحت تـذكر لهم أن اللـه تعـالى نعت المخـالفين لهـذا بالنفـاق، فقـال: ﴿الْمُنَـافِقُونَ وَالْمُنَافِقَـاتُ بَعْضُـهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْـرُوفِ وَيَقْبِضُـونَ أَيْـدِيَهُمْ نَسُـواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُون﴾ [سورة التوبة:67].

وعلقت عليها بقولك: (فلعمري لقد استفتح الآية في ذمّهم بـأمرهم بـالمنكر ونهيهم عن المعـروف فـاعتبروا عبـاد اللـه وانتفعوا، واعلموا أنّ فريضـة اللـه تعـالى في الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكـر إذا أُقيمت لـه اسـتقامت الفـرائض بأسـرها هَيّنُها وشديدها) (3)

ثم بينت لهم حقيقـة الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكـر

1() المرجع السابق، 7/84.

2() المرجع السابق، 7/84.

3() المرجع السابق، 7/84.

وأنها ليست قاصرة على تلك الحسبة التي تقوم بها الشرطة الدينية في الشوارع والأسواق، وإنما هي أشمل من ذلك بكثير.. فهو يشمل (الدعاء إلى الإسلام، والإخراج من الظلمة، ورد الظالم، وقسمة الفيء والغنائم على منازلها، وأخذ الصدقات ووضعها في مواضعها، وإقامة الحدود، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والإحسان، واجتناب المحارم، كل هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (1)

ثم رحت تدعوهم إلى التعاون والاجتماع على ذلك، وتقرأ عليهم قوله تعالى.. يقول الله تعالى لكم: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة المائدة:2]، وتقول لهم بعدها: (فقد ثبت فرض الله تعالى فاذكروا عهد الله الذي عاهدتموه وميثاقه الذي واثقكم به ﴿ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة المائدة:7].

ثم رحت تبين لهم دور العلماء في إصلاح أمر الأمة، وقلت لهم: (عباد الله إنّما تصلح الأمور على أيدي العلماء وتفسد بهم إذا باعوا أمر الله تعالى ونهيه بمعاونة الظالمين، الجائرين، فكذلك الجهّال والسفهاء إذا كانت الأمور في أيديهم، لم يستطيعوا إلاّ بالجهل والسفه إقامتها فحينئذ تصرخ المواريث، وتضج الأحكام، ويفتضح المسلمون وأنتم أيّها العلماء عصابة مشهورة، وبالورع مذكورة، وإلى عبادة الله منسوبة، وبدراسة القرآن معروفة، ولكم في أعين الناس مهابة، وفي المدائن والأسواق مكرمة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويرهبكم من لا فضل لكم عليه. يُبدَأ بكم عند الدُعوَة، والتُحَفَة، ويشار إليكم في المجالس، وتشفعون في الحاجات، إذا امتنعت على الطالبين. وآثاركم متبعة، وطرقكم تسلك كل ذلك لما يرجوه عندكم من هو دونكم من النجاة في عرفان حقّ الله تعالى) (2)

ثم رحت تذكرهم بما تتطلبه تلك المكانة التي أتيحت لهم من دون الناس، وقلت لهم: (فلاتكونوا عند إيثار حقّ الله تعالى غافلين، ولأمره مضيّعين، فتكونوا كالأطباء الذين أخذوا ثمن

1() المرجع السابق، 7/85.

2() المرجع السابق، 7/85.

الدواء وأعطبوا المرضى. وكرعاة استوفوا الأجر وضلّوا عن المرعى. وكحرّاس مدينة أسلموها إلى الأعداء، هذا مثل علماء السوء. لا مالاً تبذلونه للّه تعالى، ولانفوساً تخاطرون بها في جنب الله تعالى، ولاداراً عطلتموها، ولازوجة فارقتموها، ولاعشيرة عاديتموها. فلاتتمنوا ما عند الله تعالى وقد خالفتموه. فترون أنّكم تسعون في النور، وتتلقاكم الملائكة بالبشارة من الله عزّ وجلّ؟ كيف تطمعون في السلامة يوم الطامة؟! وقد أخرجتم الأمانة، وفارقتم العلم، وأدهنتم في الدين. وقد رأيتم عهد الله منقوضاً، ودينه مبغوضاً، وأنتم لاتفزعون ومن الله لاترهبون. فلو صبرتم على الأذى، وتحمّلتم المؤَنة في جنب الله لكانت أُمور الله صادرة عنكم، وواردة إليكم) (1)

ثم رحت تخاطبهم بألا يسلموا قيادهم للظلمة بسبب حب الدنيا والحرص عليها، فقلت: (عباد الله لاتمكّنوا الظالمين من قِيَادِكم بالطمع فيما بأيديهم من حطام الدنيا الزائل، وتراثها الآفل، فتخسروا حظّكم من الله عزّ وجلّ. عباد الله استقدموا إلى الموت بالوثيقة في الدين، والاعتصام بالكتاب المتين، ولاتعجبوا بالحياة الفانية فما عند الله هو خير لكم، وإنّ الآخرة هي دار القرار. عباد الله اندبوا الإيمان ونوحوا على القرآن، فو الذي نفس (زيد بن علي) بيده لن تنالوا خيراً لا ينالـه أهل بيت نبيّكم 6، ولا أصبتم فضلاً إلاّ أصابوه فأصبتم فضله) (2)

ثم رحت تخاطب علماء السوء بكل قوة، تذكرهم بجرائمهم في حق الأمة وحق نبيها ودينها.. وقلت لهم: (فيا علماء السوء أكببتم على الدنيا وإنّها لناهية لكم عنها، ومحذرة لكم منها، نصحت لكم الدنيا بتصرفها فاستغششتموها، وتَفَتحت لكم الدنيا فاستحسنتموها، وصدقتكم عن نفسها فكذبتموها.. فيا علماء السوء هذا مهادكم الذي مهدتموه للظالمين، وهذا أمانكم الذي أتمنتموه للخائنين، وهذه شهادتكم للمبطلين. فأنتم معهم في النار غداً خالدون، ﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُون﴾ [سورة غافر:75]، فلو كنتم سَلّمتم إلى أهل الحقّ حقهم، وأقررتم لأهل الفضل

1() المرجع السابق، 7/85.

2() المرجع السابق، 7/85.

بفضلهم لكنتم أولياء اللّه، ولكنتم من العلماء به حقاً، الذين امتدحهم الله عزّ وجلّ في كتابه بالخشية منهم، فلا أنتم علمتم الجاهل، ولا أنتم أرشدتم الضال، ولا أنتم في خلاص الضعفاء تعملون، ولابشرط الله عليكم تقومون، ولا في فكاك رقابكم.. يا علماء السوء اعتبروا حالكم، وتفكّروا في أمركم، وستذكرون ما أقول لكم.. يا علماء السوء إنّما أمنتم عند الجبارين بالاِدهان، وفزتم بما في أيديكم بالمقاربة، وقربتم منهم بالمصانعة، قد أبحتم الدين، وعطّلتم القرآن، فعاد علمكم حجّة للّه عليكم، وستعلمون إذا حشرج الصدر، وجاءت الطامة، ونزلت الداهية)(1)

ثم بينت لهم أنهم أعظم مصيبة في الأمة، وقلت لهم: (يا علماء السوء أنتم أعظم الخلق مصيبة، وأشدهم عقوبة، إن كنتم تعقلون، ذلك بأنّ الله قد احتج عليكم بما استحفظكم إذ جعل الأمور ترد إليكم، وتصدر عنكم. الأحكام من قبلكم تلتمس، والسنن من جهتكم تختبر. يقول المتبعون لكم: أنتم حجّتنا بيننا وبين ربّنا. فبأي منزلة نزلتم من العباد هذه المنزلة؟ فوالذي نفس (زيد بن علي) بيده لو بيّنتم للناس ما تعلمون ودعوتموهم إلى الحقّ الذي تعرفون، لتضعضع بنيان الجبارين، ولتهدّم أساس الظالمين، ولكنّكم اشتريتم بآيات الله ثمناً قليلاً، وأدهنتم في دينه، وفارقتم كتابه. هذا ما أخذ الله عليكم من العهود والمواثيق، كي تتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الاِثم والعدوان، فأمكنتم الظلمة من الظلم، وزيّنتم لهم الجور، وشددتم لهم ملكهم بالمعاونة والمقارنة، فهذا حالكم. فيا علماء السوء فمحوتم كتاب الله محواً، وضربتم وجه الدين ضرباً، فند والله نديد البعير الشارد، هرباً منكم. فبسوء صنيعكم سفكت دماء القائمين بدعوة الحقّ من ذرية النبي ﷺ، ورفعت روَوسهم فوق الأسنّة، وصُفّدُوا في الحديد، وخلص إليهم الذل، واستشعروا الكرب وتسربلوا الأحزان، يتنفسون الصعداء، ويتشاكون الجهد. فهذا ما قدّمتم لأنفسكم، وهذا ما حملتموه على ظهوركم، فاللّه المستعان، وهو الحكم بيننا وبينكم، يقضي بالحق وهو خير الفاصلين)(2)

1() المرجع السابق، 7/86.

2() المرجع السابق، 7/86.

وبعد أن استعملت كل ما ينبههم إلى غيهم وضلالهم وانحرافهم عن دين الله، رحت تدعوهم إلى إصلاح ما أفسدوه، ووضعت لهم خطة لذلك، فقلت: (وقد كتبت إليكم كتاباً بالذي أريد من القيام به فيكم. وهو: العمل بكتاب اللّه، وإحياء سنّة رسول الله ﷺ فبالكتاب قوام الإيمان، وبالسنّة يثبت الدين. وإنّما البدع أكاذيب تخترع، وأهواء تتّبع، يتولّى فيها وعليها رجال رجالاً صدّوهم عن دين اللّه، وذادوهم عن صراطه، فإذا غيّرها المؤمن، ونهى عنها المُوَحّد، قال المفسدون: جاءنا هذا يدعونا إلى بدعة.. وأيم الله ما البدعة إلاّ التي أحدث الجائرون، ولا الفساد إلاّ الذي حكم به الظالمون، وقد دعوتكم إلى الكتاب. فأجيبوا داعي اللّه، وانصروه، فوالذي بإذنه دعوتكم، وبأمره نصحت لكم، ما ألتمس أثرة على مؤمن، ولا ظلماً لمعاهد، ولوددت أنّي قد حميتكم مراتع الهلكة، وهديتكم من الضلالة، ولو كنت أوقد ناراً فأقذف بنفسي فيها، لا يقربني ذلك من سخط اللّه، زهداً في هذه الحياة الدنيا، ورغبة منّي في نجاتكم، وخلاصكم. فإن أجبتمونا إلى دعوتنا كنتم السعداء والموفورين حظاً ونصيباً.. عباد الله انصحوا داعي الحقّ وانصروه إذ قد دعاكم لما يحييكم. ذلك بأنّ الكتاب يدعو إلى اللّه، وإلى العدل والمعروف، ويزجر عن المنكر) (1)

وهكذا رحت تقيم عليهم كل أنواع الحجج، وتشرح لهم كيفية الخروج من كل تلك السراديب المظلمة التي ارتضوها لأنفسهم، بدل أن يركبوا سفينة النجاة التي بشر بها رسول الله ﷺ، ودعا إليها، لقد قلت لهم: (فقد نظرنا لكم وأردنا صلاحكم، ونحن أولى الناس بكم. رسول الله ﷺ (جدّنا)، والسابق إليه المؤمن به (أبونا)، وبنته سيدة النسوان (أمّنا)، فمن نزل منكم منزلتنا. فسارعوا عباد الله إلى دعوة اللّه، ولا تنكلوا عن الحق، فبالحق يُكبَت عدوّكم، وتمنع حريمكم، وتأمن ساحتكم. وذلك أنّا ننزع الجائرين عن الجنود، والخزائن، والمدائن، والفيء، والغنائم، ونثبت الأمين المؤتمن، غير الراشي والمرتشي، الناقض للعهد. فإن نظهر فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصحنا لربّنا، وأدّينا الحقّ إليه من أنفسنا، فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فأي

1() المرجع السابق، 7/87.

هذا يكره المؤمن، وفي أي هذا يرهب المسلم) (1)

إلى آخر رسالتك سيدي، والمملوءة بالعبر والمواعظ، وبكل القيم القرآنية النبيلة التي تصدق قول رسول الله ﷺ فيكم، وأنكم والقرآن مجتمعان لا تتفرقان، حتى تجتمعا لديه عند الحوض.

وقد كانت النتيجة التي آل إليها حالك، وحال من معك لا تختلف كثيرا عن النتيجة التي آل إليها الإمام الحسين وأصحابه.. وقد كتب الله لك الشهادة.. وعلقت على الصليب.. ولا يزال صليبك إلى اليوم منارة من منارات الهداية.

ولكنا مع يقيننا سيدي بذلك الجزاء العظيم الذي نلته عند الله، لا نستطيع أن نمسك دموعنا كلما سمعنا اسمك.. وكيف نستطيع ذلك، وابن أخيك الإمام الصادق لم يكن يستطيع ذلك.. وهو من هو.

لقد حدث حمزة بن حمران قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد فقال لي: يا حمزة من أين أقبلت؟ قلت له: من الكوفة فبكى حتى بلّت دموعُه لحيتَه فقلت له: يا ابن رسول الله مالك أكثرت البكاء؟ فقال: ذكرت عمي زيداً، وما صُنع به فبكيت. فقلت له: وما الذي ذكرت منه؟ فقال: ذكرت مقتله وقد أصاب جبينه سهم فجاءه ابنه يحيى فانكبّ عليه، وقال له: أبشر يا أبتاه فإنك تَرِدُ على رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) قال: أجل يا بُني ثمَّ دعا بحداد فنَزع السهم من جبينه فكانت نفسه معه فجيء به إلى ساقية تجري عند بستان زائدة فحُفر له فيها ودُفن وأجري عليه الماء، وكان معهم غلام سندي لبعضهم فذهب إلى يوسف بن عمر من الغد فأخبره بدفنهم إياه فأخرجه يوسف بن عمر فَصَلَبه في الكناسة أربع سنين ثم أمر به فأحرق بالنار وذُري في الرياح فلَعَن الله قاتله وخاذله وإلى الله (عز وجل) أشكو ما نزل بنا أهل بيت نبيه بعد موته وبه نستعين على عدونا وهو خير مستعان)(2)

وحدث الفضيل بن يسار أنه دخل على الإمام الصادق، فرآه يبكي ودموعه تنحدر على ديباجتي خده كأنها الجُمان، ثم

1() المرجع السابق، 7/88.

2() أمالي الصدوق) (ص321)

قال: يا فضيل شهدتَ مع عمي قتال أهل الشام؟ قلت: نعم. قال: فكم قتلت منهم؟ قلت: ستة. قال: فلعلك شاك في دمائهم؟ فقال الفضيل: لو كنت شاكّاً ما قتلتهم. فقال الفضيل: فسمعته وهو يقول: (أشرَكَنيَ الله في تلك الدماء، مضى والله زيد عمي وأصحابه شهداء مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابه)(1)

وعن عبد الله بن سيابة قال: (وصل إلى الإمام الصادق كتاب فيه خبر مقتل زيد فبكى، ثم قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون عند الله تعالى أحتسب عمي إنه كان نِعمَ العم، إن عمي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعلي والحسن والحسين (صلوات الله عليهم)(2)

وروي أنه قال لأبي ولّاد الكاهلي: (أرأيت عمي زيدا؟) قال: نعم رأيته مصلوباً، ورأيت الناس بين شامت حنق وبين محزون محترق فقال الإمام الصادق: (أما الباكي فمعه في الجنة، وأما الشامت فشريك في دمه)(3)

ونحن نردد سيدي ما رددده الإمام الصادق، ونقول لكل أولئك الذين يمجدون الظلمة الذين قتلوك: مجدوهم كما تشاءون، ولكن لا تنسوا أنكم شركاء لهم في كل قطرة دم أسالوها، وأولها دمك يا زيد الشهيد.

ثائرون على الدرب:

سيدي زيد.. يا ابن الثائرين.. ووالد الثائرين..

لقد استمر عطاؤك بعد استشهادك؛ فقد قام على دربك ودرب آبائك الكثير من الأبطال الثوار الذين لا نزال نذكرهم، ونعيش مآسيهم، وتفتخر ببطولاتهم..

حتى لو لم يتحقق لهم في ذلك الحين ما طلبوه، لعدم توفر القابلية في ذلك المجتمع الذي استخف به الطغاة، كما استخف فرعون بالمصريين، لكن دماءهم التي سقوا بها لأرض أنبتت أزهارا كثيرة، ويوشك أن يعود الإسلام بسببها إلى نبعه الأصيل الذي لم يدنس.

1() المرجع السابق، (ص286)

2() أخبار الرضا (ج1ص252)

3() كشف الغمة (ج2ص204)

فلولا تلك الثروات ما عرفنا جرائم الأمويين، ولا العباسيين من بعدهم، ولا عرفنا كيف شوه الإسلام، وحرف عن مساره ليناسب أهواء المستبدين والظلمة الذين حولوه إلى أفيون للشعوب.

بعدك سيدي قام ابنك يحي.. وما أدراك ما يحي.. ذلك الشاب البطل الذي كتب له أن يصلب مثلما صلبت.. وأن يظل مصلوباً حتى ظهر أبو مسلم الخراساني، فأنزله وصلّى عليه ودفنه وأمر بإقامة العزاء عليه في خراسان.

ذلك الذي قال فيه الشاعر:

أليس بعين اللّـه مـا عشية يحيى موثـق

كلاب عـوت لا قـدّس فجئن بصـيد لايحـل

ذلك الذي بعث برأسه إلى الوليد، فبعث به الوليد إلى المدينة وأمر بأن يوضع في حجر أمه ريطة، فنظرت إليه، وقالت: (شردتموه عنّي طويلاً، وأهديتموه إليّ قتيلاً، صلوات اللّه عليه وعلى آبائه بكرة وأصيلاً)(1)

ذلك الذي كان له عند الإمام الصادق مكانة عظيمة، وعندما سمع بشهادته وصلبه حزن حزناً شديدا، وقال: (إنّ آل أبي سفيان قتلوا الحسين ابن علي صلوات اللّه عليه فنزع اللّه ملكهم، وقتل هشام، زيد بن علي فنزع اللّه ملكه، وقتل الوليد، يحيى بن زيد، فنزع اللّه ملكه)(2)

وهكذا استمرت الثورة بعد ابنك يحي بيني عمومتك من أبناء الإمام الحسن.. وقد كان منهم عبد اللّه المحض.. ذلك الذي مات مخنوقا في سجن أبي جعفر الذي يسمونه منصورا.. ولست أدري على من انتصر، ولا كيف انتصر.. لقد استشهد هو ابن خمس وسبعين سنة.. ولم يرحموا قرابته من رسول الله ﷺ، ولم يرحموا شيبته.

لقد ذكر المؤرخون كيفية القبض عليه، فقالوا: (كان المنصور قبض على عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن علي وكثير من أهل بيته وذلك في سنة أربع وأربعين ومائة في منصرفه من الحجّ، فحملوا من المدينة إلى الربذة من جادة

1() السيد علي خان المدني : رياض السالكين : 1 / 69 ـ 70..

2() البحار : 46 / 182 ح 46..

العراق وكان ممّن حمله مع عبد اللّه بن الحسن: إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وأبو بكر بن الحسن بن الحسن، وعلي الخير، وأخوه العباس، وعبد اللّه بن الحسن بن الحسن، والحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن، ومعهم محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفان أخو عبد اللّه بن الحسن بن الحسن لأمّه فاطمة ابنة الحسين بن علي، وجدتهما فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ.. فجرد المنصور بالربذة محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان فضربه ألف سوط، وسأله عن ابني أخيه محمد وإبراهيم فأنكر أن يعرف مكانهما، فسألت جدته العثماني في ذلك الوقت، وارتحل المنصور عن الربذة وهو في قبة، وأوهن القوم بالجهد، فحملوا على المحامل المكشوفة، فمر بهم المنصور في قبته على الجمازة، فصاح به عبد اللّه بن الحسن يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بكم يوم بدر، فصيرهم إلى الكوفة، وحبسوا في سرداب تحت الأرض لا يفرّقون بين ضياء النهار وسواد الليل، وخلّى منهم: سليمان وعبد اللّه ابني داود بن الحسن بن الحسن، وموسى بن عبد اللّه بن الحسن، والحسن بن جعفر، وحبس الآخرين ممن ذكرنا حتى ماتوا وذلك على شاطىء الفرات من قنطرة الكوفة، ومواضعهم بالكوفة تزار في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وكان قد هدم عليهم الموضع، وكانوا يتوضّوَن في مواضعهم فاشتدت عليهم الرائحة، فاحتال بعض مواليهم حتى أدخل عليهم شيئاً من الغالية، فكانوا يدفعون بشمها تلك الروائح المنتنة، وكان الورم في أقدامهم، فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفوَاد فيموت صاحبه)

وذكروا (أنّهم لمّا حبسوا في هذا الموضع أشكل عليهم أوقات الصلاة، فجزّأوا القرآن خمسة أجزاء، فكانوا يصلّون الصلاة على فراغ كل واحد منهم من جزئه وكان عدد من بقي منهم خمسة، فمات اسماعيل بن الحسن فترك عندهم فجيف، فصعق داود بن الحسن فمات، وأتى برأس إبراهيم بن عبد اللّه فوجه به المنصور مع الربيع إليهم فوضع الرأس بين أيديهم وعبد اللّه يصلي، فقال له إدريس أخوه: اسرع في صلاتك يا أبا محمد، فالتفت إليه وأخذ الرأس فوضعه في حجره، وقال له: أهلاً وسهلاً يا أبا القاسم، واللّه لقد كنت من الذين قال اللّه عزّ وجلّ فيهم: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20)

وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ [الرعد: 20ـ 21]، فقال له الربيع: كيف أبو القاسم في نفسه؟ قال: كما قال الشاعر:

فتى كان يحميه من الذلّ سيفه... ويكفيه أن يأتي الذنوب اجتنابها

ثم التفت إلى الربيع: فقال: قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا أيّام ومن نعيمك أيّام؟ والملتقى، القيامة. قال الربيع: فما رأيت المنصور قطّ أشدّ انكساراً منه في الوقت الذي بلغته الرسالة)(1)

للأسف سيدي هذه الحقائق صارت مغيبة، وصار من لبسوا عمائم الدين يتواصون على كتمانها، حتى يبقى لذلك الذي سموه منصورا حرمته وقداسته.. وهم لا يعلمون أنهم بتقديسهم لفرعون يظلمون موسى.. وبتقديسهم للطغاة، يجعلون الدين أداة بأيديهم.

بعده خرج ابنه محمد المعروف بالنفس الزكية، والذي استشهد بأيدي من يسمونه المنصور.. وكان في عهد الإمام الصادق.. وقد ذكر المؤرخون كيفية خروجه، واستشهاده، والجرائم الكثيرة التي حصلت بسبب ذلك، فقالوا: (في سنة خمس وأربعين ومائة كان ظهور محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنهم بالمدينة، وكان قد بُويع له من كثير من الأنصار وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه، وكان مستخفياً من المنصور ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد اللّه بن الحسن وعمومته، وكثير من أهله وعدتهم، ولما ظهر محمد بن عبد اللّه بالمدينة، استشار إسحاق بن مسلم العقيلي وكان شيخاً ذا رأي وتجربة فأشار إلى ما لم يستحسنه أبو جعفر وبينما كان يتفكر في كيفية المقابلة مع محمد بن إبراهيم بلغه أنّ إبراهيم أخا محمد خرج بالبصرة يدعو إلى أخيه، فبعث عيسى بن موسى في أربعة آلاف فارس وألفي راجل وأتبعه محمد بن قحطبة في جيش كثيف فقاتلوا محمداً بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس وأربعين سنة ولما اتصل بإبراهيم قتل أخيه، محمد بن عبد اللّه وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه وتمثّل:

1() مروج الذهب : 3 / 298..

أبالمنـــازل يـــاخير يفجـع بمثلـك في الـدنيا

اللّــه يعلم أنّي لــو وأوجس القلب من

لم يقتلـــــوه ولم حــتى نمــوت جميعــاً أو

وقد كان تفرّق أخوة محمد وولده في البلدان يـدعون إلى إمامته فكان فيمن توجه ابنـه، علي بن محمـد إلى مصـر فقتـل بها، وسـار ابنـه عبـد اللّـه إلى خراسـان فهـرب لمـا طُلب، إلى السند فقتل هناك، وسار ابنه الحسـن إلى اليمن فحبس فمـات في الحبس، وسـار أخـوه موسـى إلى الجزيـرة، ومضـى أخـوه يحيى إلى الري، ثم إلى طبرستان، ومضى أخوه إدريس بن عبد اللّه إلى المغرب فأجابـه خلـق من النـاس، فبعث المنصـور من اغتالـه بالسـم وقـام ولـده إدريس بن إدريس بن عبـد اللّـه بن الحسن بن الحسن مقامه)(1)

وهكذا استعمل الطغاة كل وسائلهم للقضاء على كل ثورة وحركــة تــدعو إلى عــودة القــرآن للســلطان.. ولكن المغيبــة عقولهم، لا زالوا حريصين على السلطان، وعلى اعتبار الأمويين والعباسيين والعثمانيين وكـل أصـحاب الملـك العضـوض حكامـا شرعيين، يمثلون الرسالة الإلهية.

مع أن كبار العلماء الـذين يعتـبرونهم، كـانوا مخـالفين لهم في ذلـك، فقـد ذكـر المؤرخـون أن الإمـام أبـا حنيفـة بـالعراق، والإمام مالك بالمدينـة كانـا يؤيـدان ثـورة النفس الزكيـة وأخـاه إبراهيم، وقد كـان ذلـك من أسـباب المحن الـتي حصـلت لهمـا (2) .

وقد ذكر أبو زهرة المحنة التي تعرض لها أبو حنيفة بسبب موقفــه من تلــك الثــورة، فقــال: (اســتقبل أبــو حنيفــة عهــد العباسيين بارتياح، فقد رأى اضطهاد الأمويين لبني علي بن أبي طالب وأهل بيت النـبي محمـد ﷺ، واسـتمر على ولائـه للدولـة

1() مروج الذهب : 3 / 294 ـ 296.

2() قال في [الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (1/ 205)] نقلا عن ابن خلدون: (ولهذا كان مالك وأبو حنيفة رحمهما الله يحتجان له حين خرج بالحجاز ويريان أن إمامته أصح من إمامة أبي جعفر المنصور لانعقاد هذه البيعة أولا وكان أبـو حنيفـة يقـول بفضـله ويحتج لحقه فتأدت إلى الإمامين المحنة بسبب ذلك أيام أبي جعفر المنصور حـتى ضـرب مالك رضي الله عنه على الفتيا في طلاق المكره وحبس أبو حنيفة رضي اللـه عنـه على القضاء)

العباسية لمحبته لآل البيت جميعاً، ولقد كان الخليفة أبو جعفر المنصور يدنيه ويعليه ويرفع قدره ويعطيه العطايا الجزيلة، ولكنه كان يردها ولا يقبل العطاء، ولم يُعرف عن أبي حنيفة أنه تكلم في حكم العباسيين حتى نقم عليهم أبناء علي بن أبي طالب، واشتدت الخصومة بينهم، وقد كان ولاء أبي حنيفة لبني علي، فكان طبيعياً أن يغضب لغضبهم، وخصوصاً أن من ثارا على حكومة أبي جعفر هما محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن، وأخوه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، وكان أبوهما عبد الله ممن اتصل به أبو حنيفة اتصالاً علمياً، وقد كان عبد الله وقت خروج ولديه في سجن أبي جعفر، ومات فيه بعد مقتل ولديه)(1)

ثم ذكر دلائل نصرة أبي حنيفة لثورة محمد النفس الزكية، فقال: (كان موقف أبي حنيفة من خروج محمد النفس الزكية على المنصور شديداً، فقد كان يجهر بمناصرته في درسه، بل وصل الأمر إلى أن ثبط بعض قواد المنصور عن الخروج لحربه.. وكان هذا العمل في نظر المنصور من أخطر الأعمال على دولته، لأن أبا حنيفة تجاوز فيه حد النقد المجرد والولاء القلبي إلى العمل الإيجابي، فأراد المنصور أن يختبر طاعة أبي حنيفة وولاءه له، وقد كان يبني بغداد آنذاك، فأراد أن يجعله قاضياً، فامتنع أبو حنيفة، فأصر المنصور على أن يتولى له عملاً أياً كان، فقبل أبو حنيفة أن يقوم ببعض أعمال البناء من إعداد اللّبن وما شابه ذلك، فاستطاع بذلك أن يغمض عنه عين المنصور)(2)

وذكر ما حصل له بعد ذلك، لأن أصحاب الملك العضوض لم يكونوا ليرضوا لمن يتهمونهم بأمثال تلك العقوبات، قال: (لقد كان أبو حنيفة يميل إلى أبناء علي بن أبي طالب، وكان ذلك يبدو على لسانه في حلقة درسه وبين تلاميذه، وكان يجهر بمخالفة المنصور في غاياته عندما يستفتيه، كما كان يمتنع عن قبول العطاء من المنصور، وكان ينقد القضاء نقداً مراً إذا وجد فيه ما يخالف الحق في نظره، من غير أن يلتفت إلى ما يجره ذلك النقد من ضياع روعة الأحكام.. وعندما دعا أبو جعفر

1() أبو حنيفة، محمد أبو زهرة، ص42-44.

2() المرجع السابق، ص46.

المنصور أبا حنيفة ليتولى القضاء امتنع، فطلب منه أن يَرجع إليه القضاة فيما يشكل عليهم ليفتيهم فامتنع، فأنزل به العذاب بالضرب والحبس، أو الحبس وحده على اختلاف الروايات، ويروى أن أبا جعفر حبس أبا حنيفة على أن يتولى القضاء ويصير قاضي القضاة، فأبى حتى ضُرب مئة وعشرة أسواط، وأخرج من السجن على أن يلزم الباب، وطلب منه أن يفتي فيما يرفع إليه من الأحكام، وكان يرسل إليه المسائل، وكان لا يفتي، فأمر أن يعاد إلى السجن، فأُعيد وغُلظ عليه وضُيق تضييقاً شديداً.. وقد اتفق الرواة على أنه حُبس، وأنه لم يجلس للإفتاء والتدريس بعد ذلك، إذ إنه مات بعد هذه المحنة أو معها، ولكن اختلفت الرواية: أمات محبوساً بعد الضرب الذي تكاد الروايات تتفق عليه أيضاً؟ أم مات محبوساً بالسم فلم يُكتف بضربه بل سقي السم ليعجل موته؟ أم أُطلق من حبسه قبل موته فمات في منزله بعد المحنة ومُنع من التدريس والاتصال بالناس؟ كل هذه الروايات رُويت)(1

وهكذا حصل للإمام مالك الذي ضرب ضربا شديدا، بسبب فتواه ذلك الحين بعدم وقوع طلاق المُستَكرَه الذي تم إجباره على إيقاع الطلاق على غير إرادةٍ منه.. ومع أن الفتوى عادية، وهي محل اتفاق بين الفقهاء إلا أن المستبدين من بني العباس فهموا منها أن مالكا يفتي الناس بجواز خلع بيعتهم للمنصور.. لأنهم بايعوه كرها.

ولكن من يزعمون أنهم تلاميذ مالك وأبي حنيفة الآن يصرون على تعظيم المنصور، وتعظيم كل أصحاب الملوك العضوض، غافلين عن الجرائم التي ارتكبوها لا في حق أهل البيت فقط، وإنما في حق أئمتهم الذين يتبعونهم ويقلدونهم.

وهكذا ذكر أبو زهرة ما فعل بالإمام الشافعي الذي كاد يقتل بسبب اتهامه بالولاء لأهل البيت، فقد قال: (لما نزل الشافعي باليمن، ومن أعمالها نجران، كان بها والٍ ظالم، فكان الشافعي يأخذ على يديه، أي ينصحه وينهاه، ويمنع مظالمه أن تصل إلى من تحت ولايته، وربما نال الشافعي ذلك الوالي بالنقد، فأخذ ذلك الوالي يكيد له بالدس والسعاية والوشاية. وفي ذلك الزمانِ الذي كان فيه الحكمُ للعباسيين، كان

1() المرجع السابق، ص57.

العباسيون يُعادون خصومَهم العلويين، لأنهم يُدلون بمثل نسبهم، ولهم من رحم الرسول محمد ما ليس لهم، فإذا كانت دولة العباسيين قامت على النسب، فأولئك يَمُنُّون بمثله، وبرحم أقرب، ولذا كانوا إذا رأوا دعوة علوية قضوا عليها وهي في مهدها، ويقتلون في ذلك على الشبهة لا على الجزم واليقين، إذ يرون أن قتل بريء يستقيم به الأمر لهم، أولى من ترك مُنَّهمٍ يَجوز أن يُفسد الأمنَ عليهم.. وجاء والي نجران العباسيين من هذه الناحية، واتهم الشافعي بأنه مع العلوية، فأرسل إلى الخليفة هارون الرشيد: (إن تسعة من العلوية تحرَّكوا)، ثم قال في كتابه: (إني أخاف أن يخرجوا، وإن ها هنا رجلاً من ولد شافع المطلبي لا أمر لي معه ولا نهي)، وقيل أنه قال في الشافعي: (يعمل بلسانه ما لا يقدر عليه المقاتل بسيفه)، فأرسل الرشيد أن يَحضرَ أولئك النفرُ التسعةُ من العلوية ومعهم الشافعي. ويقال أنه قتل التسعة، ونجا الشافعي؛ بقوة حجته، وشهادة القاضي محمد بن الحسن الشيباني، أما قوة حجته فكانت بقوله للرشيد وقد وجه إليه التهمةَ بين النطع والسيف: (يا أمير المؤمنين، ما تقول في رجلين أحدهما يراني أخاه، والآخر يراني عبده، أيهما أحب إلي؟)، قال: (الذي يراك أخاه)، قال: (فذاك أنت يا أمير المؤمنين، إنكم ولد العباس، وهم ولد علي، ونحن بنو المطلب، فأنتم ولد العباس ترونا إخوتكم، وهم يروننا عبيدهم، وأما شهادة محمد بن الحسن الشيباني فذلك لأن الشافعي استأنس لما رآه في مجلس الرشيد عند الاتهام، فذكر بعد أن ساق ما ساق أن له حظاً من العلم والفقه، وأن القاضي محمداً بن الحسن يعرف ذلك، فسأل الرشيدُ محمداً، فقال: (له من العلم حظٌ كبير، وليس الذي رُفع عليه من شأنه)، قال: (فخذه إليك حتى انظرَ في أمره)، وبهذا نجا)(1)

وقد عبر الشافعي عن هذه التهمة التي اتهم بها في تلك الأبيات المشهورة عنه، والتي رواها الربيع بن سليمان عنه في قوله: (خرجنا مع الشافعي من مكة نريد منى فلم ننزل واديا ولم نصعد شعبا إلا وهو يقول

يا راكبا قف بالمحصب واهتف بقاعد خيفها

1() الشافعي، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة، ص22.

سـحرا إذا فـاض فيضا كملتطم الفرات
إن كان رفضـا حب آل رافضي(1)

لكن مع ذلك كله استطاع الطغاة والمستبدون أن ينشروا النصب في الأمة، لتعادي أهل بيت نبيها، أو لتجمع بينهم وبين أعدائهم، لتعيش التناقض بكل معانيه.

منتصرون رغم المحن:

لم تجهض كل تلك الثورات سيدي.. بل استطاع الكثير منها أن يؤتي ثماره، ولو بعد حين..

ولن أعدد لك أولئك الثوار الأبطال الذين نجحوا في أداء أدوارهم في جميع بلاد العالم الإسلامي، ولكني سأقتصر على رجل منهم جعله الله شمسا تشرق على المغرب، فتنشر فيها الإسلام الذي قصرت السيوف في نشره، أو شوهت السيوف قيمه، فصرفت الناس عنه.

إنه إدريس الأول.. ناشر الإسلام الأكبر في المغرب.. ذلك الذي قال الامام الرضا ثامن أئمة أهل البيت في ابنه إدريس الثاني: (إدريس بن إدريس ابن عبد اللّه من شجعان أهل البيت واللّه ماترك فينا مثله)(2)

ذلك الذي لا نزال نقرأ رسالته التي كتبها لأهلها حينها، يبشرهم بالإسلام المحمدي الأصيل الذي لم يدنسه أصحاب الملك العضوض.

لقد كتب في رسالته (3) يقول لهم: (الحمدلله الذي جعل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن عَندَ عنه، ولا إله إلا الله المتفرد بالوحدانية، الدال على ذلك بما أظهر من عجيب حكمته ولطف تدبيره، الذي لا يُدْرَكُ إلابأعلامه وبيناته، سبحانه منزهاً عن ظلم العباد وعن السوء والفساد، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:10]، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وخيرته من جميع خلقه، انتجبه واصطفاه واختاره وارتضاه صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين)

ثم ذكر بعد هذه الديباجة أهدافه من دعوته لهم، فقال:

1() طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (1/ 299)

2() ابن عنبة : عمدة الطالب : 159.

3() نص الرسالة في أخبار فخ، ص49.

(إنِّي أدعـوكم إلى كتـاب اللـه وسـنة نبيـه ﷺ، وإلى العـدل في الرَّعية، والقسم بالسوية، ودفـع الظـالم والأخـذ بيـد المظلـوم، وإحياء السنة وإماتة البدعـة، وإنفـاذ حكم الكتـاب على القـريب والبعيد، فـاذكروا اللـه في ملـوك تَجبَّروا وفي الأمانـات خـتروا، وعهود الله وميثاقه نقضوا، وولد نبيـه قتلـوا، وأذكـركم اللـه في أرامل افتقرت، ويتامى ضُيِّعَتْ، وحـدود عطلت وفي دمـاء بغـير حق سفكت، قـد نبـذوا الكتـاب والإسـلام ورآء ظهـورهم كـأنهم لايعلمـون، فلم يبـقَ من الإسـلام إلا اسـمه ولا من القـرآن إلا رسمه)

ثم بين لهم ضرورة مواجهة تلك التحريفات الـتي قـام بهـا أصحاب الملـك العضـوض، فقـال: (واعلمـوا عبـاد اللـه أن ممـا أوجب الله على أهل طاعته المجاهـدة لأهـل عداوتـه ومعصـيته باليد واللسـان، فباللسـان الـدعاء إلى اللـه بالموعظـة الحسـنة والنصـيحة والتــذكرة، والحض على طاعــة اللــه، والتوبــة من الـذنوب والإنابـة والإقلاع والـنزوع عمـا يكـره اللـه، والتواصـي بالحق والصدق والصبر والرحمة والرفق، والتناهي عن معاصـي الله كلها، والتعليم والتقويم لمن اسـتجاب للـه ولرسـوله، حـتى تنفذ بصائرهم ويكمـل علمهم، وتجتمـع كلمتهم، وتنتظم إلفَتُهُم، فإذا اجتمع منهم من يكون للفسـاد دافعـاً، وللظـالمين مقاومـاً، وعلى البغي والعدوان قاهرا، أظهروا دعوتهم ونـدبوا العبـاد إلى طاعــة ربهم، ودافعــوا أهــل الجــور عن ارتكــاب مــا حــرم اللــه عليهم، وحــالوا بين أهــل المعاصـي وبين العمــل بهــا فــإن في معصية الله تلفا لمن ركبها، وهلاكاً لمن عمل بها)

ثم بين لهم شــروط النصــر، مســتدلا على ذلــك بــالقرآن الكريم الذي لم يكن يفارق أحـدا من دعـاة وأئمـة أهـل الـبيت، فقال: (ولا يؤيسنكم من علو الحق وإظهاره وقلة أنصـاره، فـإن فيما بدء به من وحدة النبي ﷺ، والأنبياء الداعين إلى اللـه قبلـه وتكثيره إياهم بعد القلة، وإعزازهم بعد الذلـة دليلاً بين، وبرهانـاً واضحاً، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَـدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:123]، ﴿وَلَيَنصُـرنَّ اللـه مَن يَنْصُـرَهُ إِنَّ اللـه لَقَـوِيٌ عَزِيـز﴾[الحج40]. فنصـر اللـه نبيـه، وكثَّر جنـده وأظهـر حزبـه، وأنجز وعده، جزاء من الله له وثواباً لفعله وصبره وإثاره طاعـة ربه ورأفته بعباده ورحمته وحسـن قيامـه بالعـدل والقسـط في بريته، ومجاهدة أعدائه وزهده فيما زهده فيه، ورغبته فيما ندبـه

إليه، ومواساته أصحابه، وسعة خلقه، كما أدبه الله وأمره وأمـر العباد باتباعه، وسلوك سبيله، والإقتداء بهديه واقتفاء أثـره فـإذا فعلوا ذلك أنجز لهم ما وعدهم كما قال عز وجـل: ﴿إِنْ تَنْصُـرُوا الله يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد: 7]. وقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلى الـبرِّ وَالتَقـوَى وَلاَ تَعَـاوَنُوا عَلى الإِثمِ والعُـدُوَان﴾ [المائـدة:2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالعَدِلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَـاءِ ذي القُـربَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَـاءِ وَالمُنْكَـرِ وَالبَغي يَعِظُكُمْ لَعَلَكُمْ تَـذَكَرُونْ﴾ [النحل: 90]، وكما مـدحهم وأثـنى عليهم إذ يقـول: ﴿كُنْتُمْ خَيْـرَ أُمَـةٍ أُخْـرِجَت للنَّاسِ تَـأْمُرُونَ بـالمَعْرُوفِ وَتَنْهَـونَ عَن المُنْكَـر وَتُؤمِنُونَ بالله﴾[آل عمران: 110]، وقال عز وجل: ﴿والمُؤمِنُون وَالمُؤمِنَات بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَـأْمُرُون بـالمعرُوف وَيَنْهَـون عَنِ المُنْكِر﴾[التوبة: 71]، ففـرض اللـه عـز وجـل الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر، وأضافه إلى الإيمـان بـه والإقـرار بمعرفتـه، وأمر بالجهاد عليه والدعاء إليه، فقال عز وجل:﴿قَاتِلُوْا الَّذِينَ لاَ يُؤمِنُون بالله وَلاَ بِاليوم الأَخِرِ وَلاَ يُحَرّمُونَ مَا حَرَّم الله وَرَسُـولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحقِ﴾[التوبة: 29]، وفـرض قتـال العانـدين عن الحق، والباغين عليه، ممن آمن به وصـدق بكتابـه حـتى يعـودوا إليه ويفيئوا، كما فرض الله قتـال من كفـر بـه وصـد عنـه حـتى يؤمن ويعترف بدينه وشرائعه، فقال تعـالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَـانِ مِنَ المُؤمِنِينِ اقْتَتَلُوْا فَأَصْلِحُوا بَينَهُمَا فإِنْ بَغتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغي حَتى تَفِئ إِلى أَمْرِ الله﴾[الحجرات:9])

ثم راح يـدعوهم إلى الـدين الحـق الـذي شـوهه أصـحاب الملك العضوض وسـدنتهم من علمـاء السـلطان، فقـال: (فهـذا عهد الله إليكم، وميثاقه عليكم في التعـاون على الـبر والتقـوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فرضاً من الله واجبا وحكما من الله لازما، فـأين عن اللـه تـذهبون، وأنى تؤفكـون، وقـد جـابت الجبـابرة في الآفـاق شـرقا وغربـا، وأظهـروا الفسـاد وامتلأت الأرض ظلما وجـوراً، فليس للنـاس ملجـأ ولا لهم عنـد أعـدائهم حسن رجاء. فعسى أن تكونـوا معاشـر إخواننـا من الـبربر اليـد الحاصدة للجور والظلم، وأنصار الكتاب والسنة، القـائمين بحـق المظلومين من ذرية خاتم النبيئين، فكونوا عند اللـه بمنزلـة من جاهد مع المرسلين ونصر الله مع النبئيين والصديقين)

ثم راح يحـدثهم عن نفسـه، وعن المآسـي العظيمـة الـتي حصلت لأهل البيت، فقال: (و اعلموا معاشر البربر أني نـاديتكم

وأنا المظلوم الملهوف، الطريد الشريد الخائف الموتور الذي كثر واتروه، وقل ناصروه، وقتل إخوته وأبوه، وجده وأهلوه، فاجيبوا داعي الله فقد دعاكم إلى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[الأحقاف: 32]. أعاذنا الله وإياكم من الضلال وهدانا وإياكم إلى سبيل الرشاد.. وأنا إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب، جداي، وحمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار في الجنة عماي، وخديجة الصديقة وفاطمة بنت أسد الشفيقة برسول الله جدتاي، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين، وفاطمة بنت الحسين سيدة بنات ذراري النبيين أُمَّاي، والحسن والحسين إبنا رسول الله أبواي، ومحمد وإبراهيم إبنا عبدالله المهدي والزاكي، أخواي)

ثم ختم رسالته لهم بقوله: (فهذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله مالي وعليه ما عليَّ، ومن أبى فحظه أخطأ، وَسَيرى ذلك عالِم الغيبِ والشهادة إني لم أسفك له دما ولا أستحللت له محرماً ولا مالاً واستشهدك يا أكبر الشاهدين شهادة، وأستشهد جبريل وميكائيل أني أول من أجاب وأناب، فلبيك اللهم لبيك.. اللهم مزجي السحاب، وهازم الأحزاب، مسير الجبال سراباً بعد أن كانت صماً صلاباً، أسالك النصر لولد نبيك إنك على ذلك قادر)

هذه رسالته إليهم.. وقد كان قدومه كقدوم العافية والدواء.. حيث نشر الله به الإسلام المحمدي الأصيل؛ حيث استطاع أن يدعو القبائل اليهودية والوثنية إلى الإسلام، ويعرفهم به، ويدخلوا فيه أفواجا، ذلك أن الفاتحين العسكريين لم يكن لهم الوقت للجلوس للناس وتعليمهم، وإنما اكتفوا بالتوسع العسكري عن الدعوة إلى الله تعالى.

فقد ذكر المؤرخون أن قبائل زناتة وزواغة وسدراتة وغياثة ومكناسة وغمارة وكافة القبائل الأمازيغية في المغرب الأقصى، وبعد أن رأوا صفات إدريس الأكبر وأخلاقه العالية وعلمه العظيم راحوا يبايعونه، ويقومون معه بنشر الإسلام وتعريف الناس به في كل المناطق التي لم تدخل الإسلام بعد.. لكن حقد هارون وصل إليه عبر إرسال من قتله.

ولذلك كان دور إدريس الأكبر الدعوي هو الفتح الحقيقي،

وقـد التفت بـه القبائـل الأمازيغيـة بعـد أن رأت فيـه النمـوذج الحقيقي الذي يمثل الإسلام.

لكن الطاغية هارون الذي لم يكن يفكر في نشـر الإسـلام، وإنما كان يفكر في ملكه وفي الإتاوات التي تأتيـه من المغـرب والمشرق، راح يرسل له من يقـوم بقتلـه، متجـاهلا تلـك الأدوار الدعوية العظيمة التي كان يقوم بها هناك.

وقد قال حينها بعض الشـعراء من المـوالين لبـني العبـاس يذكر قتله، ويصور في نفس الوقت اليد الإجرامية لبني العباس، والتي لم تكن تتوقف أبدا (1):

أتظن يـا إدريس أنـك كيـــد الخليفـــة أو

فليـــدركنّك أو تحـــلّ لا يهتدي فيها إليـك

إن الســـــــيوف إذا طـــالت وتقصـــر

ملك كأن الموت يتبـع حـتى يقـال تطيعـه

وصـدق الشـاعر فيمـا قـال، فلم يكن إدريس أول أو آخـر قتيل من آل بيت النبوة يقوم هارون بقتلـه، وإنمـا قتـل الكثـير، ومنهم الإمـام موسـى الكـاظم الـذي تتفـق الأمـة جميعـا على صلاحه وتقواه وعلمه الغزير، وكونه إماما من أئمـة بيت النبـوة، وكونـه في نفس الـوقت من المظلـومين الـذي شـملهم بطش هارون ليس بالقتل فقط، وإنما بالسجن قبل ذلك.

ففي الـوقت الـذي كـان الشـعراء يتمتعـون فيـه بالصـلات والجـوائز كـان الإمـام موسـى الكـاظم وغـيره من الصـالحين يسكنون غياهب السجون، في انتظار لحظة الموت التي يحددها السفاح الـذي سـمته العقـول المتناقضـة رشـيدا، يقـول الشـيخ محمـد جـواد مغنيـة معـبرا عن محنـة الإمـام الكـاظم: (أرسـل الرشيد جلاوزته إلى الإمام موسى بن جعفـر، وكـان يتعبـد عنـد قبر جده، فأخرجوه منه، وقيدوه، وأرسله الرشـيد إلى البصـرة، وكان عليها عيسى بن جعفر بن المنصور، فحبسـه عنـده سـنة، ثم كتب عيسـى إلى الرشـيد أن خـذه مـني، وسـلمه إلى من شئت، وإلا خليّت سبيله، فقد اجتهـدت أن آخـذ عليـه حجـة فمـا

1() مقاتل الطالبيين (ص: 408)

قدرت على ذلك. فحبسه ببغداد عند الفضل بن الربيع، ثم عند الفضل بن يحيى، ثم عند السندي بن شاهك، وأخيراً تخلص منه بالسم)[1]

ولم يكتف هارون بذلك، بل راح يمارس جرائمه في كل من له صلة به من أهل بيت النبوة أو غيرهم حتى النساء لم ينجين من جرائمه، يقول السيد محسن الأمين: (بعد وفاة الإمام الكاظم أرسل الرشيد أحد قواده إلى المدينة، وهو الجلودي، وأمره أن يهجم على دور آل أبي طالب، ويسلب نساءهم ولا يدع على واحدة منهن إلا ثوباً واحداً، فامتثل الجلودي، حتى وصل إلى دار الإمام الرضا، فجعل الإمام النساء كلهن في بيت واحد، ووقف على باب البيت، فقال الجلودي: لابد من دخول البيت وسلب النساء فتوسل إليه وحلف له أنّه يأتيه بكل ما عليهن من حلي وحلل على أن يبقى الجلودي مكانه ولم يزل يلاطفه حتى أقنعه، ودخل الإمام، وأخذ جميع ما على النساء من ثياب ومصاغ وجميع ما في الدار من أثاث، وسلمه إلى الجلودي، فحمله إلى الرشيد)[2]

وهكذا كانت جرائم هارون في حق أهل بيت النبوة كثيرة لا يمكن حصرها، فمنذ تسلم زمام الحكم من سنة 170 هـ حتى سنة 193 هـ أدار صراعات مختلفة مع العلويين فقتل، وعذّب الكثير منهم، مستنا في ذلك بسنة أهل الملك العضوض ابتداء من معاوية وابنه يزيد.

لكن هارون مع ذلك لم يزل يصور بصورة الخليفة العادل على الرغم من كل جرائمه، ذلك أن الترسانة الكبرى التي استعملها أصحاب الملك العضوض راحت تزين جرائم المجرمين، وتكتب فيهم كل قصائد الثناء والمدح، في نفس الوقت الذي ترمي فيه تلك العترة الطاهرة في أتون النسيان والإهمال والسباب، وكل أنواع الشتائم.

ومن العجيب أن يتولى الثناء على هارون بعض من يدعون نسبتهم إلى إدريس، والذين يبنون أمجادهم وأمجاد أسرهم عليه، ويشهدون له بالصلاح والتقوى، ويزورون ضريحه، ويحيون كل المناسبات التي ترتبط به، وبالكثير من أولاده وحفدته،

1() الشيعة والحاكمون، مغنية، ص 162.

2() أعيان الشيعة، ج 1، ص 29..

لكنهم يترضـون في نفس الـوقت عن قاتلـه هـارون، ويـذكرون مناقبه، ولست أدري كيف يوفق بين هذا وذاك.

فإن كان موقف هارون صالحا وعـادلا، فـإن إدريس الأكـبر كان مستحقا لما حصل له، ولذلك لا يصح أن يعتبر من الأوليـاء، ولا من الصـالحين.. وإن كـان العكس، فـإن حكم هـارون حكم إجرامي واستبدادي، ولا يصح حينها السكوت عن هـذه الجريمـة حتى لو تعلقت بقتل مسلم واحد، وكيـف وهـارون قتـل المئـات بل آلاف من الصالحين، وهذا ما تذكره كل المصادر التاريخية.

هذه سيدي زفرات ألم بثثتها إليك وإلى آباك وأبنائك وأهـل بيتك.. ويعلم الله أني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم.. ولا أبالي في حبكم ونصرتكم بالعـاذلين والعـاتبين والمـوبخين.. بل لا أبالي بالمهددين والمجرمين والإرهابيين.. فمـا أشـرف أن تختلـط دمـائي بـدمائكم.. ومـا أشـرف أن يُعلـق محبكم في الصـلبان الـتي علقتم فيهـا.. فهي عـروش الكرامـة، ومحـال العـزة.. وهي فـردوس الـدنيا الـذي يتشـرف أصـحابه بـالحظوة بفردوس الأخرى.

هذا الكتاب

هـذا الكتـاب زفـرات ألم على المظـالم الـتي تعـرض لهـا أقـارب رسـول اللـه ﷺ ابتـداء من أمـه وأبيـه، واللـذين رميـا بالشرك، وحكم عليهما بأنهما من أهل النـار، بينمـا اعتـبر جميـع المشركين بمنجاة منها، لأنهم من من أهل الفترة.

وهـو زفـرات ألم في حـق أبي طـالب عم رسـول اللـه ﷺ ذلك الذي فداه بكل شيء، وضـحى في سـبيله بكـل مـا يملـك، لكنهم يذكرون أنه مات على الشرك، مع أنه لم يعـرف الشـرك في حياتـه، وآمن برسـول اللـه ﷺ قبـل أن يتـنزل عليـه ملاك الوحي.

وهو زفرات ألم في حق خديجة سيدة نساء العـالمين تلـك الطاهرة التي وضعها رسول الله ﷺ مـع مـريم وآسـية وفاطمـة في محـل واحـد.. والـتي أخـبر رسـول اللـه ﷺ أنـه لم يعـوض بمثلها، ولا بمن يدانيها، ولكنا لا نكاد نسمع بها.

وهـو زفـرات ألم في حـق الإمـام الحسـين وأصـحابه في الطفوف.. والذي صار ذكـرهم بدعـة، والبكـاء عليهم هرطقـة.. والتغني بأعدائهم سنة.

وهو زفرات ألم في حق أولئـك الأبطـال المنسـيين الـذين كانوا أكـبر من نصـر الإسـلام، وفـدوه بأنفسـهم، لكنهم أهملـوا، ونسب الفضل لغيرهم.

وهو زفرات ألم في حق أولئك الثـوار المضـطهدين الـذين قاموا لمواجهة الاستبداد والظلم وتحريف الدين، فقمعوا وقتلـوا وعلقوا في الصلبان وامتلأت بهم السجون.